هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

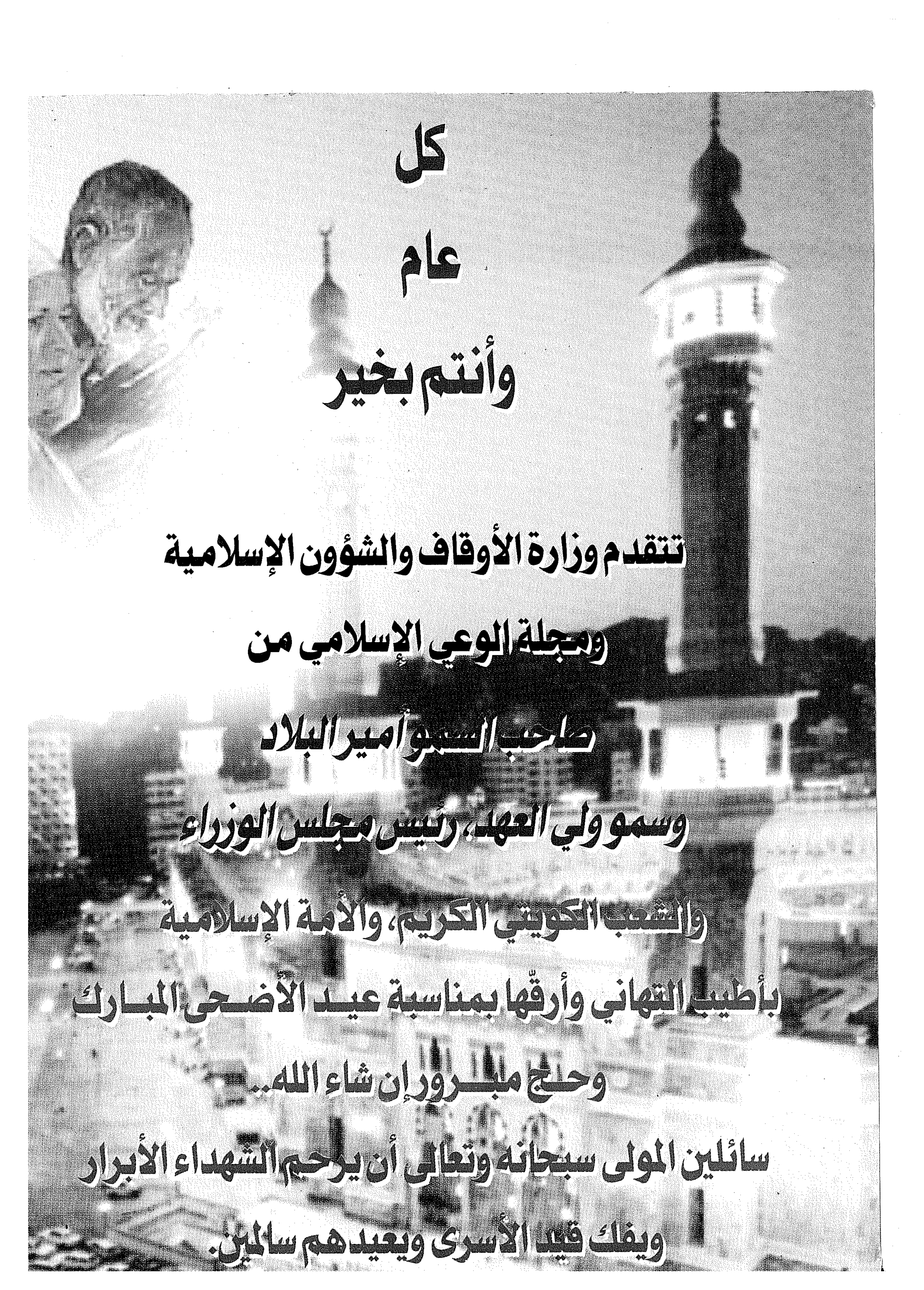
العدد ٣٥٢ - السنة الحادية والثلاثون - ذو الحجة ١٤١٥هـ/ مايو (أيار) ١٩٩٥م

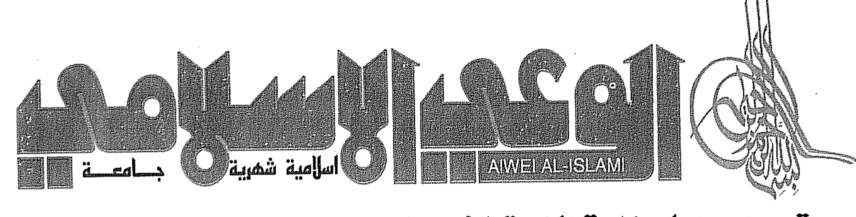
مقاصد الحج السياسية والاقتصادية

مفهوم الظلم في القرآن

رعاية المعوقين في الإسلام

مشروع أسر الشهداء ومفقودي الكويت


كل
عام
وأنتم بخير
تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
ومجلة الوعي الإسلامي من
صاحب السمو أمير البلاد
وسمو ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء
والشعب الكويتي الكريم، والأمة الإسلامية
بأطيب التهاني وأرقّها بمناسبة عيد الأضحى المبارك
وحج مبرور إن شاء الله..
سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين.



تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٢ - السنة الحادية والثلاثون - ذو الحجة ١٤١٥هـ / مايو (أيار) ١٩٩٥م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

رحلة العمر

(ذو الحجة) من أشهر الله الحرم التي قال فيها: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة/٣٦].. وقد اعتاد عرب الجاهلية فيها إيقاف القتال وحقن الدماء فرصةً يثوبون فيها إلى رشدهم، ويعملون عقولهم، ويتفكّرون فيما لهم وعليهم، فيما قدّموا وأخّروا، فكانت فرصة سلام واطمئنان تسود شبه الجزيرة العربية، يأمن فيها المسافر والخائف والضعيف..

وجاء الإسلامُ فكان (السلامُ) شعاره ولغة أهله، وحفِظ حرمةَ الأشهر الأربعة (ذو الحجة، المحرم، صفر، رجب)، ولكنه قيّدها في عدم تجاوز حدود الله، والنيل من الأمة المسلمة: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ [البقرة/٢١٧]. وبقيت هذه الأشهر فرصة للتفكّر والتدبر بعيداً عن أصوات المعركة وصليل السيوف، ومن ذاق جحيم المعركة أدرك الحاجة الملحة لفرصةٍ يعود فيها المبتلى إلى نفسه، يتدارس ماضيه وواقعه ومستقبله، ويبني على ما انتهى إليه من نتائج لمعالجة الواقع؛ متوسلا الحقائق لا الخيال..

إن شهر (ذي الحجة) مفترق طرق، يعطيك الفرصة - أيها المسلم - لتقف بين حدود سنتين، سنة آفلة وأخرى مقبلة، كالتاجر الناجح يقوم بعملية تقويم لواقع ربحه وخسارته، فيسد الثغرات في متجره، ويحاول استكمال ما يحتاجه لتزدهر تجارته ويرتقي عمله، بما في ذلك موقع البناء، و(الديكور) الداخلي، وفريق العمل، وأسلوب التعامل مع الزبائن، وغيرها من المواضيع ذات العلاقة..

والزمن جزء مهم في عملية التخطيط والتنفيذ والانتاج، وفرصةُ التعبد بعيداً عن هموم الدنيا ومشاكلها فرصةٌ لا تعوض، وربما - لهذا - يرى البعض في فريضة الحج (رحلة العمر)، على أن تكون رحلة مثمرة متميزة تعيد صياغة الإنسان ليعود إنساناً جديداً «كيوم ولدته أمه» ■

المراسلات :
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

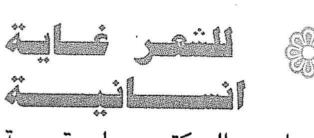
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيير
ت:٤٨١٦٨٨٤/٥-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

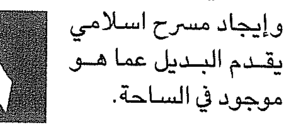
الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

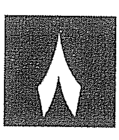
أقرأ في هذا العدد

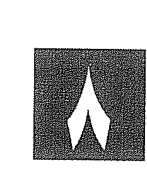


للشعر غاية انسانية

الحوار مع الدكتور جابر قميحة عضو (رابطة الادب الاسلامي العالمي) ممتع ومفيد لما تناول من آفاق الشعر ورسالته، ولما أثاره الدكتور الأديب من طرح استراتيجي يتعلق بالحاجة الى شعر الجهاد وتصوير المعاناة في شتى أرجاء الوطن الاسلامي، وضرورة الابتعاد عن القضايا الهامشية، وإيجاد مسرح اسلامي يقدم البديل عما هو موجود في الساحة.





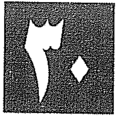


٨

يعيش العالم الإسلامي فرحة العيد وتأدية مناسك الحج، وإحياء شعائر الحنيفية السمحة الممتدة بعمق التاريخ، فالطواف والسعي والوقوف بعرفة والنحر والسعي بين الصفا والمروة، تنقل الإنسان المسلم من واقعه إلى المعاني التي تكمن خلفها من التجرد والتوجه والتوحيد.. فالمسلمون أمة واحدة، والوحدة في المنسك والملبس والتلبية والتوجه والتضحية أبرز معاني الحج الحية المتجددة، ويبقى علينا أن تعيش فينا هذه المعاني العمر كله، وأن نستعين بها لنغير حالنا إلى ما هو خير منه.

أسر شهداء ومعوّقي البوسنة

وجه الرئيس البوسنوي علي عزت بيغوفيتش نداءً أخويا يذكّر إخوانه في العالم بواجبهم تجاه أسر الشهداء والمعوّقين الذين لبوا نداء الواجب الشرعي، وساروا على طريق ذات الشوكة ليحققوا العزة والكرامة لأمتهم، ويدعوهم للمساهمة في إنجاح مشروع (مؤسسة شهداء ومعوقي جمهورية البوسنة والهرسك).. وفي باب (مداد قلم) يتناول د. صلاح الدين أرقه دان الواقع البوسنوي واحتياجاته وواجبنا تجاهه.



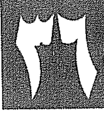
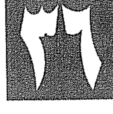
٣٠

اقرأ في الأعداد القادمة

- اهتمام الاسلام بتربية الابناء / محمد عبد الشافي القوصي
- التنوع البيولوجي لخدمة الإنسان / د. عواد جاسم الجدي
- واقع التعليم الاسلامي بين الاقليات الاسلامية في اوروبا الغربية / د. احمد جابالله
- الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية (٢/٢) / طه الولي
- الورق والوراقون في العصور الاسلامية / بهيج بهجت سكيك
- المنظور الاسلامي للانسان / عبد المجيد بنسعود
- مرض وهن العظام / د. سلوى جلباية

رعاية المعوقين في الاسلام

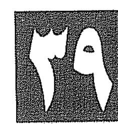
الاسلام في شموليته وكماله لم يهمل الجوانب الانسانية التي يتعرض لها ابناء المجتمع، مسلمين وغير مسلمين، ومحمد مرسي يتناول في مقاله عن (رعاية المعوقين في الإسلام) النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وإسقاطاتها في الحياة العملية للتخفيف من معاناة هؤلاء وجعلهم مساهمين حقيقيين في المجتمع لا مجرد أرقام على الهامش.

مفهوم الظلم في القرآن

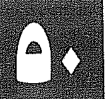
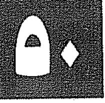


اكتسبت مادة (ظلم) اللغوية من خلال الاستعمال القرآني عدة معان جديدة لم يعرفها العرب في جاهليتهم، والدكتور رفيق حسن الحليمي يوضح هذه المعاني في المصطلح القرآني في دراسة شرعية - لغوية تخدم بلورة المصطلح وإيضاحه.



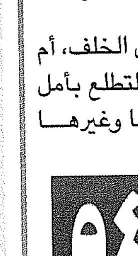
حقوق الانسان في الاسلام

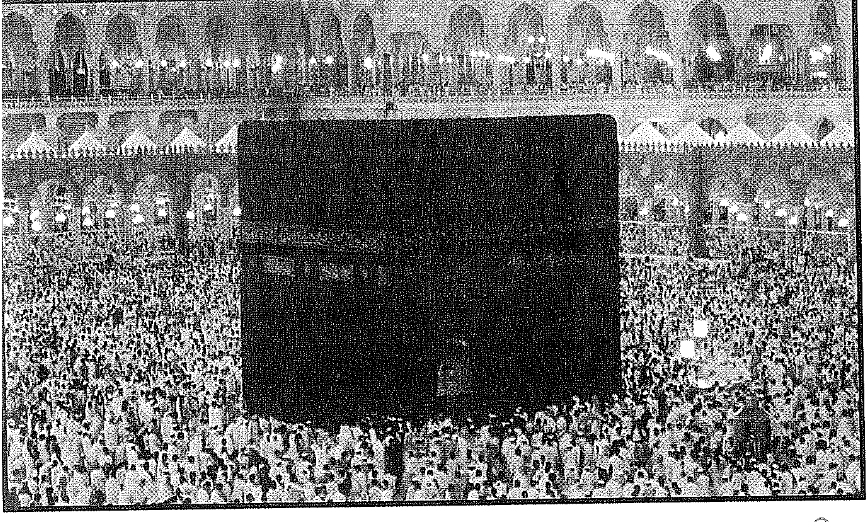
يوم كان العالم في غمرة الجهل والظلم يخضع لمنطق القوة والاستعلاء، جاء الإسلام لينظم أمور الإنسان ويوضح حدود العلاقة بين الفرد وربه، والفرد ونفسه، والفرد وغيره، وفي زحمة الانبهار بما يصدر عن الغير ننسى - نحن المسلمين - كنوز التشريع الإسلامي بما في ذلك الحقوق الشخصية للإنسان، ومحمود الشرقاوي ينير في مقاله زاوية من هذا الجانب.

الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدي الزائف

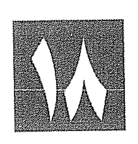
العقل العربي هل هو مشدود إلى الخلف، أم جامد في مكانه، أم عقل قادر على التطلع بأمل إلى مستقبل أفضل، هذه كلها وغيرها إشكالات مطروحة ومشروعة ويجب حسمها أو الحوار حولها، هذا ما يحاوله د. محمد مورو في مقاله الثقافي.





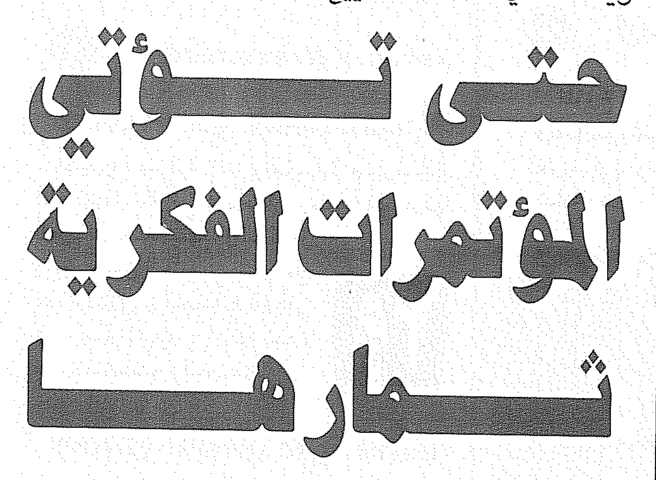
الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية

المؤرخ الشيخ/ طه الولي يكتب عن البيوت التي عظّمها العرب قبل الإسلام، وعاداتهم وتقاليدهم في تقديسها وتعظيمها، بما يبيّن للقارىء فضل الإسلام عليهم في إخراجهم من الظلمات إلى النور، وتكريم الله تعالى للإنسان في رفع شأنه وتنزيه معتقده عن السجود للحجر والشجر والبشر.



الفهرس





تشهد الساحة الإسلامية سلسلة من الحوارات المتواصلة حول احتياجاتها الفكرية والإصلاحية، وتدور النقاشات في الأغلب باتجاه رفع الصورة السلبية التي تكاد تسم الفكر الإسلامي والأمة المسلمة على مستوى (الفكرة) و(التنظيم) و(الممارسة)..

ولا نريد بـ(الساحة الإسلامية) الاقتصار على مجموعات تنظيمية أو فكرية معينة يطلق عليها اصطلاحاً (الإسلاميون) أو (الأصوليون) وإنما نعني بالمصطلح كل التيارات المؤثرة والفاعلة، أو الساعية للتأثير والفعل، ما دام ميدان عملها هو العالم الإسلامي، وتخاطب جمهور المسلمين، بغض النظر عما ارتضته لنفسها من أسماء أو نظرة الآخرين ووصفهم إياها..

مؤتمرات عديدة.. ولكن..

لقد شهدت عدة عواصم عربية - منها الكويت وبيروت والقاهرة والخرطوم، خلال العام الهجري المنصرم - عددا كبيرا من المؤتمرات والندوات الفكرية، التي تناولت واقع الفكر العربي والإسلامي المعاصر، وضرورة القيام به من غفوته، والأخذ بيده على طريق المستقبل والتفاعل مع العصر.. عقدت هذه المؤتمرات تحت عناوين عديدة، كل بحسب الهدف المعلن منها، وأراد البعض من ورائها أن تكون فرصة للحوار بين مختلف التيارات بتناقضاتها وتعارضها، أو اتفاقها وتكاملها، كالحوار بين التيارات الإسلامية والقومية، والمعتدلة والعلمانية إلخ..

ويتعرّض المشاركون في مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات الفكرية - في العادة - للمواضيع المطروحة من زوايا مختلفة، فمنهم من يكتفي بوصف الأمراض المستحكمة في الساحة الفكرية، ومنهم من يتعرض لتعريف المصطلحات، وبعضهم يطرح حلولا أو مقترحات حلول، كلٌ من زاوية رؤيته وفهمه.. وبالطبع؛ يختلف الطرح باختلاف الناس وقابلياتهم وغاياتهم، وفي بعض الأحيان يكون الطرح الفكري استجابةً لتوجهات الأطراف الداعية للمؤتمرات المذكورة.

ثمرة التنوع والتعدد

ويظهر التنوع والتباين فيما بين المشاركين وطروحاتهم بما يمكن أن يثري الساحة الإسلامية أو يزيد من تعقيداتها، تبعا لأسلوب التعامل مع الآراء المختلفة، ويزداد التعقيد كلما ابتعد المحاضرون والباحثون والمناقشون عن الموضوعية، واقتربوا من الانتصار لهوى النفس، بعيداً عن الموضوعية، والعدل في الحكم..

ومع أن المعارك الفكرية لا تحتاج إلى إبراز عضلات، وانتصار على الخصم بالضربة القاضية، ذلك لان الفكر فعل حياة متواصل ويهدف الى تحقيق الأسمى لا مجرد تحقيق انتصار وتسجيل نقاط، وميدان جولات الفكر الساحة الإنسانية الواسعة بكل حلقات نشاطها، إلا أن الملاحظ توتر أجواء النقاش في كثير من هذه اللقاءات التي تجمع الأضداد والخصوم والمختلفين، لاسيما في عالمنا العربي، مما يفوّت فرصة الاستفادة علينا جميعاً، ويضعنا في متاهة تضييع الوقت، واجترار المصطلح، والاختلاف على الشكليات دون الغوص فيما يعود علينا بالفائدة من تصحيح فهم، أو بلورة فكرة، أو التوصل إلى نقاط تفاهم مشتركة..

الحرية أولاً

وحتى نصل إلى نتائج إيجابية نحتاج إلى سلسلة من الإجراءات المتداخلة التي تصب في خانة التغيير لدفع العجلة إلى الأمام، وعلى رأس تلك الإجراءات (الحرية)، ومن دون الحرية يصبح اللقاء مجرد إجراء شكلي لا قيمة له ولا وزن، والحرية المطلوبة ليست الحرية السياسية فقط بالرغم من ضرورتها ورجاحتها، وإنما نعني بها الحرية الفكرية والاطمئنان على النفس لكل مشارك، بما يقتضي أن يتخلص المناقشون من الأفكار الجاهزة، والمواقف المتشنجة سلفا، فلا معنى للقاء حدد كلٌ من المساهمين فيه موقفه سلفا، وجلس يسجّل على الآخرين نقاطهم السلبية، ويحصي عليهم أخطاءهم، ولا يرى سوى الوجه المظلم من أفكارهم وآرائهم، لأن كل مشارك ارتضى لنفسه أن يصدر الحكم قبل أن يستمع إلى (الشهادة). ومثل هذه الأجواء لا تشجع على الحضور، ولا تؤدي إلى نتيجة أو فائدة تذكر..

ولا يحسبن أحد أن ما نطرحه هنا محض خيال، بل هو - للأسف - الصفة العامة التي تسم اللقاءات المذكورة، ذلك لأن كلا من التيارات المشاركة أو الأشخاص المشاركين تمترس سلفا خلف قناعاته، فكان جسده حاضرا وتفكيره الموضوعي الحر غائبا، وخرج البعض متفاخرا بأنه سجّل على الآخر نقاط لا فكاك له منها، وكل يحسب أنه انتصر وأحسن صنعا..

الموضوعية

ومما لا ينقص في أهميته وضرورته عن الحرية (الموضوعية والمنهجية العلمية) في الطرح والنقاش، ذلك لأن الهوى ما دخل شيئا إلا أفسده، ولأن غياب المنهجية الموضوعية العلمية لا يؤدي إلا إلى مزيد من التردي. وكلمة الحق تحتاج إلى (العلم) احتياجها إلى (الجرأة) وشجاعة الطرح لا تقوم بفعلها، إلا إذا ارتبطت بالموضوعية، فهل يتحقق ذلك عندما لا يلقي المحاضر أو المشارك بالاً لأهمية التدقيق العلمي فيما يقول أو يكتب؟ وهل يكفي أن يعتمد أحدهم على براعته في الخطابة ليوهم نفسه أنه أدى الواجب المطلوب منه؟ سواء أكان الطرح إسلاميا أم غير إسلامي؟

هل يصح من المفكر (الإسلامي) أن يثير عواطف الجمهور بعيدا عن موضوعية الإقرار بخطأ بحجة أن (الإسلام) أجلّ من أن يخطىء أو يوجه إليه نقد؟ وهل قدسية النص (القرآن والسنة) تعني قدسية (فهم النص) والاجتهاد فيه؟ وهل يكفي أن يكون الآخر بعيدا عن التدين حتى يكون مخطئا؟!

والسؤال نفسه يمكن طرحه على غير الإسلاميين، ذلك لأن العابثين بتاريخنا وواقعنا وعقولنا يتلاعبون بالعواطف، ويتوسّلون (حسن الخطاب)، فيقدمونه على علمية الطرح، ويراهنون على اندفاع الجمهور، أكثر من حرصهم على رفع وعيه إلى الدرجة الفاعلة..

وما أهون أن يتهرّب أحدنا من هزيمته بإلقاء التهم جزافا على الطرف الآخر فيتهمه بـ(العلماني الملحد) أو (بالأصولي المتطرف) و(الظلامي المتخلف)، دون أن يمحّص وجه الحق فيما يقول، ووجه الباطل فيما ينتقد، وفي كلا الأمرين من الشطط ما لا يجوز التهاون في شأنه، ولا السماح له بالسيطرة على الساحة الفكرية والإعلامية..

إن التجربة الإنسانية لم تكن قط ملكا لفرد أو جماعة أو تاريخ.. التجربة الإنسانية الناجحة تؤخذ من (الحكمة) التي أُمرنا بالسعي وراءها، والعمل بمقتضاها، والكيّس من تجنب خطأ من سبقه، وأخذ بأحسن ما وصل إليه..

العنوان الجاد المطلوب

ومن أسباب ضعف بعض هذه المؤتمرات واللقاءات ضعف العنوان، وابتعاده عن الواقع الذي نعيشه، أو الموضوع الذي نحتاج إليه، وقد يدور الباحثون في حلقة مفرغة لا يصيبون هدفا، ولا يحققون غاية إن كان المحور الذي يدور حوله البحث خياليا أو مغرقا في الترف الفكري البعيد عن الواقع، واحتياجات المجتمع المسلم المعاصر..

ما الذي نكسبه من طرح مواضيع لا تعالج مشكلة واقعية، ولا تحقق مصلحة استراتيجية، ولا تفتح أفقا أمام الباحثين، ولا تصب في خدمة احتياجات الأجيال القادمة؟!

إن البحث العقيم مضيعة للوقت، وإسراف للمال، وتضييع للجهد، والأولى منه اعتكاف يؤدي إلى تفكير أو تدبير، أولم يهجع الشافعي متدبرا في أحكام آية حتى قال ابن حنبل:(نوم الشافعي خير من قيام أحمد)..

التفكر والتدبر مقدّم على الاجتماع والتدابر، والله محاسبنا على العمر فيما أفنيناه ﴿والعصر. إنّ الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

حسن اختيار المشاركين

ويتحكم اختيار المشاركين في تفشيل أو إنجاح مثل هذه الملتقيات والندوات الفكرية، وقد يظن البعض أنه بوصايته على الأطراف، واختيار الطرف الأضعف لتمثيل الرأي المخالف، يكون قد حقق انتصاراً لفكره الذي يطرحه.. إن مثل هذا التفكير والاختيار يؤدي إلى هزال الفكر لا إلى تقويته، ذلك لأن ما يراه الرائي ما هو إلا سراب لا يغني من الحق شيئا..

لقد واجه النبي ﷺ صناديد قريش، وجادل كبّارهم، والتقى في مسجده الشريف رؤساء الملل والنحل في زمانه، من اليهود والنصارى والمجوس والدهرية والمشركين، ولم يجد غضاضة في أن يستمع إليهم، ويناقشهم الحجة بالحجة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة..

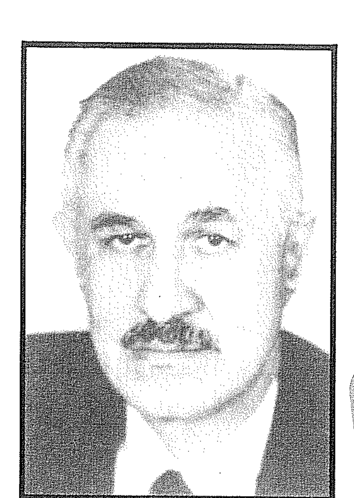
مشكلة البعض انهم لا يحسنون العرض، ولا يثقون فيما يرددون من أفكار، وفي نفس الوقت؛ يستهويهم الانتصار السهل الذي لا يحتاج دراسة ولا تحضيراً ولا إعمالاً للفكر، ولذلك يستمرؤون السباحة على الشاطىء، وحولهم ضعاف السابحين، ولكن هل يحققون غلبة حتى لو برّوهم وسبقوهم؟

المتابعة

وإلى ما تنتهي مثل هذه المؤتمرات؟ وما مصير التوصيات التي تصل إليها وتعلنها على الملأ؟ إن ما نحتاجه اليوم لجان متابعة تسهر حتى لا تبقى القرارات والتوصيات حبرا على ورق، فنحن نحتاج إلى آلية تنفيذ لا تقل اندفاعا عن جماعة (التفكير)، تملك إمكانات المتابعة حتى لا نأسف على وقت ضاع أو جهد بُذل..

لقد تجاوز (الغرب) كثيرا من سلبيات التعدد والتدافع والتعارض التي يعيشها المجتمع البشري في كل زمان ومكان، ولم يكن دواؤهم جرعات سحرية، بل كان نتيجة دراسة لسنن الله في خلقه، وتعامل مع هذه السنن بما يصب في حوض (المصلحة)، ونحن أقدر على فهم هذه السنن والتعامل معها لانسجامها مع عقيدتنا في الخالق والمخلوق، وما فعله آباؤنا من حرية البحث والنقاش وموضوعية الدراسة والاستنتاج وشجاعة الحوار والطرح، يمكننا استعادته، إن نحن تجاوزنا قيود الاستكانة للسائد من العادات والأعراف، فهل نحن فاعلون؟

الشعر الإسلامي هو القيم الإسلامية في شكلها المنظوم



الدكتور جابر قميحة

أكد الناقد والشاعر الإسلامي الدكتور جابر قميحة أن الساحة الإسلامية الآن تحتاج إلى شعر الجهاد وتصوير المعاناة في شتى أرجاء الوطن الإسلامي، ونبه إلى ضرورة أن يكون ذلك في أولويات الأدباء الإسلاميين، حتى لا تهدر طاقاتهم الإبداعية في قضايا هامشية.. وطالب في حواره مع (الوعي الإسلامي)، بضرورة وجود مسرح إسلامي يقدم البديل عما هو موجود الآن على الساحة.. وأكد أن للشعر الإسلامي غاية إنسانية، وهي تقديم المتعة الوجدانية للمتلقي، إلى جانب غاياته التربوية والقيمية. وفيما يلي نص الحوار:

أجرى الحوار:
خالد محمد خلاوي

رسالة الشاعر المسلم

● بوصف الدكتور جابر أحد الشعراء الإسلاميين الذين يخاطبون ضمير الأمة.. فما رسالة الشاعر المسلم في المجتمع؟

■ الشاعر المسلم شاعر متكامل مستجيب لنداء الفطرة الربانية الإسلامية في أعماقه، ولذلك فإن رسالة الشاعر المسلم يجب أن تنطلق، بأن يكون صادقا مع نفسه، مستجيبا لصوت الفطرة في أعماقه، فيبدع الشعر الذي يعد نظما بقيم الدعوة الإسلامية، بمعنى أن يكون هو القيم الإسلامية في شكلها (المنظوم)، إن صح هذا التعبير.. هل لابد أن يوجه الشعر توجيهات مباشرة؟ لو فعل ذلك لعرض القيم الإسلامية في شكلها القريب من النثر، وهذا يبعد عن الشاعرية، فيجب أن يكون هناك الوجه الجمالي موجودا بصورة بارزة في العرض، ومثل هذا الشعر يفرز القيم الحية في النفوس، لذلك تنبأ بهذا منذ قرون عديدة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حين كان يوجه المسلمين دائما بقوله: (علموا أبناءكم الشعر)، وهو لا يقصد أن تجعلوا منهم شعراء، ولكن يقول اجعلوهم يقرأون الشعر، وهذه هي رسالة الشاعر المسلم التربوية، بأن يجعل الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، والقيم التربوية الأصيلة.

الشاعر المسلم شاعر أخلاقي، وإنساني، وقيمي، وقبل كل ذلك لابد أن يكون مهتما بالناحية الفنية والجمالية.. وهو إذا أتقن الجانب الجمالي، حقق غاية إنسانية وهي (المتعة الوجدانية للمتلقي).

● من خلال تجربتكم مع الشعر.. ما الذي يميز الشاعر الإسلامي؟ وهل هو قاصر على شعر المناسبات فقط كما يقول البعض؟

■ ما الأدب الإسلامي؟ هو ذلك الطروحات التي بدأت منذ أيام الرسول ﷺ، منطلقة في المدى الزمني إلى الآن.

والرسول ﷺ لخص مفهوم الأدب الإسلامي والشعر الإسلامي بقوله ﷺ: «إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكماً» [رواه أحمد وأبو داود]. وأرى أن في هذا تلخيص غير مباشر لتعريف الأدب الإسلامي، وضرورة قيامه على أساسين:

الأساس الأول: هو الأساس العقلاني القيمي، وهو الحكمة.

الأساس الثاني: هو الأساس العاطفي الوجداني، والذي أشار إليه بكلمة السحر، وهو القدرة على الجاذبية والتأثير، وهو الملمس الجمالي الذي يستطيع أن يستقطب نفس المتلقي.

هذان الأساسان يقوم عليهما الشعر الإسلامي، بل يقوم عليهما الأدب الإسلامي بوجه عام، سواء أكان شعر أم نثرا.

وأما عن قول البعض إن الشعر الإسلامي (شعر مناسبات).

فأقول: هذه غلطة شاعت بلا تدبر، لأن الناقد الحصيف لا ينظر إلى القصيدة من خارجها، بل هو الذي يعايش القصيدة موقفا، وموضوعا، وفكرا، وتصويرا، وتعبيرا، ومشاعر، وأحاسيس، ومن ثم ليس من النقد البصير أن نزري بالقصيدة لأنها تدور حول مناسبات ووقائع (خارجية)، وليس بالنقد البصير كذلك أن نجل القصيدة، لأنها قصيدة (ذات)، وعاطفة خاصة. المهم ما في هذا اللون، وماذا في ذاك من الفكر والفن.

ثم هل في الشعر قصيدة بلا (مناسبة)؟ الواقع يقول: (لا).

فكل قصيدة - واسأل تاريخ الشعر - تدور حول مناسبة ما، أو موقف ما، أو واقعة ما، وهذه المناسبة أو الواقعة قد يكون محورها ذات الفرد، وقد يكون محورها خارج هذه الذات.. تاريخيا.. أو سياسيا.. أو اجتماعيا.. المهم أن يكون الشاعر في (القصيدة)، أيا كانت مناسبتها، أو موضوعها، أو الموقف الذي تمثله القصيدة، وهذا معيار التقييم الصحيح.

الأدب المباح

●إذن.. كيف يتناول الشاعر المسلم المرأة في شعره دون أن يخل بالقيم الفنية والأخلاقية في نفس الوقت؟

■لعلك تقصد بهذا السؤال موقف الأدباء الإسلاميين من قضية الغزل، وكما نعلم أن الغزل نوعان:

النوع الأول: الغزل الحسي الصارخ، وهذا مرفوض من وجهة النظر الإسلامية، لأنه إفراز غير أخلاقي، لو قرأه المتلقي لوجد فيه إثارة للنوازع البهيمية كما، نرى في شعر كثير من الشعراء الحداثيين.

والنوع الثاني: وهو الغزل العفيف، وهذا نوع من السمو الوجداني، ولا ضير فيه.

ولكن هناك احتراس لابد من إبرازه، وهو أنني لا أسمي هذا الإبداع أدبا إسلاميا، بل أسميه (أدبا مباحا)، لأننا بطبيعتنا الإسلامية نتجه بكل ثقلنا إلى الأدب الإسلامي، فلو جعلنا في الغزل العفيف أدبا إسلاميا، لأهدر منا جزءاً كبيراً من طاقاتنا الفنية، نحتاجها في قضايانا الإسلامية المعاصرة.

ويقال اللبيب من وزع قدراته على قدر الاحتياجات.

والساحة الإسلامية الآن تتطلب شعر الجهاد وتصوير المعاناة في شتى أرجاء الوطن الإسلامي، والإسلام لا يمانع في أن تكون المرأة موضوعا للأدب الإسلامي في مجال الرواية والقصة القصيرة، بل لا يمانع أن يكون الجنس موضوعا أيضا، بشرط أن تكون المعالجة منطلقة من التصور الإسلامي تماما.

أدب الأطفال

●لماذا لم يكتب د. جابر في شعر الأطفال؟ وبماذا تفسر قلة الإنتاج الموجود على الساحة في هذا المجال؟

■شعر الأطفال.. جانب رائع من جوانب الأدب الإسلامي، والإنتاج في هذا المجال ليس بقليل، كما نقول، بل إنه إنتاج كثير، ويزداد كل يوم، ولقد أصدرت رابطة الأدب الإسلامي عددا من الكتب في أدب الأطفال، منها ديوان (أغاريد الطفل المسلم) للشاعر محمود مفلح، وديوان (رياحين الجنة) للشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري، ولغيرهما من الشعراء والأدباء.

أما لماذا لم أكتب في أدب الأطفال، فقد يرجع ذلك إلى سببين:

السبب الأول: ربما لأنني لم أفكر في ذلك.

والسبب الثاني: لأنني أجد أن أصعب الآداب كتابة - ويستوي في ذلك الشعر والنثر - هو أدب الأطفال.

من السهل على الأديب أن يرقى بأسلوبه، ومن الصعب عليه أن ينزل بأسلوبه متبسطا، لذلك أرى أن كل من يكتب في أدب الأطفال، يستطيع أن يكتب في غير أدب الأطفال، والعكس غير صحيح.

المسرح الإسلامي

●من القضايا التي ما زالت مطروحة للبحث والنقاش قضية المسرح الإسلامي كيف يكون؟ وما رأيكم في هذه القضية؟

■من الثوابت التي لا نختلف عليها، هي أن الأدب الإسلامي يجب أن يكون نابعا من مسلم، ومنطلقا من التصور الإسلامي للكون والناس والحياة.. هذا من الثوابت، وهناك قضايا أخرى من المتغيرات تحتمل الخلاف في الرأي، ومنها قضية المسرح.

في الواقع بالنسبة لهذه القضية أقول إننا - أعضاء الرابطة أو الأدباء الإسلاميين - ننقد الأعمال الفنية الهابطة، كالمسرحيات اللا أخلاقية والمسرحيات الهابطة فنيا وقيميا، وأيضا لغويا، فهي ذات لغات مهترئة.

وهنا نتساءل ما البديل؟ إذن لابد أن أكون جاهزا بالبديل، وهو مسرحيات إسلامية لها قيم إنسانية عليا، يتوافر فيها الجانب الجمالي التشويقي، فلا تكون المسرحية دعوات وعظية مباشرة، وإرشادات حادة ومكررة، بل لابد أن يكون الجانب الجمالي واضحا، حتى أجذب الناس إلى مسرح له قيم إسلامية إنسانية، تستطيع أن تغني بإقناع كامل عن المسرحيات السائدة في السوق حاليا.

الفكرة هي فكرة (الأواني المستطرقة)، يعني الأدب الإسلامي لابد أن يدخل هذا الميدان، ويقدم البديل.

ومسألة ظهور المرأة على المسرح - أو عدم ظهورها - فهناك أعمال فنية ومسرحيات، لم تظهر فيها المرأة، ومع ذلك هذه الأعمال ناجحة جدا جدا.

نجاح المسرحية ليس راجعا إلى عنصرين اثنين فقط، وهما الرجل والمرأة، ولكنه يرجع إلى عناصر كثيرة، منها إتقان الخدمة الفنية، ونحن الإسلاميون من ناحية إتقان العمل الفني نستطيع أن نضع قيمنا وأفكارنا، بحيث نعرضها العرض الفني الجميل الرائع، وحسن العرض فكرة إسلامية أساسا، فالرسول ﷺ يحثنا دائما على الإتقان في كل شيء.

إلى الأدباء الشباب

●ما النصائح والتوجيهات التي يقدمها د. جابر إلى الأدباء الشباب؟

■أنصح الشباب المسلم ألا يحقر من نفسه ومن أدبه، ومن إبداعه، بل يجب أن يؤمن إيمانا كاملا بأن ما يطرحه من إبداع له قيمة توجب الاعتزاز، حتى لا يسقط في هوة الإحباط، وهذا يستلزم منه ألا يقيس نفسه بكبار الأدباء، بل يضع في ذهنه - وهذه حقيقة - أن هؤلاء الكبار حينما كانوا في سنه كانوا أقل منه مستوى، ويؤمن كذلك أن إبداعه إبداع مرحلي، وليس إبداعا نهائيا، أو انتهائيا، بمعنى أنه إبداع قابل للتطور، وقابل للتصعيد والصعود، ولكن بجانب ذلك أنصح الأديب الشاب ألا يصل به هذا الاعتزاز إلى حد الغرور.

ونصيحتي الذهبية التي يجب أن نأخذ بها جميعا هي القراءة الواسعة في شتى المعارف، لابد من الثقافة بمفهومها الواسع في مجال علم النفس، والتاريخ، والقانون، والفلسفة، وقبل ذلك الإسلاميات، ولا أقول معرفة تامة وشاملة لأن العمر محدود، ولكن ما يحتاجه الأديب من الثقافة العامة، ثم بعد ذلك النزول لخوض مجال القراءة الخاصة، ولابد من الجمع بين القديم والحديث في قراءاتنا بقدر ما نستطيع□

> "الشاعر المسلم شاعر متكامل مستجيب لنداء الفطرة الربانية"

الرســالــة الخاتمة في جزيــرة العــرب لماذا؟

بقلم: أ.د. سيد رزق الطويل

الاصطفاء مبدأ إلهي، يتتجه رب العزة سبحانه في المفاضلة بين مخلوقاته، إذ يقول في كتابه الحق: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [القصص/٦٨]. ومن هنا كان أصطفاء الله سبحانه لمن اصطفاهم من البشر والملائكة وما اصطفاه من الأزمنة والأمكنة، وغيرها من الكائنات.

الاصطفاء الإلهي

وتحدث القرآن الكريم عن صور شتى من الاصطفاء الإلهي لبعض خلقه. يقول سبحانه: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ [الحج/٧٤]. وقال جل شأنه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران/٣٣]، كما قال في شأن مريم: ﴿يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ [آل عمران/٤٢]. واصطفى سبحانه من الأزمنة: شهر رمضان، والعيدين، ويوم عرفة وليلة القدر ومن الأماكن: البيت الحرام، والمساجد المنتشرة في انحاء الأرض. ولكل اصطفاء إلهي أسسه الراسخة التي يقوم عليها إذ هي ليست اختيارات يصعب فهم حكمتها ومعرفة أسبابها.

أسئلة عن الرسالة الخاتمة

وعلى ضوء هذا نجد سؤالا مطروحا على ساحة البحث: الرسالة الخاتمة أشرقت في قلب جزيرة العرب، وبين جنبات واد غير ذي زرع، وحيث تتصارع القبائل، وتسود أعراف جاهلية فهل لهذا الأمر من تفسير؟ وكيف خرج أعظم وليد في قلب جاهلية جهلاء؟ والإجابة عن هذا تتطلب النظر في أمرين: أولهما: نظرة تاريخية تفسر إعداد هذا المكان لهذه المهمة العظيمة.

وثانيهما: نظرة موضوعية تستجلي الواقع الصحيح لما عرف من أخلاقيات الجاهلية كيف أعدت أمة العرب لهذه المهمة العظيمة؟

في الإجابة عن هذا التساؤل تتجلى أبعاد النظرة الأولى، إن الله تبارك وتعالى أراد لهذه البقعة من الأرض أن تكون موئلا للرسالة الخاتمة، منذ أمر نبيه إبراهيم بالهجرة إلى وادي الحجاز ومعه زوجه هاجر ووحيده الصغير إسماعيل حيث تركهما، وعاد من حيث أتى بعد أن زودهما بدعوات طيبات اتجه بها إلى مولاه إذ يقول: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي ذرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ [إبراهيم/٣٧].

وكان وجود الأم والطفل بمثابة اللبنة الأولى لوجود عربي في هذه المنطقة الخالية والخاوية إذ تهيأت الأسباب، ونبع الماء، وأوى إليه المهاجرون من الجنوب، ثم جاء الأمر لإبراهيم ببناء الكعبة البيت الحرام، بعد أن بين الله له حدوده ومعالمه: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا﴾ [الحج/٢٦].

ويتم البناء بسواعد النبي الخليل، وابنه الغلام الحليم، ومع البناء دعوات وضراعات وخلال الدعوات تتجلى الغاية، وتتضح النظرة المستقبلية، إذ يقولان في ضراعتهما الصادقة الخاشعة: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [البقرة/١٢٨و١٢٩].

وتستجاب الدعوة وتأتي الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وذرية إسماعيل، ويبعث الله فيها رسولا منها تختتم به الرسالات.

إنها جنين عاش في أحشاء التاريخ واستوى على سوقه وتكامل لتتحقق حكمة عليا هي أن يتحول تيار الرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

نشأت هذه الأمة في ظلال الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام ومن بعده ابنه إسماعيل ثم طرأ على سلوك القوم بطول الأمر ألوان من الانحراف وصور من زيف الجاهلية اقتضت مشرق الرسالة الخاتمة لتقويم الانحراف وتصحيح الزيف واعتدال المسيرة وفي الوقت نفسه كان لسان الأمة قد نما واشتد، وملك القدرة على التعبير عن أدق المعاني وأعمق الأفكار وأروع الصور مع التزام قوي بالحق وحرص كريم على الحقيقة يصور القرآن الكريم مهمة الرسالة الخاتمة فيقول سبحانه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن حدثه عن أبيه إبراهيم ومكانته من الإيمان واليقين: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ [النحل/١٢٣].

وفي سورة الحج يدعو القرآن الكريم هذه الأمة إلى مزيد من المجاهدة على طريق الله، منهج الحق والخير مذكرا إياهم باصطفاء الله لهم لهذه المهمة مهمة هداية البشرية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها فيقول سبحانه: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ [الحج/٧٨].

فترة من الغفلة

وبرغم عظم المهمة التاريخية التي ارتبطت بهذه الأمة وسحب الجاهلية التي غطت سماءها فترة من الزمن إلا أنها قل فيها النذر، فلم يأتها نذير قبل الرسالة الخاتمة منذ عهدهم برسالة أبيهم إسماعيل، ولذا قال سبحانه: ﴿لتنذر قوما ما أنذر أباؤهم فهم غافلون﴾ [يس/٦]، كما قال سبحانه: ﴿وما آتيناهم من كتب

يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ [سبأ/ ٤٤].

وإذا أضفنا إلي ما تقدم من حديث عن تاريخ هذه الأمة التي هيأها للرسالة الخاتمة إذا أضفنا حرمة المكان، وحرمة الزمان، ووحدة اللغة نجد عوامل اصطفائها قد تكاملت، وأصبحت هي أجدر به من أمم الحضارة في الشرق والغرب.

الواقع الخلقي لهذه الأمة

إذا ألقينا نظرة موضوعية نستجلي بها الواقع الصحيح لسلوكيات هذه الأمة نجد أنها ابتليت بانحرافات العقيدة باتخاذهم الوسطاء والشفعاء، ليقربوهم إلى الله زلفى، وأن وسطاءهم من الأصنام ما كانت إلا رموزا لقوم صالحين منهم، كما تصوروا أن الملائكة بنات الله، وغالبتهم أخلاقيات الطيش والعصبية القبلية، والتفاخر بالأحساب والأنساب، وشاعت فيهم رذائل الخمر والميسر، والاستقسام بالأزلام ومنهم قبائل بالغت في الشطط فكرهت الأنثى حتى إن منهم من وأدها.

وبرغم هذه الانحرافات الواضحة في العقيدة والسلوك فقد كانوا على قيم وفضائل يعز وجودها في غيرهم من أمم الأرض كما احتفظوا بقدر كبير من صفاء الطبع، ونقاء الفطرة، وسلامة العقل وبرئوا تماما من كثير من آفات الحضارة وسلبياتها المؤثرة في قوة الشخصية والحرص على الحق وإباء الضيم ورفض المذلة والهوان.

من في أمم الأرض حينذاك يرفض نقيصة الكذب كما كان يرفضها العربي؟ إن ابا سفيان مع عدائه الشديد لرسول الله ﷺ أبى أن يكذب عليه في مجلس هرقل عظيم الروم مع حرصه على الإساءة إليه لو استطاع، لكنه لم يقل عنه شيئا مخالفا للواقع حتى لا يتناقل أصحابه حديث كذبه، ويصبح عاراً لا يمحى.

لقد سأله هرقل عن محمد: هل يغدر؟ قال: لا. ونحن معه في عهد لا ندري ماهو صانع فيه. وكان ذلك بعد الحديبية، ويقول أبوسفيان: كنت أود أن أقول شيئا يسيء إلى محمد، ولكني لم استطع أن أقول إلا هذه العبارة التي توحي بالتشكك في وفائه. من في أمم الأرض ملك فضيلة التعفف إذ يقول عن شربه للخمر: إنها تهلك ما له لكنها لاتنال من عرضه، ولا تمس صفة الكرم الأصيلة فيه:

وإذا شربت فإنني مستهلك مالي
وعرضي وافر لم يُكْلَمِ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي

وجارته لها حق أي حق لا تمتد إليها منه نظرة باغية، فاجرة، بل يغض طرفه حتى تذهب الجارة إلى بيتها، إنها الفضيلة التي أكدتها الرسالة الخاتمة في سورة النور، ويقول الشاعر:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

والمرأة إذ ذاك متعففة بطبعها، حفيظة على سر زوجها في غيابه، سعيدة بعودته وحضوره يقول عنها الشاعر:

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره
وترضي إياب البعل حين يؤوب

ومن في أمم الأرض كان يهش للضيف، ويتوفر على إكرامه؟ بل ويبحث عن ضيف يؤاكله إذا لم يقدم عليه ضيف، ويعد عبده بالعتق إذا أحضر له ضيفا، ويقول له في رجزه:

أوقد فإن الليل ليل قِر
والريح ياموقد ريح صرُّ
عسى يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفا فأنت حر

ويقول الآخر لجاريته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا فإني لست آكله وحدي

وحركة الصعاليك التي ظهرت في الجاهلية لم تكن مجرد ظاهرة إجرامية، وإنما كان لها وجه اجتماعي مشرق، حتى رذيلة الميسر كان لها جانب وضاء لأن ما كانوا يغنمونه من مقامراتهم كانوا يوزعونه علي فقرائهم كما كان يوزع الصعاليك ما سلبوه من الأغنياء البخلاء على العاجزين والضعفاء.

وكان الأحيمر السعدي، وهو أحد الصعاليك يقول شارحا منهجه في الصعلكة:

وإني لاستحيي من الله أن أرى
أجر بحبل ليس فيه بعير
وأن أسأل النذل البخيل بعيره
وبعران ربي في البلاد كثير
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

وأعجب مافيهم وفاؤهم النادر، لا يصرفهم عنه صارف مهما بلغ من قدرة على الإغراء والإغواء والناظر في تاريخهم يلمس ذلك بوضوح في سلوك عبدالله بن أريقط، هذا الرجل المشرك الذي كان دليلا للنبي وصاحبه في رحلة الهجرة، وأجره بضعة دراهم، وقد سمع بأذنيه نبأ الجائزة الضخمة التي رصدتها قريش لمن يدلهم علي مكان محمد وصاحبه، وهو يعلم ولكنه لم يفعل لأن الوفاء بالعهد عنده أغلى من الدنيا وما فيها من متاع.

ويذكرنا حديث الهجرة بتراجع قريش عن اقتحام بيت محمد، حتى لا يروعوا بنيات في خدورهن إنه برغم العداء مستوى عظيم من المرؤة والإباء.

وكان في رحابهم المتحنفون الذين استبقوا - برغم ظلمات الجاهلية - استقامة الحنيفية وسموها وتحدثوا عن التوحيد، ورفضوا الشرك ودعوا إلى التقوى وذكّروا اخوانهم بيوم الحساب. يقول زهير بن أبي سلمى:

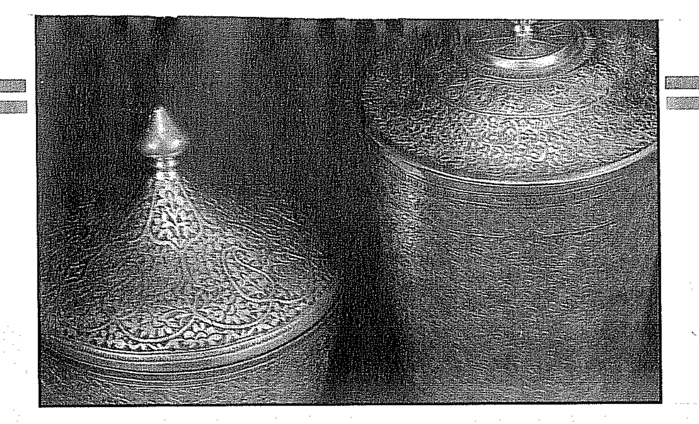
فلا تكتمُنَّ الله ما في نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكان زيد بن نفيل يقول:

إن تقوى ربنا خير نفل
وبإذن الله ريثيى والعجل
أحمد الله ولا ند له
بيده الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

هذا هو واقعهم السلوكي، انه يوحي بأن هذه الأمة على ما بها، خير من سواها، وانها تعد لأمر عظيم ولأجل هذا عندما أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يعبر عن المهمة التي ابتعث لأجلها، قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [رواه أحمد، والبخاري في الأدب]. إن جذورها قائمة في أعماق هذه الأمة، ومظاهرها لم تغب تماما عن ساحتها والنقص الذي اعتراها، جاءت الرسالة الخاتمة لإتمامه.

أرجو أن أكون قد وفقت في الإجابة عن هذا التساؤل الذي أثار هذه القضية الهامة. والله سبحانه الهادي إلى سواء السبيل□



عرف آباؤنا علوما كثيرة مثل خواص المادة، ومقاومة المواد.. وإذابة المعادن وتشكيلها.. ومهروا في صناعة الأدوات الطبية الدقيقة

الصناعة عند المسلمين

بقلم:
د. ماهر خليل*

دأب البعض من المستشرقين على القول إن الإسلام دين روحاني عظيم، اهتم بإصلاح النفس وتربيتها، فجعل المسلمون هذه الأمور شغلهم الشاغل، ولم يهتموا بأمور دنياهم، وتبعهم في هذا القول نفر من أبناء الشرق الإسلامي عن جهل بحقيقة دينهم، وتاريخ أجدادهم.

والحقيقة، أننا لو أجلنا النظر في صفحات التاريخ مستصحبين معنا آراء الدارسين والباحثين في تاريخ العلوم، لوجدنا أن المسلمين الأوائل قد حازوا قصب السبق في العديد من الصناعات، ففي القرن الرابع الهجري، سجل لهم التاريخ براعتهم في صناعة الزجاج والفسيفساء والخزف وصناعة النسيج، ولم يكتفوا بنقلهم عن الفينيقيين القدماء صناعة الزجاج والحرف، بل أضافوا إليها التطعيم بأحجار كريمة والمنمنمات، وإكسابها لمعانا وبريقا.

أما صناعة الحديد والصلب فنجد اهتمام أهل اليمن وحضرموت وسبأ وحِمْيَر بتلك الصناعة واضحاً، فقد جلبوا الحديد من الهند لرخص ثمنه، ولعمل السلاح والسيوف على وجه الخصوص، لأنه كان مفخرتهم، ثم طوروا القسي فعملوا منها أنواعا تستطيع أن تطلق عدة أسهم دفعة واحدة، وتوصلوا إلى صناعة برج رشاش يطلق السهام في جهات أربع، وصنعوا الخذى الحربية والقلوع، والحصون، والأبراج، والمنجنيقات، والزحافات، والتي تعتبر الشكل البدائي للدبابات الحديثة. واستعملوا القذائف الحجرية التي يتراوح وزنها من ستين إلى مائتين وخمس وعشرين كيلوجراما، وصنعوا آلات لصيد الأفاعي والعقارب.

وعرف المسلمون القذائف المجوفة، والتي كانت تصنع من النحاس أو الزجاج، وتملأ بالمواد الحارقة، ومن هذا يتضح لنا أنهم عرفوا علوما كثيرة مثل خواص المادة، ومقاومة المواد، وزوايا إطلاق القذائف. لقد برع المسلمون في فنون تلك الصناعة لأن الجهاد كان هو قوام الدولة، وخاصة في بداية العهد الأيوبي، وكذلك صناعة الأساطيل، فلقد ذكر المقدسي أسماء لعديد من السفن مثل زمزم ومعبر ومثلثة وزورق وطيار وأسطول قبرص الشهير، وما أنشأه الطولونيون في مصر من أسطول يتألف من ستمائة سفينة وقوارب لخدمة الأسطول.

أما صناعة الأدوات المعملية والأجهزة الدقيقة فلهم في ذلك شواهد كثيرة كالآلات الجراحية التي استعملها الزهراوي في العمليات الجراحية، وكذلك الحال في صناعة الأدوات الميقاتية مثل المزولة وغيرها التي استعملها علماء الفلك كالبيروني والخوارزمي، وآلة ذات الحلق التي اخترعها عباس بن فرناس، ليحدد بها مواقع النجوم ليلا ونهاراً، وآلة تحديد الوقت التي أهداها إلى ملك البرتغال.

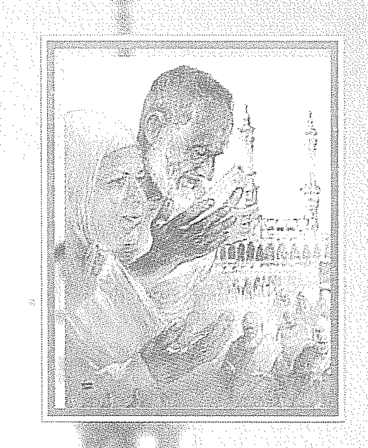
بالنسبة لصناعة الفخاريات، فما تركه المسلمون من آوان فخارية في سورية ملونة بالأخضر والأصفر. وأخرى خزفية في العراق وفي بغداد خاصة، وبلاد الشام عامة، لدليل على سبقهم في هذا المضمار، وكان ذلك، في القرن السادس الهجري، حيث عرفوا خلطات معينة للفخاريات، وخلطات أخرى، مكونة من عشرة أجزاء من الكوارتز.

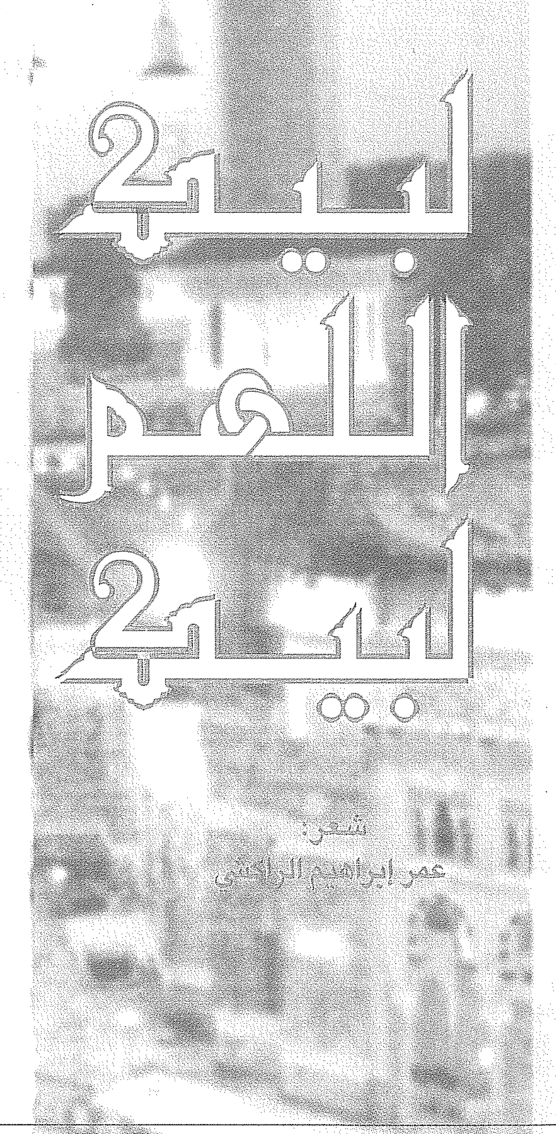
وفي مجال دباغة الجلود المستعملة في صناعة الأحذية والغمد للسلاح، واستخدام أصواف الخراف والماعز لدليل حي على تلك البراعة في هذه الصناعة، بل والجودة فيها والطابع العربي الفريد، وما اتسمت به صناعتهم أيضاً من جمال ورشاقة في التصميم لدليل واضح على نضجهم وتقدمهم في هذا الميدان.

هذا قليل من كثير قدمه المسلمون للعالم في ميدان الصناعة ليثبتوا للإنسانية جمعاء أن الإسلام دين ودنيا، فقد سمعوا قول ربهم: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ [يونس/١٠١]. فلبوا النداء مشمرين عن سواعد الجد، طامعين في ثواب ربهم ورضوانه.

فهؤلاء هم أجدادنا يا بني الإسلام، بنوا صرح الحضارة الإنسانية لبنة فوق أخرى، إلى أن طمع فيهم الطامعون، وأحب الناس الدنيا، وركنوا إليها، ونسوا الآخرة، فخفت نور حضارتهم إلى حين، فهل آن الآوان ليرتفع البناء، وتسمو النفوس، وتصفى أفئدة الذين لا يؤمنون□

*جامعة الكويت – كلية العلوم – قسم الجيولوجيا





لبيك اللهم لبيك

شعر:
عمر إبراهيم الراكشي

تجتـــاحني الأشـــواقُ مِنْ ذكـــراكِ
لم يَبْـقَ مِـنْ حُلْمٍ يطُـــوفُ عَـــداكِ
مضـت المشـــاقُّ كـأنما لم ألْقَهـــا
ودعـــا الفـــؤادُ اللـــهِ أن يَلْقـــاكِ
يـــا بقعـــةً جُمِعت قلـــوبُ النـــاسِ مِن
كـلِّ البقـــاعِ علَى مُتُـــون ضِيـــاك

***

العَـــــــوْدُ أحْمدُ لا أمـــلٌ ولا أني
فمتـى الــــرحيلُ إلى أعـــزِّ رُبـــاكِ
ومتـى يفيضُ الــــدمعُ عنــــد مُحمــــدٍ
ومتـى تهيـمُ الــــــروحُ تحتَ سَماكِ
ومتـــى يَهزُّ القلبَ مِـــن أعماقِــــــهِ
ذاك الصفـــــاءُ فهل يَجُودُ صَفـــاكِ

***

إنّ الطـــوافَ مـع الصـــلاةِ بســـاحـــه
جُمِعًـــا لـــديكِ ففـــزتِ دُون ســـواكِ
إنّ الـــوُلـــوعَ مـع الخشـــوعِ بســـاحـــه
لم يَمْنحـــا الأنحـــاءَ مـــا مَنَحـــاكِ
اللـــــهُ أكبرُ عنـــــد ركنٍ أسْعـــدٍ
اللـــــهُ أكبرُ فـــوقَ طِيبِ ثَـــراكِ
اللـــــهُ أكبرُ عنـــــدَ جَمْعِ جِمارِهِ
اللـــــهُ أكبرُ عنـــــدَ رَمَيِ حَصـــاكِ

***

(لبيـكَ أللهـمَ) تُقْـتُ لِقَـــــــــوْلِهَا
مـع كلِّ خَطْـــوٍ مِـنْ حَبِيبِ خُطـــاكِ
أحْلَى نِـــــداءٍ صِيغَ تحتَ سمائِنــــا
لا شيءَ يَحْلُـــو في فَمِي كَنِـــــداكِ
يَعْلُـــو النـــداءُ لـــديكِ في أسْماعِنـــا
ويَظَـلُّ بَعْـــــدَ الحجِ مِلْءَ صَـــــداكِ

من أسرار الحج

فرض الله الحج على أمة الإسلام منذ أن رفع إبراهيم وابنه - عليهما السلام - قواعد البيت العتيق في أطهر بقعة على وجه المعمورة، فقد أمره المولى - عز وجل - أن ينادي في الناس بالحج، فنادى عليه، وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا﴾، فلبى الناس، حتى الذين ما زالوا في أصلاب آبائهم.

منافع دنيوية وأخروية

وإذا كان النداء عاما لجميع الناس في كل زمان ومكان، فإن هذا يعد أحد مؤشرات الوحدة ضد العدو الأكبر (إبليس اللعين).

وإذا كان المولى - عز وجل - قد ضمن لزواره مغفرة ذنوبهم: (الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم)، فإن للحج منافع دنيوية أخرى اقرأ - إن شئت - قول المولى سبحانه: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم﴾ [الحج: ٢٧و٢٨].

وقف وتأمل قول الله: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾، تجد أن كلمة (منافع) جاءت جمعا ونكرة، وقد علل المفسرون وأهل البيان هذا المظهر الجمالي في اللفظة الكريمة، بأنها تفيد العموم والشمول، وكذلك التعظيم(١).

فهناك منافع كثيرة - قد لا يدركها القارىء - يجنيها الحاج وكل المسلمين، من هذه الفريضة، وهي لا شك منافع عظيمة دنيوية وأخروية.

ونظرا لأهمية النواحي الاقتصادية والسياسية، فما الذي يمكن أن يخدم الناحية الاقتصادية والسياسية من الحج؟ أو بعبارة أخرى ما المنافع والمقاصد الاقتصادية والسياسية في الحج؟!

المضمون السياسي

يأتي الحجاج من بقاع مختلفة، بوسائل متعددة، يتحدثون لغات ولهجات متباينة .. وقد تركوا الدنيا خلفهم: المال، الأهل، المنصب، الحسب، النسب، والزي. لكنهم توحدوا في الهدف والغاية، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ.

ومن أجل هذا الهدف العظيم، نراهم قد لبسوا زيا واحدا، وتكلموا لغة واحدة، واتجهوا نحو قبلة واحدة.

فهذه وحدة أقوى من كل وحدة، ورابطة من أوثق الروابط، تتعدى الحدود والفواصل مهما تعددت.

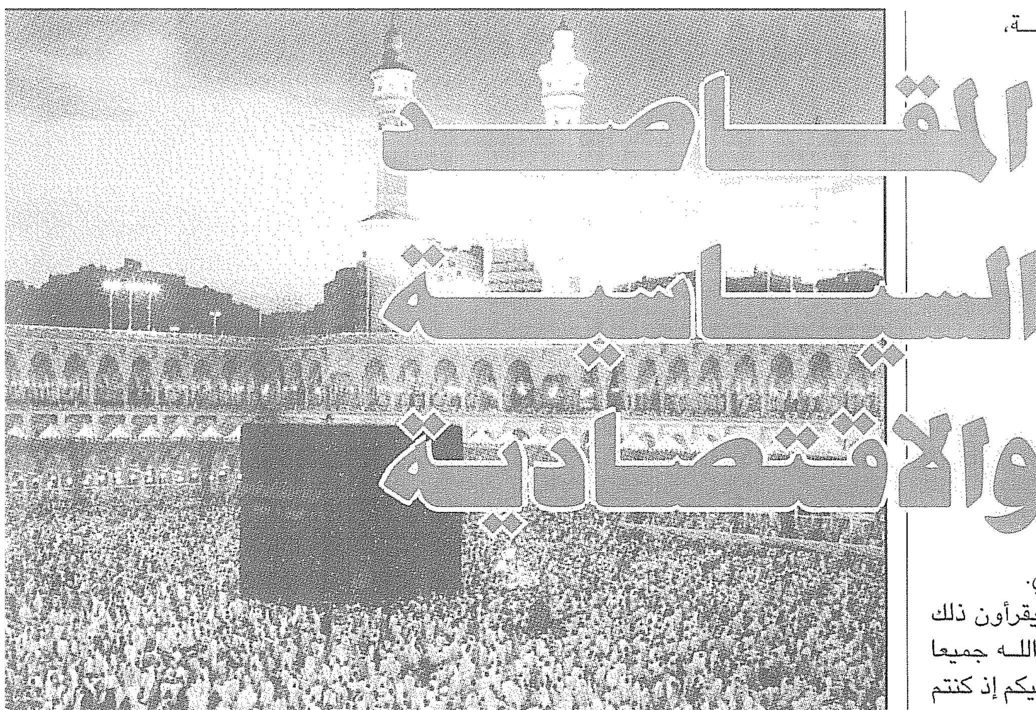
فما أحوج المسلمين، وقد تباينت أوطانهم، وتغايرت أوضاعهم السياسية ونظمهم القيادية والدستورية أن يتحدوا معا في هذه البقاع الطاهرة، ويدرسوا



*عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

أوضاعهم، ينبذون الفرقة، ويجمعون الشمل، ويصفون الأجواء.

ينظرون أوضاع الأقليات الإسلامية في جميع أنحاء العالم، يمدون لها يد العون والمساعدة. يقفون يدا واحدة ضد أي عدو لأي بلد إسلامي. يكونون اتحادات ومنظمات إسلامية على غرار المنظمات الأخرى، ينشطون المنظمات الحالية. يفعلون كل ذلك وغيره، وقد خلصت نواياهم، وصفت قلوبهم من كل المظاهر التي يمكن أن تشكل عائقا في هذا الميدان الحيوي.



والقرآن الكريم يناديهم وهم يقرأون ذلك ويسمعونه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ [آل عمران:١٠٣]. فهلا ذكرنا نعمة الله علينا، الذي آلفنا بعد تفرق، واعتصمنا بحبل متين، وقاومنا العداوة والنزاع؟

المضمون الاقتصادي

من المعلوم يقينا أن الناحية الاقتصادية تؤثر في الناحية السياسية، وتتأثر بها، فالاستقرار الاقتصادي - في أي مجتمع - دليل على الاستقرار السياسي، واستقرار الأحوال السياسية، كذلك يؤثر في الجانب الاقتصادي.

ولما كانت الوحدة والتعاون من المظاهر السياسية في الحج، فإن الأوضاع السياسية، وكذلك الاقتصادية، تتأثران بهذا المظهر. ففي الحج فرصة للتعاون الاقتصادي، والتكامل التجاري، فيمكن من خلاله الاطلاع على نتاج الآخرين، ومصنوعاتهم، ومزروعاتهم، مما يجعل الفرصة مؤاتية لهذا التعاون(٢).

ويمكن أن يمتد هذا التعاون ليشمل قاعدة أكبر، وذلك لتكوين التكتل الاقتصادي الذي يحلم به الجميع (سوق إسلامية مشتركة)، على غرار ما تفعله المجتمعات الأخرى.

إن لدينا - والحمد لله - الكثير من مقومات هذا السوق، أكثر من أي مجتمع آخر، وأقوى هذه المقومات الإسلام نفسه.

كما أن دراسة الأوضاع الاقتصادية للدول الإسلامية، ومد يد العون والمساعدة للدول الفقيرة من القضايا التي يمكن أن تشكل نقاط بحث ودراسة بين المسؤولين عن هذا الجانب في عالمنا الإسلامي مترامي الأطراف.

وإذا كانت الشعوب الإسلامية ذات مصير واحد، وهدف واحد، فإن جسور التعاون الاقتصادي لن تجد - بإذن الله - ما يعوقها، كذلك فإن تشابه الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي من ظروف سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، تحتم هذا التعاون، الذي يخرج بها من حدود الإقليمية التي صنعها الاستعمار لتحقيق مآرب لنفسه، والإضرار - في المقابل - بهذه الشعوب، وجعلها تابعا اقتصاديا له، بعد أن فشل في السيطرة السياسية عليها، متحكما في اقتصادياتها، وقوت شعبها.

فمتى أدرك المسلمون هذا التصور، باتوا يعتصمون بحبل الله جميعا، وينبذون الفرقة. ومن خلال هذا التصور - أيضا - يمكن تنشيط حركة الاستثمار في البلاد الإسلامية، في كل بلد على حدة، ثم بين بلدان العالم الإسلامي، والقضاء على معوقات هذا النشاط الحيوي(٣).

ومن خلال رحلة الحج المباركة، يمكن التعرف على التجارب الاقتصادية للدول الإسلامية، والاستفادة منها، بعد تكييف هذه التجارب مع ظروف كل مجتمع على حدة.

ومن هذه التجارب - التي هي أولى بالتطبيق - تجارب بعض الدول الإسلامية في النظام المصرفي، والقضاء على النظام الربوي في التعاملات المالية، وإخضاعها للشريعة الإسلامية الغراء، ومما يؤسف له انتشار البنوك الربوية في بلدان كثيرة من العالم الإسلامي، وما دامت القاعدة المالية (ربوية)، فإن أي نشاط اقتصادي مهدد بالكساد والتوقف.

وبعد، فالحج بمقاصده السياسية المتمثلة في الوحدة والتضامن، لا يمكن فصله عن المقاصد الاقتصادية، التي تعد مؤشرا على النجاح السياسي. فهلا استفاد المسلمون بهذه المضامين فسعدوا في الدنيا والآخرة. نسأل الله ذلك□

الهوامش:

١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، نقلا عن الفخر الرازي، ص٢٢٨.

٢) مجلة المنهل/ جدة، ع٥٠٥/ ذو الحجة ١٤١٣هـ، ص١٢.

٣) راجع دراسة للكاتب نشرت في العدد رقم (١٣٨١)، بعنوان (رؤية إسلامية لمعوقات الاستثمار في الوطن الإسلامي)، وذلك في جريدة (العالم الإسلامي)، مكة المكرمة.

قال فاخرج منها فإنك رجيم

مع صديق على شرفة في المسجد الحرام:

هزني، خلني أحس بصدق
أنني، لست حالما مذهولا
حين ابصرت كعبة الحق اضحى
نبض فكري بسحرها مشغولا
قد دعاني إليها ينبوع نور
شع وانثال صافيا معسولا
هاميا بالصفاء والطهر يدعو
ظامىء الروح ان يروى الغليلا
فتقدمت وخفق قلبي، شوقاً
ألثم البيت بابه والسدولا
ومع الطائفين، طفت ألبي
ودموعي تصعِّد الترتيلا
وجوار المقام صليت حمدا
أسأل الخالق العظيم،قبولا
أنا لبيت ياإلهي فشكرا
أنا حققت حلمي المستحيلا

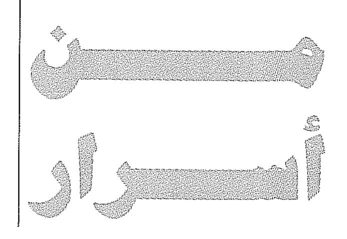
قف معي، وانظر الحشود توالى
موج بحر، فهل رأيت مثيلا؟

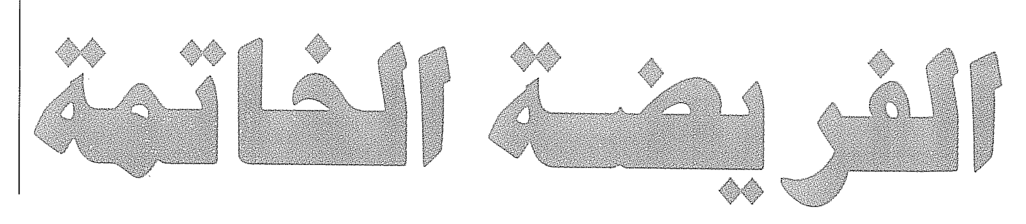
الدنى كلها هنا قد تلاقت
هدفا مخلصا، وقصدا نبيلا
أقبلت نحو مهبط الحق ترجو
رحمة الله بكرة واصيلا
خلعت زخرف الحياة وعافت
عرض العيش تافها مرذولا
وارتضت شرعة العقيدة نهجا
سدد الخلق غاية وسبيلا
لو تفرست في الوجوه مليا
لن ترى بينها ضعيفا ذليلا
بل جباهاً أضاءها الطهر لما
صدقت منقذ الوجود..الرسولا
ومضى الكل إخوة جمعتهم
دعوة الحق، مبدأ وأصولا
وحدتهم برغم جنس ولون
وهدتهم بصائرا وعقولا

ياضيوف الرحمن، في خير دار
وحماة الإسلام جيلا فجيلا
طويت صفحة الذنوب، ونلتم
شرف السعي والثواب الجزيلا
انتم اليوم، تبعثون بصدق
أملا مشرقا، ومجدا أثيلا
وغدا، سوف ترجعون لدنيا
صيرتها الأطماع، شرا وبيلا
فابدأوا رحلة الجهاد، وكونوا
ساعد الحق ،سيفه المسلولا
جابهوا الحقد بالفضيلة حتى
لانرى بيننا حقودا جهولا
واصمدوا جبهة تعزز دينا
وسع الكون جوهرا وشمولا
نحن في هديه، نعيش كراما
أو أذلاء، إن رضينا بديلا

شعر: محمد مروان جميل مراد

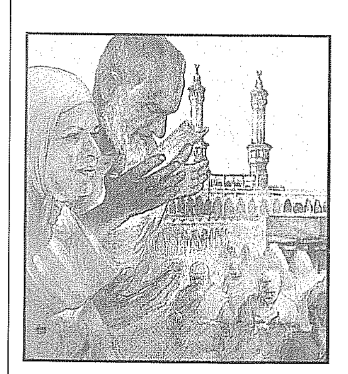
المشهد الخالد





ويح هؤلاء الذين يشتطون في معاملة ضيوف الرحمن ويعاملونهم على غير أساس من العدل والإحسان

لكل عبادة في الإسلام هدف تسعى إليه، وحكمة تنشدها. قد تخفى الحكمة علينا حينا، ولكن الشريعة تتنزه عن العبث، وتعمل لصالح الإنسان فردا وجماعة. والحج - الركن الخامس من أركان الإسلام - فيه من الأسرار والحكم ما أدركها علماؤنا، ولاتزال متجددة حتى يومنا هذا، وقد يضاف إليها الجديد. هذا المقال يحدثك عن بعض تلك الأسرار...



في آيات من القرآن الكريم، وفي أحاديث النبي ﷺ ما يكشف النقاب عن جوانب ذوات عدد من أسرار الله تعالى وحِكَمه في مشروعية فريضة الحج الخاتمة للتكاليف الإلهية للأمة الوارثة.

ولا يكادالمرء يملي لعقله قليلا في قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج﴾ [البقرة/١٩٧] حتى تطالعه لأول وهلة كلمة (الحج) وقد تكررت ثلاث مرات في جمل قليلة الكلمات، فإذا روى المرء لعقله في ذلك مرة أخرى تبين له وجه من وجوه الإعجاز في كتاب الله العزيز، فإن للكلمة في كل مرة تكررت فيها معنى يتضح، وتقوم به وبأخويه حجة الله الرؤوف الرحيم بعباده.

فالكلمة في أول الآية تحديد لزمان الحج - على أشهر ما قيل - مما كان معروفا عند العرب الذين نزل بلغتهم القرآن، وكان الخطاب به إليهم أول الأمر، وهم أصحاب لسانه!!

وقد حدد الفقهاء ذلك الزمان وعينوه استخلاصا مما صح لديهم نقله عن صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه، وعمن أخذوا عنه، ومن بلغوهم ذلك، أجل عينوه في شوال وذي القعدة وذي الحجة كله، أو أيام منه تنتهي بأيام التشريق، فكأن أشهر الحج شهران وأيام وليست أشهرا، وإنما جمعت على ذلك القول لأمر من أمرين ذكرهما ابن الجوزي نقلا عن الأنباري.

أولهما: ان العرب توقع الجمع على التثنية كقوله تعالى: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ [النور/٢٦] وإنما يريد الله تعالى عائشة وصفوان.

وثانيهما: ان العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون: قتل ابن الزبير أيام الحج، وإنما كان القتل في أقصر وقت (زاد المعاد، ج١، ص٢١٠).

أخلاق الحج

والكلمة الثانية في قوله تعالى: ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ عينت ما ينبغي التزامه منذ الإهلال بالحج، والدخول العملي في هذه الفريضة.

وهي طائفة من الفضائل المعتبرة في كل زمان ومكان، ولكنها تكون أوجب على من يفد على بيت الله، ويغشى حماه، وهل تتحقق (لبيك اللهم لبيك) وتصدق ممن لم يتأدب بآداب مولاه، وهو في أقل القليل، يستظل بظلاله، ويطمع في رحمته وكرمه ونواله؟!

وإذا كان الإنسان السوي يحترز من اقتراف مالايليق بمجلس الآباء من أقوال وأفعال، ويدير الكلمة في فيه، مستشيرا - مرات ومرات - قلبه وعقله، قبل أن تنفرج عنها شفتاه، وينطلق بها لسانه، وتتكشف عنه - والمرء مخبوء تحت لسانه - كما يقولون..

فإن بيت الله وما حوله من مشاعر الحج، أحق بأضعاف هذا التحرز والتصون والاحتشام من الفحش ودواعيه، ومن الخروج على حدود الشرع، وما تستلزم من تقوى الله ومراقبته، ومن المراء والأخذ والرد، فيما تبين فيه وجه الحق كما قال ربنا جل شأنه: ﴿ولا جدال في الحج﴾.

بقلم الشيخ: معوض عوض إبراهيم

السفر مُعلم

كم تضيق صدور أقوام في الأسفار، وتضعف قوة احتمالهم للظروف التي تصحب الاغتراب، وتكتنف التحول عن الأهل والسكن، من اختلاف مألوف الطعام والشراب، ومعتاد الثياب، وإن كانت الأسفار بطبيعتها أكبر معلم، وأقوى ملهم حين تعصمها تقوى الله تعالى، فهي تطل بنا على كثير من الفضائل وخصال الخير، صبرا ودراسة، وعلما بما يقوم بين الجماعات من فوارق، والحج في القمة من تلكم الأسفار..

مؤتمر عالمي

ألسنا نستجيب فيه لحق الله على المكلفين الذين استطاعوا إليه سبيلا؟

ألا نتلاحم فيه وإخواننا الذين أرادوا من الحج مرادنا، واجتهدوا فيه اجتهادنا، وتركوا له أوطانهم وأولادهم، كما تركنا أوطاننا وأولادنا؟!

ألم تجمعنا الأحوال والأعمال، وبخاصة وحدة الثياب وجريانها على صورة لا يبقى معها - ولو إلى حين - سلطان لذي سلطان، ولا لقب لذي لقب، ولا نسب لذي نسب؟! فقد ارتفع على كل ذلك سلطان الإيمان، ولقب العبودية للواحد الديان، ونسب ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات/١٣].

فكيف يجفو فؤاد حاج أو يعنف في قول أو فعل، أو يذهب غافلاً عما استهدف من رضوان الله، إلى معصيته، والخلاف عن أمره تبارك وتعالى؟!

ذكريات

إن الارتحال والانتقال خلال الديار نافعان في وصل الحاضر بالماضي، واستلهام العظات التي هي قبس من سير الأولين، بَرّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، على ضوئه نسير، ويسير الأخلاف، وتلك أمور يحرص المؤمنون عليها في أسفارهم بذواتهم، واتصالهم بخواطرهم وأفكارهم بأول بيت وضع للناس في مكة مباركا وهدى للعالمين، وجعله الله مثابة للناس وأمنا، وتتابعت فيه ومن حوله رعاية الله، منذ هاجر بإسماعيل وإبراهيم وأمه هاجر - عليهم السلام - إلى واد غير ذي زرع!!

وجعل أفئدة الناس في أي جانب على ظهر هذا الكوكب تهوي إليه، حتى جاء إلى الدنيا نبينا محمد ﷺ من لدن ربه، بأجمع شريعة، وأرفع نظام، وأمثل أسوة في أعماله، وأعمال الذين آمنو معه،

وهذا عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، واحد من طلاب مدرسة الوحي، يتمثل القرآن بكل مكان، وعلى كل حال، ويزداد له تمثلا وهو يرعى البلد الحرام والبيت العتيق، فيضرب خيامه خارج حدود الحرم، ويطوف كل يوم ويصلي، ثم يرجع إلى خيامه ويبيت فيها، خشية أن يهين أحد غلمانه أحدا فيكون بذلك واقعا في قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥].

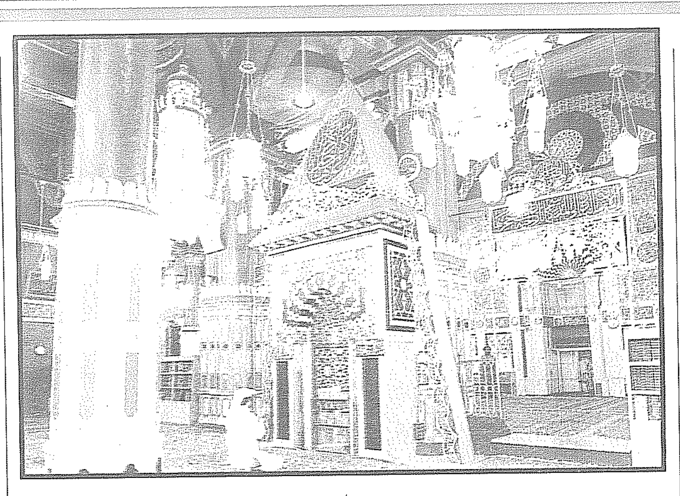
وإنه لورع من عبد الله رضي الله عنه، لا يخفى معه أن استباحة محارم الله في البيت الحرام إلحاد بظلم، والإلحاد في الآية في أصح معانيه: هو الانخلاع عن دين الله.. والمعنى اللغوي للإلحاد، وهو (الميل) مُلاحَظ في المعنى الشرعي، وهو الكفر والشرك وفعل شيء مما حرمه الله، وترك شيء مما أوجبه سبحانه.

الإلحاد بظلم

ولقد أدخل بعض الفقهاء في الإلحاد، احتكار الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم، وهو بلد الله الآهل، وبيته المحجوج، وحظيرة قدسه، ومنزل وحيه، ومشرق أنوار توحيده، ومصطفى خيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه.

وقد أخرج البخاري في تاريخه، وأورده السيوطي في الدر بسنديهما عن عمر بن الخطاب موقوفا قوله: «احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم».

ويا ويح الناس، كم يظلمون في غير مكان، ويشتطون في معاملة ضيوف الرحمن، وفي مداخلتهم على غير أساس من العدل والإحسان..



التوسعة والإعمار

وإذا كان تاريخ الرفادة والسقاية قد غاب عن الناس، ولم تفعل أصداء هذا التاريخ فعلها في القلوب والأفئدة من القرآن الباقي والسنة المأثورة، فإنهم ليرون - لا ريب - السهر الموصول والجهد المبذول، والعطاء الذي تسخو به أنفس ولاة الأمور في المملكة لإبلاغ وفد الله أمنه وسعيه بكل منزل وجانب في المشاعر المقدسة والسبل الموصلة إليها، وما أنسى ليلة قريبة من ليالي رجب عشتها حول الكعبة، وقد اتسع مجال الطواف حولها، وزالت كل أسباب المشقة والإعياء التي كانت تأخذ بلا هوادة بمخانق الطائفين، إن مشاعر هذه الليلة مازالت آثارها الحسان، وكأنني أعيشها الآن!!

وابن الجوزي رحمه الله يقول في (زاد المسير) (إن الإمام أحمد بن حنبل قد سئل: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة؟! فقال: (لا. إلا بمكة، لتعظيم هذا البلد).

الاحتراز من المعصية

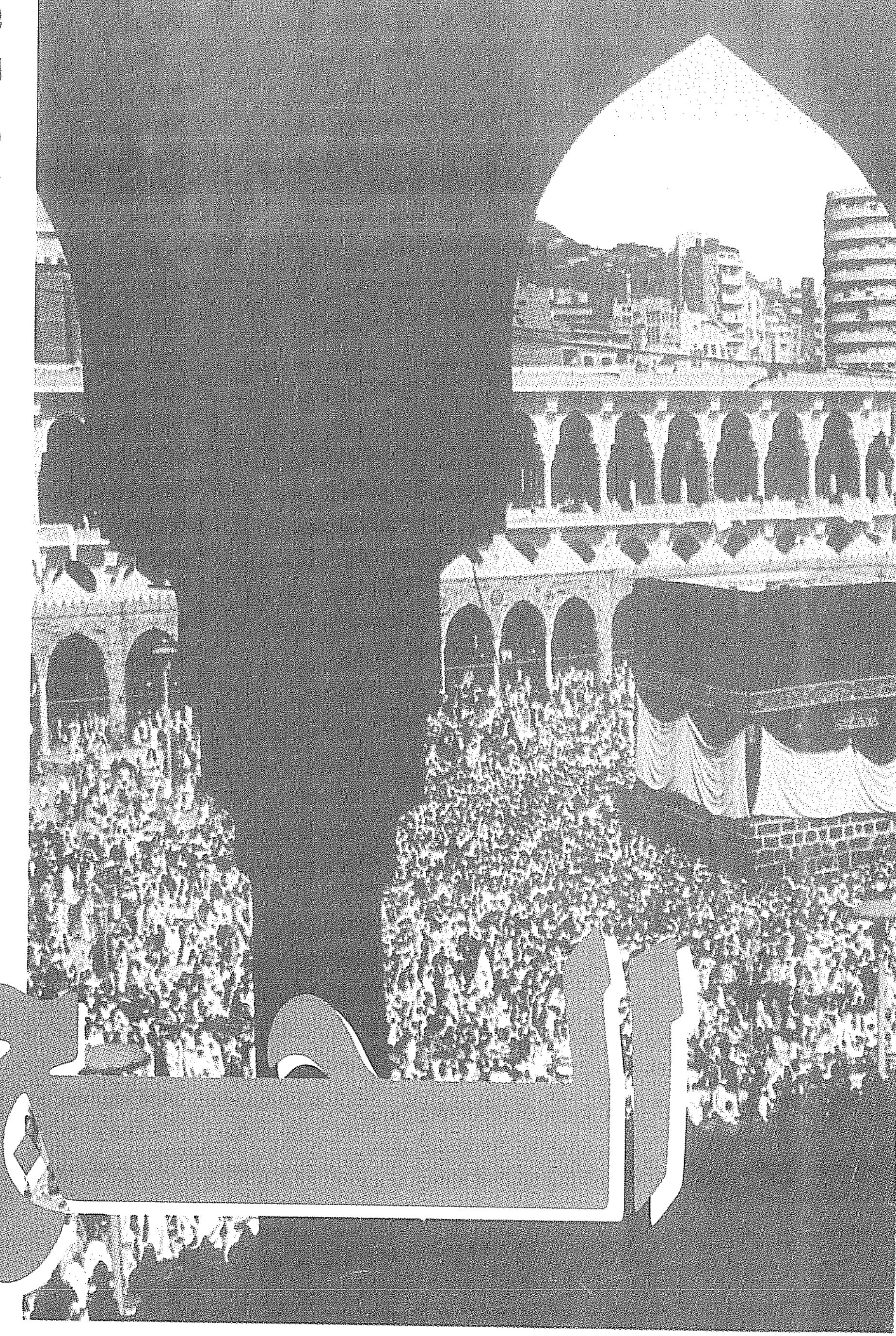
قال ابن الجوزي: (وأحمد رحمه الله يرى فضيلة المجاورة بها.. وقد حرص على ذلك نفر من صحابة رسول الله - ﷺ، ورضي عنهم - كجابر بن عبد الله وابن عمر وهي أمل نسأل الله أن ييسره.

لكن المجاورة لها آدابها وحقوقها بعامة، وهي أوفر حقا لبيت الله الحرام: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور/٦٣]. ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ [الأنفال/٢٥]. ولقد قرأها الزبير بن العوام فقال رضي الله عنه: (لقد قرأناها وما نرى أنا من أهلها، فإذا نحن من أهلها).

ويقول ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية: (أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب).

وبعد، فليس من الفطنة بحال، أن يجهل أحد مكانه وزمانه وإخوانه، وألا ينفق في الصالحات إمكانه، في أول فرصة تواتي، فالفرص لاتواتي دواما، وهي حين لا تنتهز للخير تزول وتبقى حسراتها تعتلج بها الحلوق والصدور، والتزود بالتقوى والأمر بها هما ختام آيات الحج، وهو تذييل يقر في الأنفس أن كل طاعة لا ينتهي بها المرء إلى التقوى فهي هباء يوم تجزى كل نفس بما كسبت.

أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد□



في العاشر من ذي الحجة الحرام من كل سنـة تهوي أفئدة الملايين من أهل القـرآن صـوب مكة المكرمـة. ومئات الألـوف منهم يـولـون وجـوههم قبل البيت الأقدس حيث الكعبـة المشرفـة مشاة وعلى كل ضامـر، أو فوق ثبج البحـار وفي أجـواز الفضاء، ليشهدوا منافع لهم عبر مناسك الحج، استجابة لدعوة الله عز وجل، حيث يـؤدون الفريضة المكتوبة التي لا يكتمـل إيمان المسلـم بدونها، إذا استطـاع إلى ذلـك سبيلا..

٢/١

الحج وبيـوت العـرب المعظمـة في الجـاهـليـة

بقلم: طـه الـولي*

* كاتب و باحث لبناني

وإذا كان الإسلام قد جب ما كان قبله، في الجاهلية، من ديانات العرب وأربابهم وعباداتهم، فإن المصادر التاريخية، قد حفظت لنا في بطون صفحاتها العديد من تلك الديانات والأرباب والعبادات، التي كان لها ذات يوم طقوس وشعائر وتقاليد، ليست بعيدة كل البعد عن الطقوس والشعائر والتقاليد التي حافظت في ظل الدين الإسلامي على كثير من مظاهرها وملامحها، ولو تحت أغراض ومعان وتأويلات تختلف عما كانت عليه في الزمن الذي سبق هذا الدين واشتهر في التاريخ والتشريع باسم الجاهلية.

العرب تقدس أماكن الحج في الجاهلية

والحج من الشعائر التي عرفها العرب في جاهليتهم ثم عرفوه بعد ذلك في إسلامهم أيضا، والمقصود بالحج هنا: الذهاب إلى الأماكن التي كان العرب يقدسونها في مواسم زمنية معينة طمعا في نوال رضى أرباب هذه الأمكنة. وجدير بالذكر أن العرب لم يكونوا ينفردون بهذه العبادة وحدهم من دون سائر الأمم. فإن ورود كلمة (حج) في كتابات الشعوب السامية، عموما، تدل على أن هذه الشعوب، ومنها العرب بالذات، كانت تمارس نسك الحج إلى بيوت تستقر فيها أربابها، وكثيرا ما كانت هذه البيوت تقع في الواحات ومواطن المياه وبعض المواضع الطبيعية التي كان المتعبدون، والذين وقذهم الورع، يشدون إليها الرحال للتبرك بها والتقرب إليها.

وهذا اللون من العبادة قد عرفه أهل الجاهلية وهو ما يؤكده وجود شهر (ذي الحجة) في عداد الشهور التي يتألف منها تقويمهم وهو التقويم الذي اعتمده الإسلام فيما بعد. وقد ورد اسم هذا الشهر بين النصوص المنسوبة إلى (المسند) باسم (ذو حجتين) كما وردت كلمة (الحج) في هذه النصوص كذلك.

وقد نقل الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) أن افيفانوس ذكر بين أسماء الأشهر عند العرب شهرا اسمه (حج البيت) أراد به شهر (ذي الحجة نفسه).

فوجود شهر ذي الحجة في التقويم الجاهلي، يدل دلالة واضحة على أن عرب الجاهلية، كانوا في خلال هذا الشهر، يقصدون (البيت) بقصد الحج. إلا أن النصوص التي بين أيدينا لم تحدد هذا (البيت) ولا مكانه. مما جعل المؤرخين يذهبون إلى أن الجاهليين كان لهم في شمال الجزيرة العربية وجنوبها أكثر من بيت واحد، يؤدون فيه هذه الشعيرة الدينية الهامة بطريقة لم تكن تختلف في مظاهرها عما هي عليه في الدين الإسلامي حتى اليوم(١).

أجل، كان للعرب - في جاهليتهم، إلى جانب (البيت الحرام) الذي في مكة المكرمة - بيوت محرمة أخرى، موزعة على القبائل المنتشرة في بطائح الجزيرة وتهائمها. وكان لكل من تلك البيوت ما للبيت مكة المكرمة من القداسة والاحترام والتعظيم والمناسك المماثلة وكان لها كذلك الرجال المخصصون الذين يقومون بما يتصل بها من مراسم العبادة ولوازم الخدمة والرعاية والحماية.

وهذا هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني يقول في كتابه (الاكليل في انساب حِمْيَر وأيام ملوكها): (وقد كان للعرب بيوت تحجها).

وفي كتاب السيرة (إن العرب اتخذوا من الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي إليها كما تهدي إلى الكعبة. وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها).

ويظهر من الآية الكريمة: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ [المعارج/٤٣]، وكذلك من أشعار الجاهليين، أن هؤلاء كانوا يقصدون الأنصاب للتقرب إليها ويقدمون الذبائح عندها، وأنهم كانوا يحجون إليها من مواطن بعيدة، فيجتمعون حولها.. كل يريد أن يكون السابق إلى أداء هذه المناسك الدينية، ويمكن القول بأن أهل الجاهلية كانوا يتخذون لكل صنم رئيسي من أصنامهم بيتا يستقل به ثم يجعلون من هذا البيت محجة ومزارا ويكتنفونه بنفس المراسم والشعارات التي كانوا يكتنفون بها (البيت الحرام) الذي في مكة المكرمة:

قال ابن حبيب في كتابه (المجرّ)(٢): (.. وكان شمر لبني تميم، له بيت، وكانت تعبده بنو إد كلها، ضبة وتميم وعدي وعكل وثور. وكان سدنته من بني أوس ابن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جرده بن أسيد بن عمرو ابن تميم. فكسره هند بن أبي هالة وصنوان بن اسيد بن الخلاص بن أويس بن مخاشن) وكان ذو الخلصة له بيت تعبده، بجيلة وخثعم والحارث بن تعب وجرم وزبيد والغوث بن مر واد وبنو هلال بن عامر، وكانوا سدنته، وكان بين مكة واليمن، كان بالعبلاء على أربع مراحل من مكة.. وكانت العرب تعظم هذه المجامع كلها التي يجتمع إليها كل سنة مرة.

وعلى هذا يمكن القول إنه كان من عادة العرب في جاهليتهم أن يجعلوا لكل صنم من أصنامهم بيتا خاصا به يعاملونه نفس معاملتهم للكعبة المعظمة التي بمكة المكرمة ويقدمون إليه الأضاحي وينذرون له القرابين من الإبل والماعز والخراف والبقر وينفحونه بالهدايا للحجابة والسقاية والسدانة. إذا تنقلوا بمضاربهم من مكان لآخر يصطفون لأصنامهم رموزا تمثلها وتنوب عنها ثم يصفونها في بيت على حدة أو في بعض بيوتهم ويمارسون عندها مناسكهم على نحو ما يفعلون في نفس البيوت التي يعظمونها في العادة ويتعبدون لها.

قال ابن الكلبي(٣): (وكان لأهل كل دار في مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر

مايصنع في منزله أن يتمسح به. وإذا أراد القدوم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا). وكان كل صنم يدعى (رب البيت) الذي هو فيه.

وكان العربي في الجاهلية يعرج على هذه البيوت (الكعبات) للإقامة في جوارها أياما قد تطول وقد تقصر تبعا لما كانت تقتضيه طقوسهم الوثنية آنذاك، فيرتاحون عندها ويستسقون الماء الذي بقربها وكثيرا ما كانوا يختارون لهذه الكعبات (الثانوية أو الإقليمية) الأماكن القريبة من عيون الماء أو مسيل الغدران، أو عند الواحات في الصحاري أو شعب الجبال والأودية.

ويقول جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام)(٤):

(.. والحج إلى مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى، مثل بيت اللات في الطائف وبيت العزى، على مقربة من عرفات، وبيت مناة، وبيت ذي الخلصة، وبيت نجران وبقية البيوت المعظمة، إنما هو أعياد يجتمع الناس فيها بأبهى ماعندهم من حلل وأجمل ما يملكون من ملابس الاحتفال معا بتلك الأيام، وهم يدخلون السرور على أنفسهم وعلى آلهتهم، بحسب اعتقادهم. وتقترن هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات كل يذبح بقدر طاقته ومكانته، فيأكل منها في ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم في أثناء السنة لفقره، فهي أيام يجد فيها الفقراء لذة ومتعة وعبادة).

وفي كتب الأخبار ومدونات الأشعار، أكثر من إشارة إلى أن القبائل العربية في جاهليتها، كانت في أعيادها الدينية تطوف حول كعبات أصنامها، وتتقرب إليها بالهدايا من المتاع والجواهر والسلاح. ثم تنحر عندها كرائم الأنعام والبدن بعد أن تتم الطواف. وذلك دلالة على إكمال شعائر الحج إلى تلك الأماكن المقدسة.

وإذا نحن رجعنا إلى ماكتبه المؤرخون عن البيوت التي كانت محل تقديس العرب وتعظيمهم في جاهليتهم، فإننا نجد هؤلاء المؤرخين يذكرون العديد من هذه البيوت التي كانت تحتل في المجتمع العربي وتقاليده الدينية، مكانة لا تقل في حرمتها وقداستها عن الكعبة المشرفة نفسها(٥).

الكعبة في أبنية الجاهليين وأشعارهم

ولعل الناس في الجاهلية قد فرقوا بين أبنيتهم العادية والبيوت التي كانوا يعظمونها بأن جعلوا هذه البيوت المعظمة مربعة الشكل بينما جعلوا المساكن العادية مدورة. ولما ابتنى حميد بن زهير لنفسه بيتا مربعا استعظمت قريش فعلته وقال قائلها (ربع حميد بن زهير بيتا، إما حياة وإما موتا)(٦) كما كانوا يطلقون على القصر ذي الغرف المربعة العالية: ذا الكعبات، وفي هذا المعنى قال المتلمس، الشاعر:

ألك السدير وبارق ومبايض
ولك الخورنق(٧)
والقصر من سنداد ذو
الكعبات والنخل المبنق

ومثله الأسود بن يعفر، في بعض الروايات، قوله(٨):

أهل الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذي الكعبات من سنداد

والشاعران كلاهما، يقصدان (بالكعبات) الغرف المربعة المرتفعة.

تعدد البيوت التي عرفت باسم الكعبة في الجاهلية

وقبل أن نتكلم عن الكعبة المشرفة التي تقدست في الإسلام وجعلها الله بيته الحرام في مكة المكرمة فإننا نستعرض فيما يلي أسماء البيوت التي عظمها أهل الجاهلية وحاولوا أن يضاهوا بها تلك الكعبة، وأن يصرفوا وجوه الناس عنها لأسباب قبلية أو سياسية أو دينية:

١) القليس:

وسميت بالقليس(٩)، لارتفاع بنيانها وعلوها، قال ياقوت الحموي الرومي نقلا عن عبدالرحمن بن محمد ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، والقليس، كنيسة عظيمة شادها ابرهة بن الصباح قائد جيش الحبشة، في صنعاء لما ملك اليمن ونقشها بالذهب والفضة وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر، وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس الناس ودهنها بأنواع الأصباغ، وجعل خارج قبتها برنسا، فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها، فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف الأبصار.

قال ياقوت: وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها بأنواع السخرة. وكان ينقل إليها آلات البناء، كالرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان.. وقال الحسم شاعر أهل اليمن في هذه الكنيسة:

من القليس، هلال كلما طلعا
كادت له فتن في الأرض أن تقعا
حلو شمائله لولا غلائله
لمال من شدة التهييف فانقطعا
كانه، بطل يسعى إلى رجل
قد شد أقبية السدان وادرعا

ولما انتهى ابرهة من بناء هذه الكنيسة كتب إلى النجاشي (إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب!)(١٠)

ولقد أراد ابرهة – وكان هذا نصرانيا – من بناء القليس، أن يتخذ منها كعبة تضاهي الكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة، كي يتحول إليها العرب ويجعلوا حجهم إليها من دون بيت الله الحرام، ولكن الله عز وجل لم يحقق له أمله. فلقد ذكر المؤرخون أنه لما تحدث العرب بما كتبه ابرهة إلى النجاشي، غضب رجل من بني نعيم وخرج حتى أتى القليس وقعد فيها (أي تغوط)

ثم لحق بقومه. فلما أخبر ابرهة بما أصاب هذه الكنيسة من التلويث المهين، قال من فعل هذا، فقيل له: هذا فعل رجل من أهل البيت الذي تحج إليه العرب بمكة. لما سمع قولك (أصرف إليها حج العرب) فجاء مغضبا وفعل فيها مافعل، وقال إنها ليست أهلا لذلك. فغضب ابرهة وحلف ليسيرن إلى الكعبة المشرفة ويهدمها. وفعلا أمر ابرهة جيشه بالاستعداد للحرب وخرج به ومعه الفيل على مقدمته، وفي هذه الواقعة نزلت سورة الفيل في القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾(١١).

٢) كعبة نجران:

ونجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة، وقد أخذت هذه الكعبة اسمها من نجران بن زيدان بن سبأبن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها. وكان أهل نجران نصارى وفيهم نزلت الآية الكريمة التي تشير إلى مافعله بهم ذو نواس اليهودي الذي أراد حملهم على اعتناق اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا الأمر الثاني. فحفر ذو نواس اخدودا والقاهم في أعماقه وجعلهم بين قتيل بالسيف أو قتيل بالنار، وفيما يلي قول الله عز وجل: ﴿قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود. ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ [البروج/ ٤-٩].

وكعبة نجران هذه، كانت بيعة بناها بنو عبد المدان الديان الحارثي وجعلوها على شكل الكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة، وبالغوا في ضخامتها وجعلوا لها قبة من أدم في ثلاثمائة جلدة وكانت هذه البيعة على نهر بنجران، وكان المسيح بن دارس بن عدي بن معقل يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وينفقها كلها على القبة. ولقد عظم نصارى العرب هذه البيعة وسموها (كعبة نجران) مضاهاة بالكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة.. ويقول ابن الكلبي في كتابه الأصنام: (إن كعبة نجران كانت ملجأ للخائف ومقصدا لطلاب الحاجات والراغبين في الضيافة ،فإذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت أو مسترفدا رفد)(١٢).

ولما جاء الإسلام وعمت دعوته سائر القبائل في الجزيرة العربية حرص النبي ﷺ على أن لا يبقى في هذه الجزيرة مع الإسلام أي دين آخر، وقال: «لأخرجن اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها إلا مسلما». ولم يستثن النبي ﷺ من هذا التعميم أي فئة أو موضع من هذه البلاد. بل إنه قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى نبه على أصحابه ضرورة إجلاء ما تبقى في الحجاز من اليهود وما كان في نجران نفسها من النصارى فقال: «أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب»(١٣).

ويظهر أنه بقي بعض النصارى في نجران بعد وفاة النبي ﷺ مستندين إلى كتاب كتبه لهم وسلمه إلى وفد منهم وفد عليه كان فيه السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبدالمسيح والأسقف وهو أبوحارثة، فلما ولي أبوبكر رضي الله عنه أنفذ لهم ما كتبه رسول الله ﷺ في هذا الكتاب، فلما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر مثل هذا الكتاب الذي لم يتأكد وجوده بالفعل، وقال كلمته المشهورة (لا يبقى في جزيرة العرب دينان) وأمر بإخراج هؤلاء النصارى من نجران كما فعل بغيرهم من أبناء الملل الأخرى. ولقد روى ياقوت الرومي عن سالم بن أبي الجعد قال:

جاء أهل نجران إلى علي رضى الله عنه فقالوا: شفاعتك بلسانك وكتابتك بيدك، أخرجنا عمر من أرضنا، فردها إلينا منيعه فقال علي: (ياويلكم، إن كان عمر رشيد الأمر، فلا أغير شيئا صنعه)!

ويقول الأعمش تعليقا على هذه الواقعة: لو كان في نفسه (أي علي رضى الله عنه) عليه شيء لاغتنم هذا!

ولقد أتى الشاعر الأعشى على ذكر نجران وكعبتها في قصيدة له يخاطب ناقته:

وكعبة نجران حتم عليـ
ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيدا وعبد المسيح
وقيسا، هم خير أربابها
وشاهدنا الورد والياسمـ
ـين والمسمعات بقصابها
ويربطنا دائم معمل
فأي الثلاثة أزرى بها

٣) كعبة ذي الخلصة:

الخلصة في اللغة ، نبت طيب الريح، يتعلق بالشجرة له حب كعنب الثعلب وجمع خلصة، خلص بفتح أوله وثانيه. ويضاف إليه ذو، وهو بيت أصنام كان لقبائل روس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم بتبالة. وتبالة (أوله مكسور)، موضع في اليمن أو في تهامة. وقيل إن كعبة ذي الخلصة كانت بيتا لصنم منصوب بأسفل مكة. وكان أهل الجاهلية يلبسونه القلائد النفيسة ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون أضحياتهم وقرابينهم عنده. وعرفت هذه الكعبة باسماء عدة منها: الكعبة اليمانية، بمقابل البيت الحرام الذي كان يدعى الكعبة الشامية. والذي تولى سدانته من أهل الجاهلية هم: بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وزبيد، والغوث بن مر بن أد وبنو هلال بن عامر قال ياقوت نقلا عن ابي المنذر: ومن أصنام العرب، ذو الخلصة. وهو مروة (صخرة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج) وكانت العرب تعظم هذه الكعبة وتهدي لها الذبائح.

وفي رواية لابن إسحاق نقلها المؤرخ الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل

الإسلام) (أن عمر بن لحي، نصب ذا الخلصة بأسفل مكة، فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام) ويضيف المؤرخ المذكور إلى قوله: (ويظهر من رواية لابن الكلبي أن العرب جميعا كانت تعظم ذا الخلصة)(١٤).

ولما فتح النبي ﷺ مكة المكرمة وتوافد عليها العرب معلنين إسلامهم، قدم عليه جرير بن عبدالله مسلما، فقال له النبي ﷺ ياجرير، إلا تكفيني ذا الخلصة فقال جرير بلى، فوجهه إلى هذه الكعبة، فلما بلغها نازل سدنتها من بني قحافة بن عامر بن خثعم وانتصر عليهم وهزمهم وهدم بنيان ذا الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق فقالت امرأة من بني خثعم:

وبنو أمامة بالولية صرعوا
شملا يعالج كلهم أنبوبا
جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها
أسدا يقب لدى السيوف قبوبا

تسم المذلة بين نسوة خثعم
فتيان أحمى قسمة تشعيبا

ولكعبة ذي الخلصة مع أمير شعراء الجاهلية قصة جاء فيها أنه لما قتلت بنوأسد أباه حجرا وخرج يستنجد بمن يعينه على الأخذ بثأره.. مر بتبالة وبهاذ والخلصة، فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة(١٥): الآمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، ثم اجالها فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي، فجمع امرؤ القيس هذه الأقداح الثلاثة وضرب بها وجه ذا الخلصة وخاطبه قائلا: (... لو قتل أبوك ما نهيتني)، فقال عند ذلك:

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا
مثلي ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

وفي كتب السيرة أن الصنم الذي كان بكعبة ذي الخلصة، جعل في الإسلام عتبة لباب مسجد تبالة، أما كعبة ذي الخلصة نفسها، فيقول ابن حبيب أنها في عهده (صارت بيت قصار فيما أخبرت)(١٦).

الهوامش:

١) كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام، تأليف الدكتور جواد علي مطبعة طه: المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ج(٥) القسم الديني ص ٢١٧ ومابعدها.

٢) كتاب (المجر) لابي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح الدكتوره إيلزة شتيتر، ص٣١٥ ومابعدها.

٣) كتاب الأصنام (لابن الكلبي، تحقيق أحمد زكي باشا، طبع الدار القومية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ/ (١٩٦٥م).

٤) تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف جواد علي ج (٥) ص٢١٧.

٥) قال ابن الكلبي في كتابه (الأصنام) تحقيق أحمد زكي طبعة دار الكتب المصرية ص٣٣: (واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتا، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره، مما استحسن، ثم كان به تطوافه بالبيت. وسموها الأنصاب. فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه وإذا نزل منزلا آخر، فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها..)هذا، وكانت هذه البيوت قائمة في مختلف المناطق الشمالية والجنوبية من جزيرة العرب وكان الناس يطلقون على كل منها اسم (بيت الله) كما كانوا يطلقون على الصنم الذي فيه اسم (رب البيت).

٦) نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م، (ج/ ١) ص ٣١٣.

٧) السدير والخورنق قطران متقاربان في الحيرة من بلاد العراق ويقال إن أولهما بناه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم.

٨) معجم البلدان، المجلد (٣) ص٢٠١.

٩) القليس ، تصغير قلس، وهو الحبل الذي يتخذ من ليف النخل أو خوصه.

١٠) معجم البلدان ، المجلد (٤) ص ٣٩٤

١١) أشار صاحب الروض الأنف (في ورقة ٢٠ ب) إلى هذه الكنيسة فقال ما خلاصته، إنها عرفت بهذا الاسم لارتفاع بنائها بحيث يشرف منها على مدينة عدن. وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن في بنائها وجشمهم أنواعا من السخرة ونقل إليها من قصر بلقيس الأعمدة من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب، حتى بلغ ما أراده لها من البهجة والرواء، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والأبنوس فلما تلاشى ملك الحبشة من اليمن، اقفر ما حول الكنيسة ولم يعمرها أحد، وكثرت حولها السباع والحيات، فكان العرب يتخوفون من القرب منها، ويزعمون أن من أخذ شيئا من انقاضها استهوته الجن، فبقيت كذلك إلى زمن العباس السفاح، فبعث إليها عامله على اليمن (وهو أبوالعباس بن الربيع) فأخذ من أنقاضها الثمينة أشياء كثيرة، وباع ما أمكن بيعه من الرخام والخشب المرصع بالذهب ونحو ذلك، فعفى بعد ذلك رسمها، وانقطع خبرها ودرست آثارها. ومن الأنصاب التي كانت فيها، تمثال من الخشب طوله ستون ذراعا وآخر بجانبه. قالوا إن الأول يمثل كعيثا والآخر امرأته. حاشية لأحمد زكي باشا في كتاب الأصنام لابن الكلبي ص٤٦.

١٢و١٣) معجم البلدان، المجلد الخامس ص٢٦٦ ومابعدها.

١٤) تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف الدكتور جواد علي ط: مطبعة المجمع العلمي العراقي ج(٥) القسم الديني سنة ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م ص ١٠٧.

١٥) الاستقسام هو ما كانت عليه عادة العرب في جاهليتهم من استشارة الأصنام فيما يفعلون أو يتركون وقد ابطل الإسلام هذه العادة وحرمها على المسلمين. ١٦) المجر ، لابي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي المتوفي سنة ٢٤٥، رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيحه الدكتورة ايلزة ليختن شتيتر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ص٣١٥.

وزير الأوقاف يرعى: الاجتماع الخامس للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. علي فهد الزميع، وبحضور أكثر من مائة وخمسين شخصية إسلامية من شتى أرجاء العالم، عقدت الجمعية العمومية للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية (وهي هيئة خيرية عالمية مقرّها الكويت) اجتماعها الخامس في فندق حياة ريجنسي/ الكويت، خلال الفترة ما بين ٢٨-٣٠ شوال ١٤١٥هـ (٢٩/٣١/٣/٩٥م)..



● وزير الأوقاف يلقي كلمته

● المنصة الرئيسية

العمل الخيري

فقد طالب د. علي فهد الزميع وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في كلمته التي ألقاها في حفل الافتتاح، كافة الهيئات الخيرية بأن تنأى بالعمل الخيري عن الصراع اليومي او الطرح الفكري والسياسي لهذه الهيئات مشيرا الى ان العمل الخيري الكويتي قد أصبح سمة من سمات هذا البلد والتي يجب ان نحافظ عليها وان تتضافر جهودنا جميعا من اجل ابراز هذا الدور وهذه النعمة التي أعطاها الله لنا..

وقال الوزير الزميع إن العمل الخيري قديم ومتجذر في الكويت، وبدأ يأخذ شكله ودوره منذ أوائل السبعينيات في الوقت الذي لم يتوقف فيه هذا الدور حتى أثناء محنة الغزو التي ضيعت في طريقها المال والأعراض وراح ضحيتها الشهداء والأسرى..

وقدم اقتراحا للمؤتمرين بضرورة العمل على وضع أدبيات للعمل الخيري تنظمه وتحدد له ملامح الطريق، واضاف انه لم يكن في يوم من الأيام أداة من أدوات التناحر أو الفرقة بل هو عمل خيري وإنساني يهدف إلى ابتغاء مرضاة الله ومشاركة دول العالم التي تعاني من ويلات الفقر والمجاعات والحروب في محنتها.

أنشطة طيبة

ومن جانبه أكد الشيخ يوسف الحجي رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية على دعم الحكومة وتعاونها الدائم مع الهيئة من خلال ما قدمته من تسهيلات لإنجاح هذا الاجتماع الذي ينعقد في ظل ظروف صعبة يمر بها الكثير من بلدان العالم الاسلامي وشعوبه..

وتوجه بالشكر للشعب الكويتي على كافة المستويات على الدعم المادي والمعنوي في كل ما تقدمه الهيئة وجميع الجمعيات والمنظمات الخيرية في الكويت وقال إن الهيئة لا تدخر وسعا ولا تضن بجهد في هذا المجال وهي تأسست لهذا الغرض إلى جانب درء أخطار إذابة العالم الاسلامي واستغلاله وتفتيته..

وأضاف وهي بفكرتها الرائدة في مجال العمل الخيري من حيث جمع التبرعات واستثمارها والإنفاق من ريعها في المشاريع التي تعود بنفعها على الشعوب الإسلامية إنما تسعى بخطى ثابتة راسخة لتحقيق هذا الهدف.. وقال أيضا إن الهيئة بذلت ما في وسعها من خلال التعاون مع اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة لنجدة إخواننا في الصومال وألبانيا وفي البوسنة والهرسك وبلدان آسيا الوسطى بالإضافة إلى عدد من الجهود الأخرى والحضور في الكثير من المؤتمرات واللقاءات الدولية..

وأوضح ان الهيئة ستناقش خطط اللجان الدائمة خلال السنتين المقبلتين في مجالات الدعوة والتعليم وجمع التبرعات والتخطيط والاعلام والاستثمار والمشاريع..

واختتم كلمته بقوله: إن الحكومة تبرعت مشكورة بقطعة أرض في منطقة المدائن (بجنوب السرة) لإقامة مبنى جديد للهيئة عليها، وقد وضعت التصاميم والرسوم لهذا المبنى بما يليق بالهيئة ومكانتها داعيا الله العلي القدير ان يحفظ بلاد المسلمين وبلادنا من كل مكروه ويرحم شهداءنا وشهداء المسلمين ويفك قيود أسرانا وجميع أسرى المسلمين.

دور كويتي بارز

وقد ألقى المشير عبد الرحمن محمد سوار الذهب كلمة المشاركين في المؤتمر عبر فيها عن سعادته للحضور الى الكويت وإلقاء كلمة المشاركين في الاجتماع مشيراً إلى ان العمل الكويتي الخيري لم يتوقف اثناء محنة الغزو الغاشم في الكويت حيث كان ابناؤها يقومون بتأدية واجبهم في شتى دول العالم من أجل ابتغاء مرضاة الله وأكد على عظم دور دولة الكويت في مجال العمل الخيري متمنيا ان يتواصل هذا الدور الانساني الرائع..

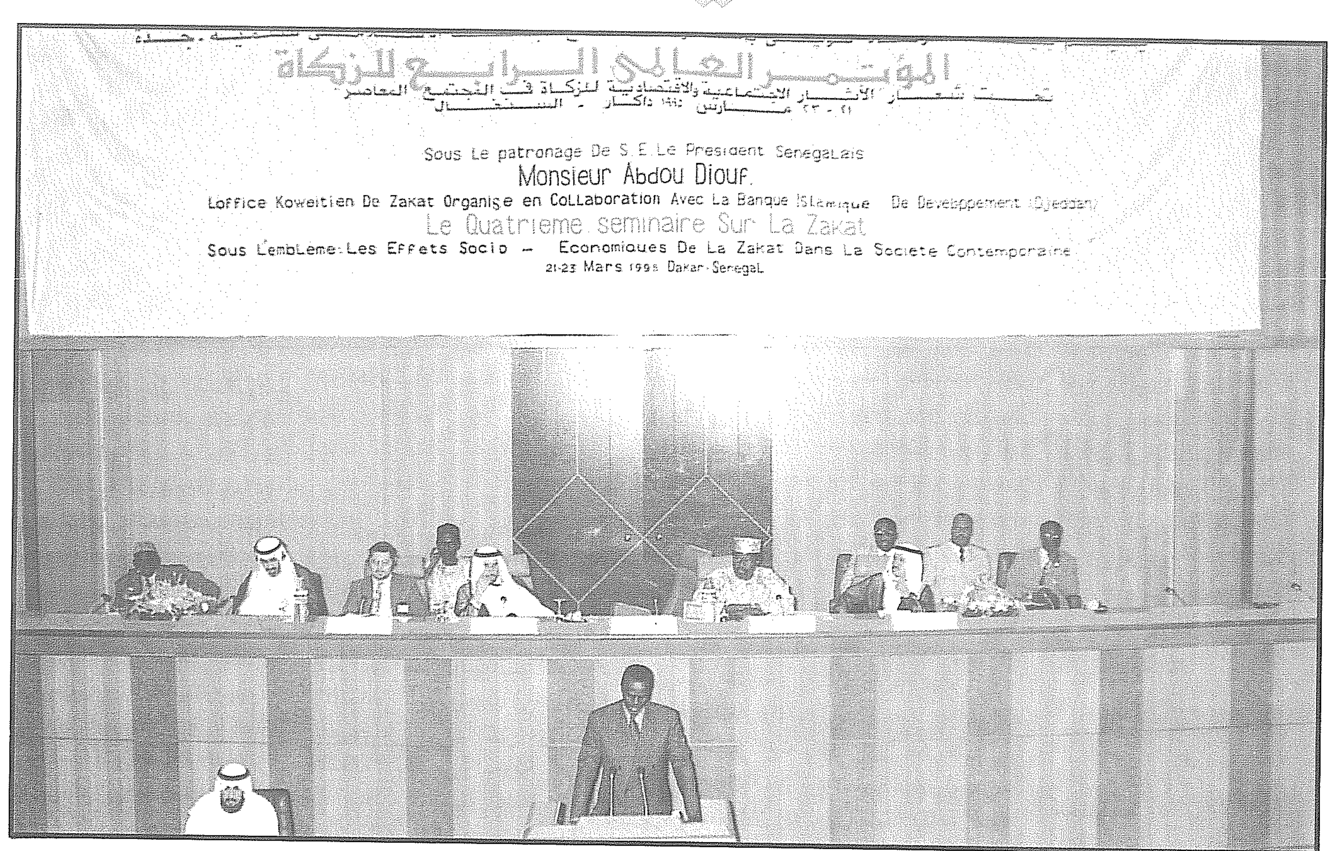
جائزة البابطين

وفي الختام أعلن د. عادل الفلاح (وكيل وزارة الأوقاف ورئيس لجنة مسلمي آسيا في الهيئة) عن إنشاء جائزة أحفاد البخاري والتي يقوم على رعايتها عبد العزيز البابطين حيث خصص لها ١٠٠ ألف دولار كجوائز سنوية في مجالات البحوث والدراسات تواصلا مع الشعوب الاسلامية وخصوصا البلدان التي تحررت من نير الشيوعية..

وأشار إلى أن هذه الجائزة تأتي في إطار الدور الانساني الذي تقوم به دولة الكويت في مد جسور التواصل الحضاري مع شعوب المنطقة التي انجبت العديد من العلماء المسلمين أمثال البخاري والنّسائي والبيروني وغيرهم□

برعاية الرئيس عبده ضيوف

بيت الزكاة يفتتح المؤتمر العالمي الرابع للزكاة



● من جلسات المؤتمر بدكار

الرئيس السنغالي يشيد بجهود الكويت الخيرية في الدول الإسلامية

شهدت مدينة دكار عاصمة الجمهورية السنغالية خلال الفترة من ٢٠-٢٢ شوال ١٤١٥هـ، الموافق ٢١-٢٣/٣/١٩٩٥م فعاليات المؤتمر العالمي الرابع للزكاة، برعاية فخامة رئيس جمهورية السنغال عبده ضيوف، وبحضور وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ورئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع، إلى جانب العديد من العلماء والمشايخ المتخصصين بعلوم فريضة الزكاة، من العديد من الدول الإسلامية.

حفل الافتتاح

افتتح المؤتمر بكلمة ترحيبية ألقاها المستشار الخاص لرئيس الجمهورية السنغالية مصطفى سيس، ثم كلمة ممثل البنك الإسلامي للتنمية، ألقاها د.منذر قحف نيابة عن رئيس البنك، فكلمة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع، فكلمة راعي المؤتمر فخامة الرئيس السنغالي عبده ضيوف، الذي أناب عنه وزير الدولة لشؤون الجمهورية عثمان تانورجنج في إلقاء كلمته التي أشاد فيها بدور بيت الزكاة الكويتي ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في تنمية المشاريع الحيوية في الدول الإسلامية.

كلمة السيد الوزير

وفي الكلمة التي ألقاها الدكتور علي فهد الزميع، شكر فخامة الرئيس عبده ضيوف على استضافته ورعايته للمؤتمر، كما شكر السيد وزير الخارجية على رئاسته للجنة المنظمة للمؤتمر، والسيد مصطفى سيس، والإخوة العاملين، والضيوف المشاركين.

واستعرض الدكتور الزميع في بداية كلمته جهود بيت الزكاة المثمرة في مجال الزكاة، وتحدث عن دوره في خدمة هذه الفريضة العظيمة على مستوى العالم الإسلامي، وعن الخطوات الموفقة التي اتخذها في هذا المجال، وما أسفرت عنه هذه الجهود من نتائج إيجابية.

وأشاد في كلمته بجمهورية السنغال الشقيقة، وأثنى على دورها الريادي في الحاضر، ودورها المأمول في المستقبل، وشكرها على استضافتها للمؤتمر، وأعرب عن اعتزازه وتقديره بترحيب فخامة الرئيس عبده ضيوف بعقد هذا المؤتمر.

ثم تحدث عن التحديات الضخمة التي يواجهها المسلمون في جميع نواحي وأصعدة الحياة، وعن الجدل الكبير الذي يواجه الأمة في هذه الأيام في أطر وتنظيمات أوجه الحياة، وفي علاقة الأمة الإسلامية والمجتمعات والدول الإسلامية مع الحضارات والدول الأخرى، مؤكدا أن سبب وجود هذا الجدل هو الخلاف الكبير حول هوية الأمة.

وأضاف أن التحدي الآخر الذي يواجه الأمة الإسلامية هو قضية التنمية بكل أوجهها. وأكد أنها قضية حساسة ومهمة ومرتبطة ارتباطا كبيرا بالبحث عن الهوية، مؤكدا أن الهوية الصحيحة الإيجابية هي التي تقود نحو التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بينما تقود الهوية المشوهة الناقصة إلى التخلف والعجز.



● الوزير د.علي فهد الزميع يلقي كلمته

د. الزميع: الهوية الصحيحة تقود نحو التنمية الاجتماعية والاقتصادية

وتطرق إلى مشاكل العالم الإسلامي، وما يعيشه من تخلف، وعدم تنمية، موضحا أن ذلك إنما جاء نتيجة لفقدان الهوية الصحيحة المتمثلة في عدم فهمنا للإسلام، ولعدم تطبيقنا التطبيق الصحيح والسليم لمبادئه.

وأكد أن الإسلام يعطي للقضية التنموية الاقتصادية أبعادا قدسية، وجعلها فريضة شرعية، وكذلك الأمر بالنسبة للتكافل الاجتماعي الأسري والصحي، وغير ذلك.

وعبّر عن أمله في أن يطرح هذا المؤتمر قيما تنموية تنهض بهذه الأمة من وضعها البائس إلى وضع ازدهار وإنماء إن شاء الله، وليس لمناقشة أحكام جزئية أو نقل تجربة بسيطة.

ودعا الإخوة المشاركين أن تكون حواراتهم وأطروحاتهم بهذا المستوى من التحدي، وألا ينشغلوا بالجزئيات التي قد تفسد الجو العلمي المطلوب، وأن يكون دائما أمام ناظرهم واقع المسلمين، وكيفية النهوض بهذا المسلم، ليس لإنقاذ وطنه ومجتمعه الإسلامي فحسب، بل للبشرية كلها، والعمل على الارتقاء بها لأعلى المستويات الاقتصادية والاجتماعية.

وعبّر عن رأيه بأن المؤتمر ظاهرة إيجابية في هذا الظلام الذي نعيشه مشيرا إلى أنه من خلال اطلاعه وعلى بعض البحوث المقدمة، وجد أن بها الكثير من التوصيات التي لو أخذت حقها من النقاش، فإنها سوف تعطي مؤتمر الزكاة العالمي أبعادا جديدة يضفي بها المزيد من الخير على مسيرة العمل الإسلامي، ومؤسسات الزكاة بشكل خاص.

وحثّ المؤسسات الزكوية والمنتديات الإسلامية في لقاءاتها المستقبلية على التركيز في برامجها وأطروحاتها على قضايا التنمية الاجتماعية، ومواجهة مشاكلها.

ودعا أن يكون من ضمن التوصيات في هذا المؤتمر اقتراح بالتركيز على العمل الشعبي، وعلى دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، مؤكدا أن الموارد التي تأتي من خلال القيم التنموية كالزكاة والأوقاف والصدقات يمكنها أن تلعب دورا إيجابيا في التخفيف عن أعباء الميزانية العامة للدولة. وأشار إلى أن المساهمة التطوعية بالوقت، قد تكون في كثير من الأحيان أهم وأكثر إثراء من التطوع المادي، فلا يجب أن نحصر

المشاركة الشعبية بالتطوع المادي، بل يمكن أن تشمل الحالتين أو إحداهما.

ودعا أيضا إلى الاهتمام بدراسة كيفية استثمار أموال الزكاة وتنميتها وقضية تحويل بعض الشرائح الاجتماعية متواضعة الدخل إلى شرائح منتجة، ودعم مؤسسات الزكاة، وغيرها من المؤسسات التنموية لتقوم بواجباتها، والسعي في كل مجتمع، ومنطقة إسلامية لإنشاء جهة مركزية، أو مؤسسة مركزية تقوم بتنظيم قطاع الزكوات، ودعم المؤسسات الشعبية النشيطة في هذا المجال، مشيرا إلى أنه يمكن للمؤتمر الكريم إصدار توصية بتبني هذه الفكرة، وإيجاد مؤسسات مركزية.

جلسات العمل النقاشية

وقد ناقشت جلسة العمل الأولى موضوع تقدير حصيلة الزكاة في مجتمع إسلامي معاصر، للباحثين الدكتور فؤاد عبد الله العمر من الكويت، والدكتور محمد عارف من ماليزيا وقد عقب على ورقتي البحث الدكتور حسين شحاتة من جمهورية مصر العربية.

أما الجلسة الثانية، فقد طرح فيها موضوع (معالجة الزكاة لمشكلة الفقر)، للباحثين الدكتور الطيب زين العابدين، والسيد إقبال معين من باكستان، وعقّب على البحثين الدكتور علي يعلي.

وناقشت جلسة العمل الثالثة موضوع (أثر الزكاة في النشاط الاقتصادي)، للباحثين الدكتور عبد الجبار بسيس من تونس، والدكتور محمد بو جلال من الجزائر، وقد عقّب على البحثين كل من الدكتور بو علام بن جلالي من تونس، والدكتور رضا سعد الله من جمهورية مصر العربية.

وفي الجلسة الرابعة التي ترأسها الدكتور عبد الرحمن حمود السميط الأمين العام للجنة مسلمي أفريقيا، تم بحث موضوع (العمل الخيري والزكوي في أفريقيا)، حيث تطرق الباحث الأول الدكتور محمد بلبشير من المغرب إلى الجوانب القانونية، والإدارية لإقامة مؤسسات زكوية في أفريقيا.

وتطرق الباحث الثاني الدكتور أبو بكر عبد الله دكوري من بوركينا فاسو، إلى تجربة العمل الخيري في غرب أفريقيا، ثم عقب على البحثين الدكتور عبد الستار أبو غدة من سوريا. وناقشت جلسة العمل الخامسة موضوع (الزكاة وميزانية الدولة والضرائب) للباحثين الدكتور منذر قحف ممثل البنك الإسلامي للتنمية في جدة، والدكتور مختار ضيوف من جمهورية السنغال، وقد عقب على الموضوع كل من الدكتور يوسف الزامل والدكتور بو علام بن جلالي.

وقد ناقش المؤتمر في جلسته السادسة موضوع (دور الزكاة في معالجة المشكلات الأسرية) للدكتور يوسف عثمان – من جنوب أفريقيا، والأستاذ عثمان المحطب – من دولة الكويت، والمستشار أحمد أمين حسان – من جمهورية مصر العربية.

ولقد تم خلال الجلسة السابعة مناقشة موضوع (دور الزكاة في الدعوة الإسلامية) للدكتور داتو الشيخ محمود بن الحاج إسماعيل – من ماليزيا.

توصيات

وقد اختتم المؤتمر أعماله بكلمة الدولة المضيفة، وكلمة منظمي المؤتمر، وأصدر التوصيات التالية:

١– يناشد المؤتمر شعوب وحكومات الدول الإسلامية أن تسعى جاهدة لإصدار القوانين والأنظمة التي تقيم فريضة الزكاة في واقع المجتمعات المسلمة، إحياء لركن الإسلام الثالث وتكافلا وتراحما بين المسلمين، ولدورها في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وفي هذا الصدد فقد لاحظ المؤتمر بغبطة ازدياد عدد الدول التي قننت جمع الزكاة، و توزيعها خلال السنوات العشر الماضية.

٢– يؤكد المؤتمر دور الزكاة كفريضة وعبادة في معالجة الفقر، لما له من أثر سلبي في أمن المجتمع واستقراره، وباعتباره أهم المصارف. وقد تنبه العالم مؤخرا في مؤتمر كوبنهاجن – مارس (آذار) ١٩٩٥م، إلى أهمية مكافحة الفقر في دول جنوب أفريقيا. وقد دلت الدراسات التي قدمت في المؤتمر على اتساع ظاهرة الفقر في البلاد الإسلامية، وإلى أن الحصيلة التقديرية للزكاة على مستوى العالم الإسلامي، يمكن أن تلعب دورا أساسيا في القضاء على الفقر. ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية جميعا بالتعاون والتنسيق فيما بينها لجمع الزكاة بتمامها وتوزيعها على مستحقيها من أجل تحرير الأمة المسلمة من ذل الحاجة وربقة الفقر.

٣– يوصي المؤتمر بإنشاء أمانة دائمة للمؤتمر العالمي للزكاة بمبادرة ورعاية من بيت الزكاة في دولة الكويت وبالتعاون مع المنظمات والهيئات الزكوية والبحثية والخيرية ذات الاهتمام بترقية أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية. وأن يكون من مهام هذه الأمانة الدائمة:

– تنظيم المؤتمرات العالمية للزكاة بصفة دورية، وعقد الندوات العلمية والتدريبية حول قضايا الزكاة.

– متابعة تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الرابع للزكاة والمؤتمرات التي سبقته.

– مساعدة الدول والمجتمعات الإسلامية على إقامة مؤسسات زكوية محلية وإقليمية ومدها بالمعلومات والقوانين واللوائح التي تعينها في إنشاء أنظمتها الزكوية.

– تشجيع الدراسات الميدانية والأبحاث النظرية التي تساعد على إنضاج وتعميق تجربة الزكاة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

– إعداد الدراسات اللازمة وتهيئة الظروف الملائمة لإقامة هيئة عالمية للزكاة.

– تنسيق الأعمال وتبادل الخبرات والمعلومات فيما بين المؤسسات الزكوية القائمة.

– متابعة نشر الأبحاث العلمية ووقائع المؤتمرات والندوات وتوزيعها على أوسع نطاق، خاصة للجامعة ومراكز البحث.

٤– يوصي المؤتمر المنظمات والحكومات الإسلامية وأجهزة الإعلام بالعمل على نشر الوعي الزكوي بين المسلمين، كما يؤكد أهمية تدريس أحكام الزكاة، واقتصادياتها في مراحل التعليم العام والعالي.

وقد عبّر المؤتمر لدى اختتام أعماله عن شكره الجزيل لفخامة رئيس جمهورية السنغال السيد عبده ضيوف لتلبيته دعوة بيت الزكاة الكويتي، والبنك الإسلامي للتنمية بإقامة المؤتمر العالمي الرابع للزكاة في بلده، ولحسن رعايته للمؤتمر طوال فترة انعقاده.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر العالمي هو الرابع في سلسلة المؤتمرات العالمية التي يعقدها بيت الزكاة بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية، بهدف معالجة فريضة الزكاة لتأخذ حقها في دنيا المسلمين، وقد عُقد المؤتمر الأول في الكويت عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، وعقد المؤتمر الثاني في الرياض عام (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). أما المؤتمر الثالث فقد عقد في كوالالمبور عام (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)□

وزير العدل والأوقاف العماني زار الكويت

الحارثي: آن الأوان للمشاريع الوقفية والخيرية كي تسهم في التنمية وتخفف العبء عن حكومات المنطقة

في إطار التنسيق والتعاون والتشاور وتبادل الخبرات فيما بين وزارتي الأوقاف في دولة الكويت وسلطنة عمان، قام وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية العماني حمود بن عبد الله الحارثي بزيارة للكويت في الفترة مابين ١١-١٣ شوال سنة ١٤١٥هـ، الموافق ١٢-١٤ مارس ١٩٩٥م، وقد رافق الوزير الضيف خلال زيارته، وفد مكون من الشيخ علي بن خلف الخروضي مدير عام الأوقاف عن بيت المال والزكاة، والشيخ زاهر بن عبد الله العبري مدير عام الشؤون الإسلامية، وسعيد بن حمد العبري مدير مكتب الوزير.

هذا وقد قام الوفد الضيف بزيارة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع في مكتبه، كما قام بجولة في أرجاء الوزارة، اطلع خلالها على أعمال وأنشطة إدارة الموسوعة الفقهية، وآخر ما أنجزته من إصدارات وطبيعة العمل فيها، كما شاهد معرضا أقامه بيت الزكاة تضمن أهم الإنجازات والمشاريع التي نفذها البيت داخل الكويت وخارجها، والخطط المستقبلية الهادفة



●معالي الوزير الحارثي مع معالي وزير الأوقاف د. علي الزميع



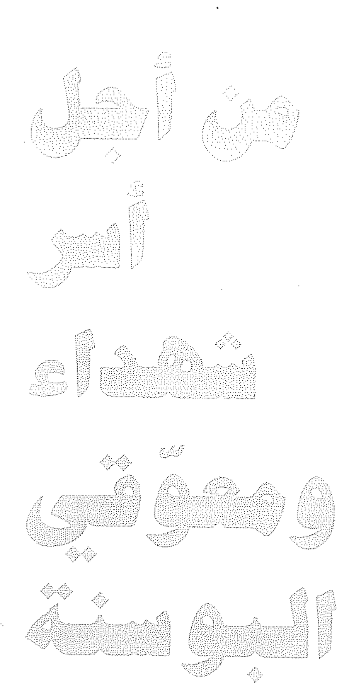
●الوفد العُماني في جولة على مركز المعلومات بالوزارة

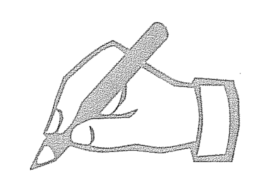
التجربة الكويتية الخيرية في مجال المشاريع الوقفية والخيرية تجربة رائدة جديرة بالاتباع

إلى تطوير أداء البيت حتى يحقق الأهداف النبيلة التي أنشىء من أجلها. وخلال الزيارة اطلع الوفد على أنشطة الأمانة العامة للوقف، والإنجازات الطموحة للأمانة المساهمة في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

من جانب آخر أشاد الوزير الحارثي في ختام زيارته للكويت بالتجربة الرائدة لدولة الكويت في مجال المشاريع الوقفية والخيرية، والأساليب الحديثة والمتطورة في جمع وتحصيل الزكاة والصدقات واستثمارها في مجالات تنموية، مما يخفف العبء الذي طالما تحملته حكومات المنطقة في الإنفاق على كل شيء، ودعا المؤسسات العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية الرسمية في دول مجلس التعاون الخليجي إلى تحمل مسؤولية توجيه وترشيد جيل الشباب - بالتعاون مع العلماء والمفكرين - إلى الفكر الإسلامي الصحيح الذي يبني ولا يهدم المجتمع الخليجي. وناشد الأجيال الشابة الاستفادة من التقدم والتكنولوجيا، وتسخيرها لخدمة الإسلام والمسلمين.

وقد أكد الوزير الحارثي أيضا أن سلطنة عمان ستنفذ التجربة الكويتية الرائدة في مجالي المشاريع الوقفية والخيرية، نظرا لأن المناخ واحد ومتقارب في كلا البلدين. وأشار إلى أهمية استمرار تبادل المعلومات والبرامج والمشاريع المتعلقة بمجال الوقف والشؤون الإسلامية□





بقلم
د. صلاح الدين أرقه دان

اهتمت وسائل الاعلام البريطاني بخبر وفاة الطفلة البوسنوية (إيرما) الذي أعلنته إدارة مستشفى (غريت اورموند) في لندن مطلع الشهر الماضي، وعادت لتلقي الضوء على مأساة البوسنة والهرسك، وبالتحديد الوجه الأبشع للمأساة، الاغتصاب وانتهاك حقوق الطفولة البريئة، و(إيرما حاجي مرادوفيتش) – ذات الأعوام السبعة – كانت قد أصيبت بجروح خطيرة في سراييفو عام ١٩٩٣م من جراء شظية، بينما استشهدت والدتها بشظية أخرى في الوقت نفسه..

ونقلت الطفلة البوسنوية إلى بريطانيا لتلقي العلاج، وتابعت الصحافة الجادة والشعبية – يومها – مأساة (إيرما) كشاهد حي من شهود الحرب القاسية، وانتهاك حرمة الإنسان في يوغسلافيا السابقة. وبقيت الطفلة المصابة في غرفة العناية الفائقة لبضعة أشهر، مع إصابتها بشلل نصفي لم تفلح في معالجته عدة عمليات جراحية، بالاضافة إلى معاناتها من التهاب السحايا الناجم عن جروحها الملتهبة. وبقيت حالة الألم والمعاناة تحيط بالطفلة البريئة إلى أن انتقلت إلى رحمة الله (بهدوء أثناء نومها) كما جاء في تقرير المستشفى..

مأساة إنسانية

الحرب بكل وجوهها القبيحة وألسنة اللهب الحارقة التي تقذفها بشكل عشوائي لم تقتصر في أضرارها ومآسيها على ما لاقته (إيرما) وألوف الأطفال الآخرين، ذلك لأن دائرة إيذاء الحرب طالت مساحة واسعة من الناس والمواطنين – كبارا وصغارا – فقد تركت من الخراب والدمار ما يمكن احصاؤه بالأرقام، إلا أن حجم المأساة الإنسانية وانعكاساتها النفسية والروحية والثقافية والحضارية، وثقلها على المستقبل أكبر من أن يتم إحصاؤه بأرقام صمّاء قد لا تعني شيئا لتجار السلاح وتجار القيم، فالإنسان بات سلعة في سوق النخاسة المعاصرة، وبورصة تحريك بيادق الفتنة، وملء الجيوب من جراء معاناة الناس، باتت هي التجارة الرابحة للنخاسين الجدد..

لقد أُخذ الشعب البوسنوي على حين غرّة، وفي الوقت الذي كانت قياداته مطمئنة إلى حسن نوايا الجيران، بسبب طول العشرة، وحسن التعامل، وعدم وجود نوايا خبيثة لدى المسلمين – تحديدا – وبالتالي لا وجود لأسباب موضوعية لتفجير الأوضاع والتعدي على الآمنين من أبناء (البوسنة والهرسك)، كان الآخرون (الكروات والصرب) يخططون للقضاء على أي استقلال أو بلورة للشخصية الإسلامية المستقلة في وسط أوروبا..

فاقة بعد عزّ

كان المسلمون في البلقان – وما زالوا – في موقع الدفاع عن النفس – كما هو الحال في كل مكان على المعمورة يضطهد فيه أبناء أمتهم – وكانت تكاليف الدفاع عن الأفراد والجماعات والقرى الآمنة المتناثرة فوق التلال والجبال باهظة جدا، وهي بلغة الأرقام تجاوزت ربع المليون شهيد، ضاقت بهم المقابر، وازدحمت بجثثهم ملاعب الكرة الواسعة، واستولوا على مساحة واسعة من السهول الزراعية لدفنهم، لقد زرع الصرب وأعوانهم حقولنا بجثث الشهداء، بعدما كانت تزرع بالحبوب والحنطة.. وترك هؤلاء وراءهم جيشا كبيرا من الثكالى والأرامل والأيتام، لا يجدون رعاية ولا لباسا ولا طعاما يكفي سد الرمق، أو يحقق الحد الأدنى المطلوب لحياة إنسانية كريمة.. ولئن كان المسلمون يصومون رمضان تعبدا وتقربا، فإن هؤلاء يصومون الدهر لأنهم يفتقدون الغذاء بسبب الحرب.. لقد تحوّل المسلمون في البوسنة إلى لاجئين في بلادهم، يحتاجون كل شيء بعدما كانت قراهم وحقولهم ومصانعهم تفيض بالغذاء والانتاج الوفير.. إنها الحرب الحاقدة التي لا تعرف الرحمة، ولن تحقق إلا الدمار..

كل طفل مشروع شهيد

يقول محدثي (سفير البوسنة في الكويت الدكتور نعيم قاضيبيتش) والتأثر واضح في محياه: (كل طفل بوسنوي مشروع شهيد).. وبالرغم من المعاناة الكبيرة التي تواجه القيادة البوسنوية في ميدان العمل الاجتماعي المذكور إلا انها – أمام ضغط الحرب، وواجب الدفاع عن الدين والأمة – كانت تصرف كل الإمكانات والجهود لصد العدوان العسكري، والحفاظ على البقية الباقية من المدن والمناطق المحررة، وكانت لا تملك أن توقف الهجرة شبه الجماعية لقوافل الأرامل والأيتام إلى دول العالم الغربي.. وقصور ذات اليد لم يدفعها إلى الإهمال وترك الحبل على غاربه، وإنما قدّمت – بتعاون أجهزتها الوطنية والشعبية، بالإضافة إلى مساعدات الهيئات الإسلامية والدولية المتواضعة – على توفير ما أمكن، لتحقيق ما نراه في سراييفو، وغيرها من عناصر المرابطة والصمود..

تحرّك رسمي

ولقد قرر الرئيس البوسنوي (علي عزت

بيغوفيتش) - بالإضافة إلى كل الأعباء السياسية والجهادية التي على عاتقه، وبالتعاون فيما بين الحزب الحاكم والقيادات الوطنية - التصدي لمعالجة هذه المأساة، مأساة أطفال أبناء البوسنة الأيتام، والذين هم ثمرة عمليات الاغتصاب الواسعة التي مارسها الصرب والكروات، كلما سنحت لهم الفرصة..

وتم إنشاء مؤسسة مالية مختصة بجمع التبرعات المالية والعينية تحت رعاية ومسؤولية الرئيس مباشرة، ووجه إلى العالم كله رسائل توضح حجم المعاناة والاحتياجات وسبل المساهمة، وخصّ إخوانه من قياديي وأبناء العالم الإسلامي لما يعرفه فيهم من نخوة واندفاع وحرص على تحقيق قاعدة الجسد الواحد الذي (إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى)، وجاء في نداء الرئيس البوسنوي:

نداء الرئيس علي عزت
[إلى مواطني جمهورية البوسنة والهرسك..

إلى حكام ومواطني العالم الإسلامي..
إلى جميع محبي الإنسانية..

لا يوجد مثيل في التاريخ لفظاظة وقسوة عدوان صربيا والجبل الأسود المؤيّد بالخونة المحليين على جمهورية البوسنة والهرسك.. و هدف هذا العدوان تكوين صربيا الكبرى باحتلال وضم جمهورية البوسنة والهرسك الموجودة في هذه المنطقة عبر العصور.. ووسيلته التصفية الجسدية والهوية الثقافية لكل ما ليس صربي الجنسية ولا أرثوذكسي الديانة.. ولأجل تحقيق هذا الهدف قتل - حتى الآن - حوالي مائتي ألف مسلم، وطرد من ديارهم حوالي مليون ومائتي ألف، واغتصب أكثر من ثلاثين ألف امرأة، وأتلف الاقتصاد، وهدم أكثر من ٨٠٠ مسجد، منها عشرون مسجدا ذا قيمة فنية وتاريخية نادرة..

وعلى الرغم من القتال غير المتكافئ، أبدى مقاتلونا مقاومة باسلة غير متوقعة، يصعب تفسيرها بحسب قواعد التحليل العسكري المادي..

والحمد لله، فقد تمكنا إلى الآن من حفظ جزء مهم من بلدنا، وعدد كبير من شعبنا، واستشهد عدد كبير من مقاتلينا، وأصيب عدد آخر بإعاقة دائمة..

الكفاح يتواصل، والله وحده يعلم متى ستكون نهايته، وإحدى المسائل الأخلاقية والسياسية الأساسية لمواصلة كفاحنا الناجح هي مسألة رعاية أسر شهداء ومعوقي الحرب، أسر أبنائنا الذين ضحوا بحياتهم وصحتهم في سبيل حقهم المشروع في الحياة والدين والدولة والشرف الإنساني..



ولكي نستطيع مساعدتهم بطريقة منظمة - على مستوى الجمهورية ككل - قمنا بتأسيس مؤسسة (شهداء ومعوّقي جمهورية البوسنة والهرسك) وفي عضويتها رجال من ذوي الثقة والسمعة الطيبة، بالإضافة إلى أعضاء من أسر الشهداء والمعوّقين..

والمساعدة المنظمة لهذا العدد الكبير من الناس تتطلب مبالغ مادية ضخمة، ولقد تمكنا - حتى الآن - من أن نجمع ونوزّع ثلاث دفعات من المساعدات المالية لجميع أسر الشهداء والمعوقين، ممن تزيد نسبة إعاقتهم على ٧٠٪، كانت الدفعة الأولى بقيمة ١٠٠ مارك ألماني، والدفعتان الأخريان بقيمة ٥٠ ماركا لكل فرد منهم..

وليس في برامجنا أن تقتصر مساعدة أسر الشهداء والمعوقين على المساعدات المالية فحسب، بل ستشمل أنواعا أخرى من المساعدات بحسب نظام هذه المؤسسة، وحجم وأشكال تلك المساعدات تتعلق بتجاوب المساهمين وتفهمهم لأهميتها وضرورتها، ومساهمتهم الفعلية - المالية والعينية - فيها..

إنني أدعو جميع مواطني جمهورية البوسنة والهرسك، وجميع المسؤولين في العالم، إلى تقديم يد المساعدة لمؤسسة (شهداء ومعوّقي جمهورية البوسنة والهرسك)، ونحن من جانبنا نتعهد بأن تأخذ هذه المساعدات طريقها إلى الجهات التي تستحقها، سائلا الله عز وجل أن يتقبل عملكم..

رئيس مجلس إدارة المؤسسة / علي عزت بيغوفيتش
المدير التنفيذي للمؤسسة / أحمد خليلوفيتش]

وتسهيلا للمساهمين من أهل الخير، افتتحت المؤسسة حسابا خاصا باسمها في (بيت التمويل الكويتي)، بالإضافة إلى حسابات مصرفية بالمارك الألماني والدولار الأمريكي والفرنك الفرنسي، ويمكن لأي متبرع مراجعة فروع بيت التمويل لتحويل تبرعه.

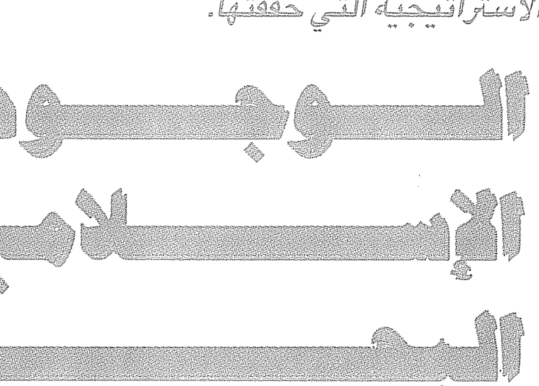
مشاريع أخرى

وبسؤالي سعادة السفير البوسنوي في الكويت د. نعيم قاضيبيتش عن مصير التبرعات السابقة التي قامت بها جهات وحملات عديدة، أجاب بنفي معرفة الحكومة البوسنوية بهذه التبرعات ومبالغها ومصيرها، بما في ذلك تبرعات أعلنت عنها جهات ومؤسسات رسمية، عربية وعالمية، ولذلك - والكلام لسعادة السفير - وجد الرئيس علي عزت من صلب مسؤوليته القيام بهذه الحملة تحقيقا لأهداف المتبرعين من جهة، وللقيام بالواجب الشرعي والإنساني - من جهة أخرى - تجاه أسر الشهداء والمعوّقين..

وفي جعبة السفير تفاصيل ومشاريع أخرى، نفسح لها المجال في فرصة قادمة إن شاء الله□

٢/٢

تناول القسم الأول من هذه الدراسة الوجود الاسلامي السياسي والعسكري في البحر الأبيض المتوسط، ويتناول هذا القسم الثاني والأخير الفتوحات الإسلامية لجزر المتوسط، والأهداف الاستراتيجية التي حققتها.



الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض المتوسط

بقلم: بهيج بهجت سكيك*

فتح جزيرة (كريت)

كانت المحاولة الأولى سنة (٥٤هـ)، في زمن معاوية، بقيادة جنادة بن أبي أمية، ومحاولة ثانية أيام الوليد ،ثم غزاها حميد بن معيوف الهمذاني في خلافة الرشيد، لكن أنجحها جميعا كانت في خلافة المأمون بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى الأندلسي. والحقيقة أن هذا الفتح تم بمساعدة جماعة من الأندلس يعرفون بـ (الربضيين)، وسبب هجرتهم إلى كريت هو ذلك التمرد الذي قاموا به في الربض الغربي لمدينة قرطبة فقد ثاروا ضد الأمير الحكم بن هشام، بسبب ما عرف عنه من انصرافه عن شؤون الرعية(١٢)، فقاتلهم الأمير الأموي، وهدم دورهم ومساجدهم، حتى أطلق عليه اسم الحكم الربضي، فأبحروا إلى الإسكندرية، وبقوا حتى عام (٢١٢هـ)، ثم اتجهوا إلى كريت، وتحصنوا في إحدى نواحيها وسموها (الخندق)، واتخذوها مركزا لنشاطهم البحري، وهي ما تعرف اليوم بـ (قندية) (Candia)، وقد ساعد الربضيون على فتح كريت، أن السكان أنفسهم كانوا يكرهون الإدارة البيزنطية.. وأصبحت كريت تابعة لولاية مصر إداريا، كما صارت الإمدادات تصلها تباعا من مصر والشام، ولذا تعرضت كريت أثناء الحكم الإسلامي لمحاولات من طرف البيزنطيين لاستردادها، بل إنهم هاجموا دمياط في مصر التي كانت تمد مسلمي كريت بالعتاد والمؤن.

ثم سقطت قندية أو (الخندق) بيد الروم في ربيع الثاني عام (٣٥٠هـ) (٧ مارس ٩٦١م)، الذين استولوا على ما بها من مال ومتاع ورقيق ونساء، وصرن سبايا لهم، وقد حمل هذه الغنائم القائد (نقفور فوكاس) إلى الإمبراطور (رومانوس الثاني) في القطسنطينية. ثم تعرضت للحملات الصليبية مما يدل على بطلان الادعاء الديني، حيث ألحقت بالبندقية، ثم استولى عليها العثمانيون عام (١٦١٦م)، وأصبحت إقليما عثمانيا، وبعد ظهور أسرة محمد علي في مصر، ألحقت بالخديوية المصرية، وقد تولاها العديد من الولاة المصريين، وفي عام (١٩٣٢م) ألحقت بالمملكة اليونانية بعد ثورة كبيرة.

فتح المسلمين لمالطة

يعرف الكثيرون أن مالطة هي جزيرة في البحر المتوسط.. والحقيقة أنها أرخبيل مؤلف من عدة جزر، تعرف بالأرخبيل المالطي(١٣)، وأهم جزره مالطة، و(وغوزو، ودكومينو، وكنومينوتو، وفلفولا)، وهي مأهولة من عصور سحيقة سكنها الفينيقيون، والقرطاجنيون، ثم الرومان، والإغريق، والبيزنطيون.

محاولات كثيرة سبقت فتح المسلمين لمالطة (٢٥٦هـ - ٨٦٩/ ٨٧٠م)، ويرى آخرون أن أخذ المسلمين لمالطة، كان من باب المصادفة، أولى منه من المطالبة، وعاملوا الأهلين بالرفق والسياسة، وقرروا سننهم وأحكامهم، وامتزجوا بهم للغاية، حتى كأن الجمعين واحد(١٤). بقي المسلمون فيها حوالي مائتي سنة، ثم الحقها (روجر النورماندي) بصقلية نحو سبعين سنة، ثم أصبحت تابعة لفرنسا، ثم استولى عليها فرسان القديس يوحنا،

*موجه تربوي (سابقا) بوزارة التربية

واتخذوها قاعدة لإيذاء وضرب البلاد الإسلامية من (١٥٣٠ ـ ١٧٩٨م)، والحقيقة أن المسلمين لم ينتهوا من مالطة، فقد حاول الأتراك الاستيلاء عليها عام (١٥٦٥م)، ومرة أخرى في أيام السلطان محمد الرابع(١٥). وكان مسموح للمسلمين بالإقامة فيها حتى عام (١٢٤٩م)، على أن أبرز ما تركه المسلمون في مالطة كان لغتها، وهي مزيج من اللغتين العربية والفينيقية(١٦).

فتح جزيرة سردانية

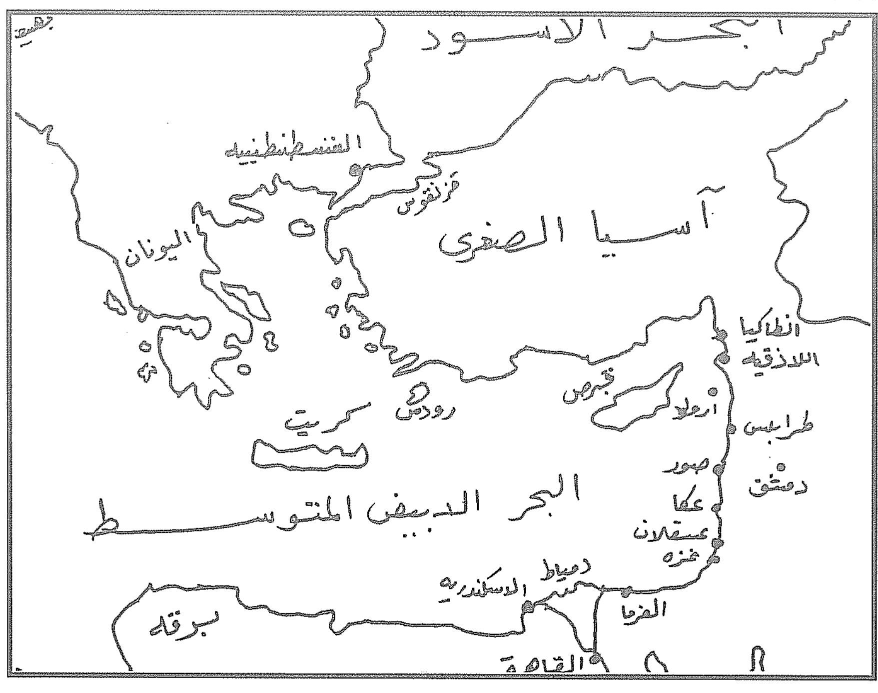
جزيرة كبيرة تبلغ مساحتها (٢٤٠٩٢كم٢)، تقع في منتصف البحر المتوسط الغربي بين شبه جزيرة إيطاليا وشبه جزيرة ايبريا من جهة، وبين سواحل المغرب وسواحل فرنسا من جهة ثانية. سكنها القرطاجيون والقاندال، وظلت تابعة للملك القسطنطينة مع كورسيكا وصقلية فترة طويلة. كان العرب في البداية يكتفون بالانقضاض على أطرافها، ولكن أخذوا فيما بعد يتوغلون في الداخل(١٧).

جاء في تاريخ السيوطي: أن الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة في شوال عام (٨٦هـ)، وأنه عام (٨٧هـ) فتح سردانية من جملة فتوحات عدها. وكتب ياقوت الحموي في معجم البلدان: أن المسلمين غزوا سردانية في عام (٨٢هـ) في عسكر موسى بن نصير، ثم غزاها عبد الله بن الحنجاب عام (١١٧هـ)، وعاود المسلمون غزوها في أيام عبد الرحمن بن حبيب الفهري عام (١٣٥هـ)، وصالحوا أهلها على الجزية، وجاء في تاريخ ابن عذاري المراكشي – المسمى بالبيان المغرب – أن المسلمين غزوا سردانية عام (٢٠٦هـ)، وعليهم محمد بن عبد الله التميمي، فأصابوا وأصيب منهم وقفلوا.

وفي عام (٣٢٣هـ) – أثناء خلافة المنصور بن القائم الفاطمي – هاجمها الأسطول الإسلامي في غزوة كبيرة، وسبى كثيرا من أهلها(١٨).

لكن الفتح الحقيقي لها كان عام (٤٠٦هـ – ١٠١٥م)، عندما غزا أبو الجيش الموفق: مجاهد العامري، صاحب دانية والجزر الشرقية (البليار)، وهذا يدل على أن جزر البليار كانت قاعدة إسلامية ناجحة.

وقد نزل المسلمون عند مدينة (كاليجاري) التي فتحوا معاقلها، وبنوا مدينة جديدة انتقل



● الثغور و الموانيء والجزر في شرق البحر المتوسط

إليها مجاهد وأهله، واتخذوها قاعدة لصد غارات الفرنجة من موانيء غرب إيطاليا. لكن ذلك لم يدم طويلا ،فقد تعاون سكان جنوب إيطاليا والفرنجة وغيرهم على إعداد اسطول كبيرة يهاجمون به سردانية، ثم حاصروا الجزيرة.. وساعدت الظروف الطبيعية على تحطيم أسطول مجاهد، حين هبت عاصفة قوية على الميناء.. فكان الروم لا شغل لهم إلا القتل والأسر في المسلمين (١٩).

وحاول مجاهد الهرب، ولم يتح له ذلك، وأسر له في هذه الحملة حريمه وبناته وولده (علي) الذي وقع بين الجرمان، ولم يستطع تحريره أو افتداءه، إلا عام (٤٢٣هـ). وبذلك طويت صفحة أخرى للمسلمين في جزر البحر المتوسط، وعادت لسيطرة الفرنجة، ثم وهبها البابا لأسرة (اراجون) (مملكة اراجون الاسبانية) ثم أصبحت تابعة لإيطاليا عام (١٧١٣م)، وانتقلت للنمسا ثم انتزعتها اسبانيا ثم أصبحت سردانية جزءا من مملكة شملت سافوي، بيدمونت، نيس وهي اليوم تابعة لإيطاليا.

فتح جزيرة قوصرة

قوصرة جزيرة في بحر الروم.. بين المهدية (تونس)، وجزيرة صقلية فتحها المسلمون في أيام معاوية، وبقيت في أيديهم إلى خلافة عبد الملك بن مروان. هذا ما كتبه ياقوت الحموي في معجم البلدان.. قوصرة تعرف اليوم بجزيرة (بانتلاريا)، وهي جزيرة بركانية مساحتها ٨٢كم٢، يسكنها حوالي ١٥٠٠ نسمة، كانت قاعدة جوية وبحرية لإيطاليا، ولكنها استسلمت للحلفاء في الحرب العالمية الثانية. كانت قوصرة تشكل إحدى الحراب الموجهة إلى صدر الدولة الإسلامية في المغرب، لذلك سعى المسلمون بكل جهدهم إلى السيطرة عليها. وقد أعاد فتحها عبد الملك بن قطن عام (٧٠٠م) في خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم استردها البيزنطيون بعد ثورة البربر الخوارج ضد ولاة بني أمية في شمال أفريقيا عام (٧٣٩م). استعادها المسلمون عام (١٣٥هـ – ٧٥٥م)، بقيادة عبد الرحمن بن حبيب الفهري حفيد عقبة بن نافع، ثم استعادها البزنطيون مرة أخرى، حتى ظهرت قوة الأغالبة البحرية واستعادوها للمرة الثالثة في حملات بحرية بعد (٨٢٧م)، وبقيت إلى أن استولى عليها النورمان عام (١٠٧٢م)، وهي اليوم تابعة لإيطاليا.

جزيرة كورسيكا

تابعة اليوم لفرنسا، سكنها الرومان والفاندال، مساحتها (٧٨٥كم٢)، شهرتها الحديثة أن (نابليون بونابرت) نشأ فيها، وهي

الوجود الإسلامي البحري في البحر الأبيض المتوسط

تطالب بالحكم الذاتي والانفصال عن فرنسا حاليا. أول اتصال للمسلمين بها كان حين وجه عرب الأندلس عام (١٩٠هـ - ٨٠٦م)، أسطولهم إليها فاحتلوها، وغنموا غنائم كثيرة، وأثناء عودتهم تربص لهم أمير جنوة ولكنهم قتلوه وهزموا جيشه وأسروا رجاله الذين افتداهم (شارلمان) ملك الفرنجة. ثم عادوا إليها مرة أخرى عام (١٩٨هـ - ٨١٣م)، حين احتل مجاهد العامري الساحل الجنوبي لها، كي يضمن سيطرته على الممر البحري الذي يتصل بالشواطىء الإيطالية(٢٠).

من هذا نرى أن هدف المسلمين من السيطرة عليها، كان لتأمين السواحل الإسلامية، وصد غارات الفرنجة من السواحل الإيطاليا. لذا لا توجد فيها جالية إسلامية حاليا، وبالطبع فإن صقلية وسردانيا كانتا تشكلان أهمية كبرى للمسلمين بحكم موقعهما الجغرافي.

الوجود الإسلامي البحري لم يكن ترفا بل ضرورة استراتيجية

فتح جزر البليار (الجزائر الشرقية)

لا تأتي أهمية جزر البليار — التي تحظى باهتمام ورعاية اعلام مملكة إسبانيا حاليا من جوها المعتدل، بل لوجود الكثير من الآثار الإسلامية التي لا تزال قائمة فيها، وتحمل أسماء ذات أصول عربية، بل إن سحنة أهلها تحمل الملامح والدماء العربية.. يمتلك أثرياء العالم فيها قصورا حالمة، فما جزر البليار هذه؟

جزر البليار هي أرخبيل يقع شرقي إسبانيا، وقد أطلق عليه المسلمون اسم الجزائر الشرقية بحكم موقعه الجغرافي شرقي الأندلس.. ويتكون من مجموعة كبيرة من الجزر الكبيرة والصغيرة، تبلغ مساحتها جميعا حوالي ٤٩ ألف كم٢، وأهم هذه الجزر أربع رئيسية، كبراها جزيرة (ميورقة)، تليها جزيرة (منورقة)، ثم (يابسة) والرابعة (فورمنتيرا)، إضافة لعدد كبير من الجزر الصغيرة تزيد على المائة، لا تتجاوز الصغيرة سوى (صخرة غير مأهولة، فيها منارة للسفن). أما الجزر الصغيرة فأكبرها (كبريرة — جزيرة الغنم)، وجزيرة (كونجيرة — أي جزيرة الأرانب)، وثالثة (دراجونيرة - جزيرة التنين)، لشكلها الغريب.

قام الأسطول الإسلامي الأندلسي بفتح هذه الجزر عام (٨٩هـ)(٢١)، بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير - والي بني أمية على أفريقيا - وعاهد أهل الجزيرة على أن يبقوا على الحياد، وألا يساعدوا أساطيل بيزنطة، ولكن أهل الجزيرة نقضوا العهد. وظلوا يحاولون الخروج من نفوذ العرب كلما سنحت الفرصة، وكان الفتح الأكيد عام (٢٩٠هـ - ٩٠٢م)(٢٢)، وجاء هذه المرة من الأندلس، التي صارت معظمها جزءا من الدولة الإسلامية، بل لعلها أقوى أجزاء الدولة الإسلامية.

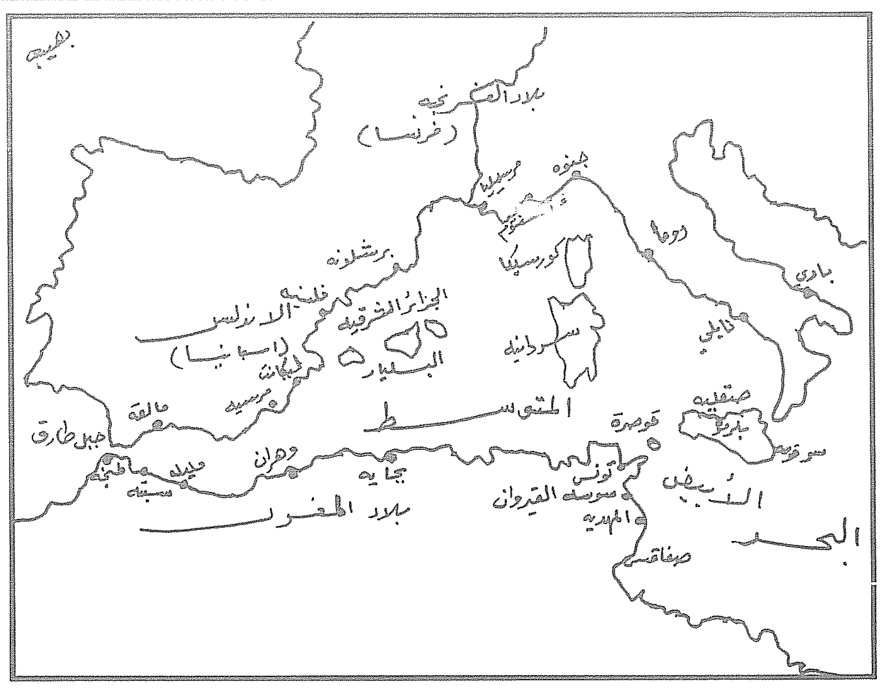
وهناك عدة نصوص تؤكد أن جزر البليار خضعت لنفوذ حكومة قرطبة (٢٣٤هـ - ٨٤٨م)، ولكنها لم تحكم مباشرة إلا في عام (٢٩٠هـ - ٩٠٢م)، حين أصبح القائد عصام الخولاني واليا عليها، ثم خضعت لحكم بني غانيه من المرابطين، وفي (٤٠٥هـ - ١٠١٤م) ضمها مجاهد العامري، وحكمها هو وولده علي. وبقيت بين مد وجزر حتى عام (٥٠٨هـ - ١١١٤م)، في عهد يوسف بن تاشفين.

ظلت جزر البليار بلدا إسلاميا، ومعبرا حضاريا بين العالمين الإسلامي والمسيحي ما يزيد على ثلاثة قرون، وأنجبت عددا كبيرا من العلماء والأدباء الذين أسهموا بنصيب وافر في





مسكوكات معدنية اسلامية محفوظة في جزر البليار



● الثغور و الموانيء والجزر في غرب البحر المتوسط

الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط. وبعد انهيار الجيش الموحدي في معركة العقاب عام (١٢١٢م)، انسلخت جزر البليار، وزال الإسلام من هذه الجزر في عام (١٢٧٨م)، بعد أن أفنى الصليبيون من بقي حيا من المسلمين، وامتلأت أسواق الرقيق في أوروبا بالآلاف منهم، وهي تابعة الآن لملكة إسبانيا.

ضرورة استراتيجية

إن الوجود الإسلامي في جزر البحر المتوسط لم يكن وليد الصدفة، أو لصد غارات البزنطيين الذين كانوا يسيطرون على هذا البحر، بل إن هذا الوجود فرضته استراتيجية انتشار الإسلام على شواطىء بلاد الشام ومصر، وبلاد المغرب والأندلس.

وإذا كنا قد استعرضنا هذا الوجود في معظم الجزر، فإننا سنبين عدة أمور هي:

أولا: تركنا جانبا الغزوات والمحاولات التي قام بها المسلمون لفتح القسطنطينية، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة خاصة أكثر اتساعا، وإن كان جزءا لا يتجزأ من الوجود الإسلامي، حتى تمكن المسلمون من فتح القسطنطينية عام (١٤٥٣م)، لتبدأ الدولة العثمانية وجودها البحري المكمل للوجود الإسلامي.

ثانيا: ساعد على هذا الوجود في جزر البحر المتوسط وجود الموانيء والثغور والقواعد البحرية، ونشأة دور لصناعة السفن.. فبالإضافة إلى موانيء الإسكندرونة، واللاذقية، وطرابلس، وصور، وصيدا، وعكا، وعسقلان على ساحل بلاد الشام، ودمياط والإسكندرية على الساحل المصري، كان مرسى طرابلس الغرب المأمون من الرياح، ومرسى تونس (رادس قديما)، ومرسى سوسة (الذي خرجت منه السفن الإسلامية لفتح صقلية)، ومرسى المهدية (القريبة للقيروان)، وصفاقس، وقابس، ومرسى لونة (الذي خرجت منه السفن إلى سردانية)، ومرسى بجاية، ومرسى وهران في المغرب الأوسط (الجزائر)، وفي المغرب السبتة، ومازيغين، وغيرها.. ومن مراسي الأندلس: بلنسية، وشاطبة، ولكفت، ومالقة، وقرطاجنة الخلفاء، ومرسية، والمرية، ودانية على الساحل الشرقي المواجه لجزر البليار.

ثالثا: إن أساطيل المسلمين لم تعمل كلها تحت راية واحدة بل كانت تتعاون أحيانا إذا ما أحست بخطر يهدد الإسلام.. وأحيانا تحصل مجابهة بحرية بينها إذا ما اختلفت الأهداف، فهذه أساطيل بلاد الشام ومصر تتعاون تحت رايتي الدولتين الأموية والعباسية، فاهتموا بتحصين السواحل، وترتيب قواعد القتال فيها، ثم وضعت في المدن الساحلية الحاميات التي تنقسم بدورها إلى مجموعات، كل مجموعة مؤلفة من مائة رجل، وهو ما يعرف بالثغور، وتمثل هذا النظام في طرابلس، وصور، وصيدا، وعكا، وقيسيارية، وجبيل والإسكندرية، والبرلس، ودمياط، وغيرها.

ترك المسلمون مالطة ولكن اللغة العربية بقيت هناك

كان لمصر دور مبكر في قيام البحرية الإسلامية، ثم الشام ،فالمغرب، فالأندلس.

وظهرت قوة الأغالبة، ثم الفاطميين، والزيريين ومركزهم صنهاجة، ثم الموجودين في المغرب، استمر ذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجري (١١م)، ثم بدأت تضعف هذه الأساطيل الإسلامية أمام ظهور قوى جديدة بحرية في جنوة والبندقية - بيزا - برشلونة، وما تبع ذلك من طرد المسلمين نهائيا من اسبانيا عام (١٤٩٢م)، بخروجهم من غرناطة.

فهل يبقى إعادة مجد البحرية الإسلامية في البحر المتوسط حلما يراود أبناء هذه الأمة التي مزقتها الفرقة؟

الهوامش:

١٢) سياسة الدول الإسلامية في البحر المتوسط، ص ٦٠.

١٣) تاريخ غزوات العرب، شكيب ارسلان، ص٣٥٣.

١٤) تاريخ غزوات العرب، شكيب ارسلان، ص٣٦٠.

١٥) الانسيكلوبيدا الإسلامية (دائرة المعارف الإسلامية)، مالطة.

١٦) الواسطة في معرفة أحوال مالطة، أحمد فارس الشدياق.

١٧) تاريخ غزوات العرب، شكيب ارسلان، ص ١٤٢.

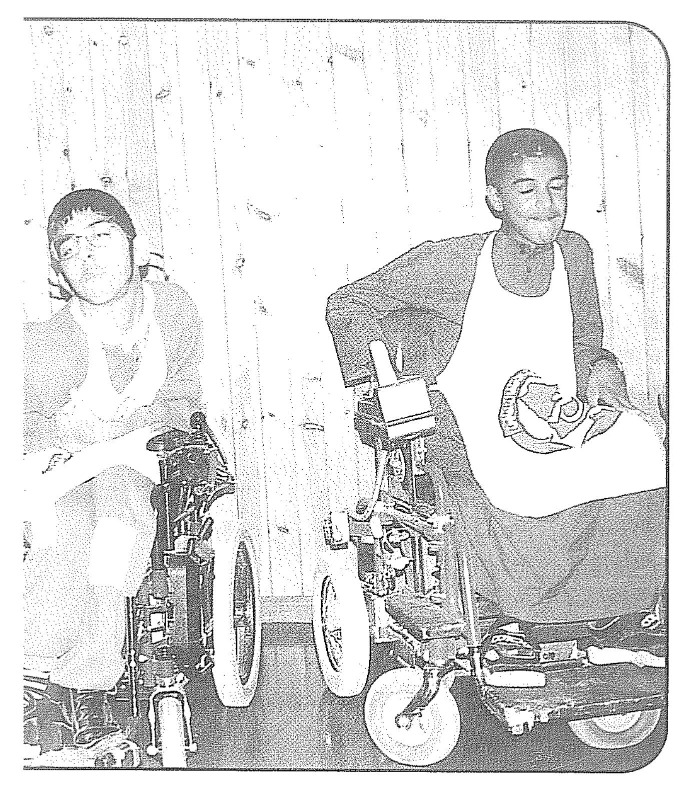
١٨) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.سالم + الدكتور العبادي.

١٩) الحميدي ، ص ٢٢.

٢٠) دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي، ص٣١٢.

٢١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.

إن نظرة الإسلام إلى المعاق ذات جوانب إنسانية متعددة:
أولا: حقه الكامل في المساواة بغيره ليحيا حياة كريمة فلا يفضل عليه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي قال تعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ [عبس/١-٤].
ثانيا: التخفيف عنه في الالتزامات الشرعية بقدر طاقته يقول تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ [الفتح/١٧].
ثالثا: إن كل إنسان مطالب بالعمل في حدود طاقته. يقول عليه الصلاة والسلام: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده» [رواه البخاري].



العدل مطلوب في كل شيء، وهو للمعوّق من باب أولى، لكي تسود علاقات التعاون والتكافل والحب والمرحمة

رعاية المُعوّقين في الإسلام

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

لم تعرف الإنسانية في ماضيها، ولن تعرف في حاضرها، بل وفي مستقبلها دينا مثل دين الإسلام، حرص تمام الحرص على أن يعيش أبناء المجتمع، بل المجتمعات ، بل الناس جميعا كالأسرة الواحدة،، متعاونين متفاهمين متكافلين، يشعر كل فرد منهم شعور الآخرين، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة/٢].

وهذا التكافل والتضامن أكده رسول الله ﷺ بقوله: «كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول

والحجارة﴾ [التحريم/٦] فهو أمر للأولياء برعاية أهلهم - وأزواجهم وأولادهم - وذلك لتوجيههم إلى تجنب مسببات الهلاك.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة/١٩٥]. هذه واجبات المسلم نحو نفسه، فعليه أن يقوم بها ولا يهمل واحدة منها فإن الله سبحانه وتعالى نهانا عن أن نلقي بأيدينا إلى التهلكة، وأمرنا أن نقي أنفسنا من الأمراض والعوق وندفع شرورها، ونتلافى أضرارها، فمن أهمل في واجبه فإنما إثمه على نفسه، وفي هذا كف للأذى، ووقاية من الأمراض والعوق.

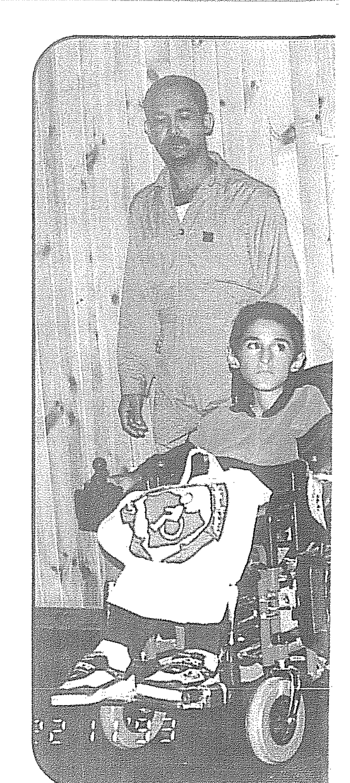
اليد العليا

والإسلام يكره أن يعيش الإنسان عالة على غيره يقول الرسول الكريم ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» [رواه البخاري].

وبقدر ما يحيط الإسلام المعاقين والضعفاء من رحمة فإن الله يحب للمؤمن أن يكون قويا دون أن يحرم الضعيف من الخير حيث لا ذنب له في ضعفه يقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» [رواه مسلم]. ويقول الله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص/٢٦]. بل إن الكفاءة البدنية تعتبر من المؤهلات التي يصطفي الله عباده ليكونوا قادة للخلق، يقول تعالى: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ [البقرة/٢٤٧].

المسؤولية في الإسلام

إن الإسلام يحث دائما على وقاية النفس والأهل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس



عن رعيته» [رواه الشيخان عن ابن عمر]. فالإسلام عنى بالإنسان أياً كان موقعه أو دوره أو جنسه أو مرحلته.

ومما لا شك فيه أن رعاية النسل أمر فطري في النفوس البشرية لا يشذ عنه إلا من فسدت طبيعته، فالولد قطعة من أبويه، يريان في رعايته رعاية لهما كرعايتهما لبعض أجزاء الجسم بل أشد.

وقد قال حطان بن المعلى الأسدي:

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض

و قال النبي ﷺ عن فاطمة رضي الله عنها: «فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» [رواه البخاري ومسلم عن المسور بن مخرمة].

فهذا معلّم الناس الخير يرسم الطريق للمحافظة على الأبناء والاهتمام بهم ورعايتهم، فإن أصيبوا بعاهة مزمنة، أو عاقة مؤقتة فإنهم يحزنون لذلك الحادث ويسعون جاهدين لمساعدتهم للتغلب على هذا العوق بقدر ما يستطيعون.

الابتلاء امتحان واختبار

ونحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان كي يؤدي واجبه ويبلغ أهدافه، ويؤدي الحقوق فينطلق في الوجه الذي يبتغيه دون أن يغلبه إعياء أو تقف به عاقة، ولأمر ما وصف النبي ﷺ بعض نعم الله على خلقه وعد هذه النعم: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة» [رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في شعب الإيمان، وابن ماجة والترمذي].

والبلاء هنا لفظ مطلق على مايصيب الجسم من أذى الغير أو الحياة، والمعوّق إذا صبر واحتسب وجاهد نفسه متجاوزاً علته باحثاً عن عمل يتناسب وحالته فسوف يحصل على خير الدنيا والآخرة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل قال: «إذا ابتليت عبدي بجبيته فصبر عوضته منهما الجنة» يريد عينيه، [رواه البخاري].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» [رواه مسلم].

ولابد من توفير فرص عمل لهذا المعوّق في نطاق العملية التعليمية والتدريبية وبرامج مخططة لهذه الفئة لقوله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن عمله فيما فعله، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» [رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي].

وللأسف تبدأ البطالة مع المعوّقين في غالب الأحيان وهذا خطأ شنيع لأن البطالة شيء رهيب، والنفس إذا لم يكن لديها حق تكلف به، فإنها تبحث عن باطل تعمل فيه.

ولذا يجب تهيئة كافة السبل لتشكيل حياة المعاق علميا ورياضيا، واجتماعيا واشباع رغباتهم الحسية والنفسية والاجتماعية والفكرية، وبما يملأ حياتهم بالجديد النافع ومساعدتهم على أداء الواجبات ورعاية الحقوق دون تفرقة بينهم وبين غيرهم من الأسوياء والأصحاء.

من هذا المنطلق نجد أنه يقع على عاتق المجتمع والأسرة المسلمة بعض الواجبات التي أوصى بها ديننا الحنيف وشريعتنا الإسلامية تجاه هذه الفئة الغالية فمن هذه الواجبات الإسلامية:

التعاون

من ذلك التعاون الاجتماعي بمعنى إغاثة وتقديم العون للمعاق لقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه. [رواه البخاري ومسلم].

والإحساس بمشاعر المعوّقين ودعم أنشطتهم بالمساهمة في جمعيات البر والمستشفيات والمعاهد التعاونية الخاصة بالمعاقين كل على قدر استطاعته لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ،والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم وأبو داوود والترمذي في باب العلم].

وإعانة المعاق ومساعدته بالنفس والمال، أو الجاه، حتى يحصل غرضه ويصل إلى غايته ويحقق مطلبه، فيجد سبحانه وتعالى في عونه ومساعدته وحسن توجيهه واجتهاده فييسر أموره، ويجعل بعد العسر يسرا، وبعد الضيق فرجا ومخرجا ويحفظه ويرعاه مادام في عون أخيه المحتاج إلى معونته.

ولا يقف الإسلام عند هذا الحد بل يجعل العلاقة بين المؤمنين علاقة اخوة ملزمة في المحبة والمعاملة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه].

فالصحيح يتعين عليه أن يحب لأخيه المعاق من النشاط والمتعة والعزة ويسر الحال وغير ذلك من المنافع الذاتية ما يحبه لنفسه.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [متفق عليه].

وكما يتعين علينا ان نساعد إخواننا صغارا وكبارا ليتغلبوا على عوقهم بإشراكهم معنا في كثير من الأنشطة والأعمال، ونخرجهم من عزلتهم التي قد تفرضها عليهم حالة العوق.

العدل

العدل مطلوب في كل شيء، وهو للمعوّق من باب أولى، لكي تسود علاقات التعاون والتكافل والحب والمرحمة، وهذا لن يتحقق إلا إذا شعر الجميع بالعدل واختفى الشعور بالظلم أو الاستغلال يقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ [النحل/ ٩٠].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

رعاية المعوّقين في الإسلام



● الإرادة قهرت الإعاقة

المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» [رواه مسلم].

والعدل شرط أساسي وركيزة أولى في بناء الممالك والدول والأوطان وتبادل الثقة بين الراعي والرعية يغرس الطمأنينة، ويقوي دعائم الثقة بين الفريقين.

فما أجمل العدل وأعظمه بإيتاء كل ذي حق حقه، وما أحسن الوئام يجمع الشمل، ويقوي الروابط، ويبعد الفتن، ويشيع السعادة وتستأنف الأمة أعمالها باسترداد اقتصادها، وإعادة دولاب العمل إلى جميع مرافق الحياة، فيسعد الفرد والجماعة، ويعود المجتمع بكامل طاقاته إلى العمل وإعادة التعاون على الأسس الكريمة، الثابتة لدى العقلاء، والشرائع في كل زمان ومكان فتحقيق المصلحة هي ما تستهدفه جميع أحكام الشريعة الإسلامية، ويحدد الفقهاء هذه المصلحة تحت مسمى مقاصد التشريع الإسلامي ومنها:

١) حفظ الدين.
٢) حفظ العقل.
٣) حفظ العرض.
٤) حفظ النفس.
٥) حفظ المال.

الرحمة والشفقة

ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلب الأبوين شعور الرحمة والرأفة والعطف وهو شعور وكريم بخاصة إذا اتجه نحو المعاقين في رعايتهم وتأهيلهم.

كان عليه الصلاة والسلام إذا رأى أحدا من أصحابه لا يرحم أولاده يزجره بحزم ويوجهه إلى ما فيه صلاح البيت والأسرة والأولاد.

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم. قالوا: لكنا والله ما نقبّل! فقال رسول الله ﷺ: «أو ما أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «من لايرحم لا يُرحم» [متفق عليه].

فالرحمة فضيلة، والقسوة رذيلة والرحمة تكون من الكبير على الصغير ومن القوي على الضعيف، ومن السليم على المعاق، ومن الشريف على الصعلوك، ومن أهل الفضل والدين والعقيدة على من سواهم، فالمؤمن يعلم أن الأحقاد تقضي على صلات المحبة بين الناس، وتقطع حبال الألفة فيما بينهم، والرحمة صفة وصف بها خالقنا العظيم نفسه فقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف/١٥٦].

فلذلك يعيش المؤمن بين اخوانه وذويه بقلب مفعم بالمحبة مملوء بالمودة، يود الخير للجميع، ويحب للناس مايحب لنفسه، فالرحمة بالناس عاطفة نبيلة شريفة، وخليقة محمودة كريمة وضدها القسوة.

والرحمة في الإنسان صفة متأصلة، وجاء الإسلام فعززها وقوّاها وعدد الأساليب في الدعوة إليها والالتزام بها حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من أخلاقه فهي ملازمة له في سفره وفي حضره، في ليله ونهاره، في سره وعلانيته، بل في حاله كله.

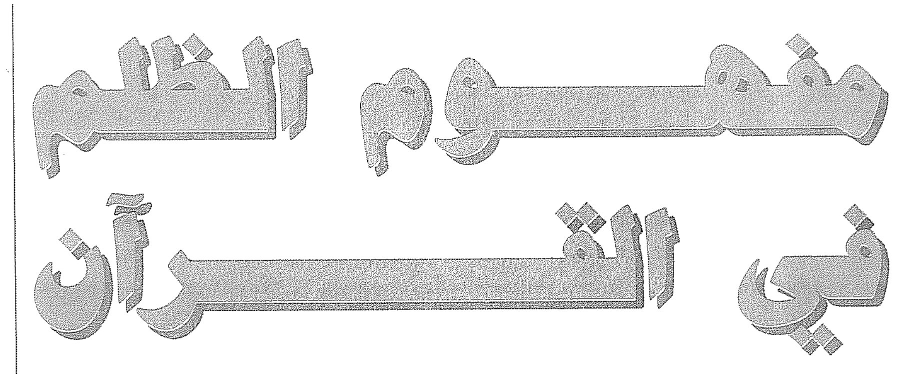
الرحمة في الإنسان صفة متأصلة، وجاء الإسلام فعززها وقوّاها وعدد الأساليب في الدعوة إليها والالتزام بها

كذلك تجلت مظاهر الرحمة بالإنسان المسلم في معاملته الآخرين، في سلمه وحربه ولم تقتصر على الإنسان فحسب بل تجاوزته إلى الحيوان، ولذا نجد أن الله جل شأنه مدح بها رسوله محمد ﷺ بقوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة/١٢٨].

والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية، ولا يخفي مافي هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الناشئة، وفي تخبطهم في أوحال الشذوذ ومواطن الشقاء.

وعلى المعاق أن يعلم أن البلاء الذي نزل به هو محنة في طيها منحة ورحمة وثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده وآماله أو ولده ثم صبر على ذلك... حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل» [رواه أحمد وأبو يعلي في مسنديهما والطبراني في الكبير والأوسط].

والمؤمن الواثق لا يفقد صفاء العقيدة ونور الإيمان، إن هو فقد من صافيات الدنيا ما فقد. والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين، والآخرين وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين□



مفهوم الظلم في القرآن

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

اكتسبت المادة اللغوية لكلمة (ظلم) من خلال الاستعمال القرآني لها عدة معان جديدة لم يعرفها العرب في جاهليتهم.. وإذا بنا أمام مفاهيم متنوعة تستوقف الباحثين في لغة القرآن.

معنى الظلم في اللغة

تجمع القواميس اللغوية على أن معنى (الظلم) هو وضع الشيء في غير موضعه، ويمكن أن تردّ إلى هذا المعنى العام جميع المعاني المتفرعة عنه، أو القريبة منه، أو حتى تلك التي تبدو بعيدة بعض الشيء عنه، وهي جميعا يمكن أن تعد أساسا لهذا المعنى الذي أجمع عليه اصحاب تلك المعاجم. فمن بين هذه المعاني ما قاله الفراء(*): ظلم الوادي، إذا بلغ الماء منه موضعا لم يكن ناله ولا بلغه قبل ذلك (اللسان)، وظلم الأرض حفرها ولم تكن حفرت قبل ذلك. وقيل: هو أن يحفرها في غير موضع الحفر (اللسان + المحيط). ومن الأمثال: (من أشبه أباه فما ظلم)..

قال الأصمعي(**) في شرحه له: ما وضع الشبه في غير موضعه (اللسان). وفي المثل: (من استرعى الذئب فقد ظلم) [اللسان]، و(ظلم البعير: نحره من غير داء) [المحيط]، و(ظلم الحمار الأتان: سفدها وهي حامل) [المحيط].. إلخ. ومن هذه المعاني ما قاله صاحب اللسان: (وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد. ولا يخفى أن في معنى الجور ومجاوزة الحد ابتعادا عن أصل الشيء وكأننا نضع شيئا بعيدا عن موضعه أو في غير موضعه الذي هو أحق به وأدعى له).

معنى الظلم في الاستعمال الأدبي في العصر الجاهلي

قد يكون في التوقف عند معنى الظلم عند الجاهليين – وكيف فهموه وتعاملوا مع هذه الكلمة ومشتقاتها – مجال بالغ الأهمية لمعرفة مفهوم الظلم في القرآن.

فقد وردت كلمة (ظلم) في بعض الاستعمالات القليلة النادرة في أمثال الجاهليين وأشعارهم نذكر هنا ما استطعنا الوقوف عليه منها، ففي بيت للحادرة (شاعر جاهلي مقل) يقول فيه:

ظلم البطاح لـه انهلال حريصة
فصفـا النطاف لـه بعيد المقلع

يصف مطرة (الحريصة) تنهال على البطاح فتظلمها، لأنها جاءت في غير وقتها(١).

وللمثقب العبدي بيت يقول فيه:

ولبعض الصفح والاعراض عن
ذي الخنا أبقى وإن كان ظلم(٢)

بمعنى جار وتجاوز الحد، فالصفح والإعراض عن صاحب الدنية أبقى، وإن كان قد تجاوز حده وجار. ويقول طرفة بن العبد البكري:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند(٣)

وهو في هذا المعنى لا يخرج عن معنى الجور، وتجاوز الحد، وسلب الحق. وقد وردت كلمة (ظلم) ثلاث مرات في بيتين متتاليين لعنترة بن شداد العبسي هما:

أثني عليّ بما علمت فإنني
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل

سمح مخالطتي إذا لم أظلم(٤)
مر مذاقته كطعم العلقم

قال الأنباري في شرحه: الظلم بمعنى الاستقلال والاسترذال، فإذا لم ينل الشاعر الثناء عليه توهم الناس أنها استقلته واسترذلته، ولم تعطه ما يستحقه من احترام وتقدير. وفي الأمثال: (ظلم المرء يصرعه). (الظلم مرتعه وخيم).

ولعل أول ما يمكن أن نلحظه على هذه الاستعمالات الأدبية في العصر الجاهلي شعرا ومثلا أن كلمة (ظلم) قديمة، فقد وردت على لسان المثقب العبدي، وهو من الشعراء الجاهليين القدامى، ولكن هذه الكلمة مع ذلك من الكلمات نادرة الاستعمال، برغم ما كانت تعج به الحياة الجاهلية من مظالم وعدوان. فلم نستطع الوقوف إلا على بضعة شواهد لا تتجاوز أصابع اليدين، هذا إذا صحت نسبة بعض الأمثال إلى الجاهليين: (من أشبه أباه فما ظلم)، (ظلم المرء يصرعه)، (الظلم مرتعه وخيم).

كما يمكن أن نلحظ أنها جاءت بمعنى الجور ومجاوزة الحد (بيت المثقب العبدي، وبيت طرفة)، وجاءت بمعنى الاستهانة والإشاحة والإعراض (بيتا عنترة)، وبمعنى الهلاك والإغراق (بيت الحادرة: ظلم البطاح..).

كما يمكن أن نلحظ أن الشعراء يتحدثون عن ظلم واقع عليهم باستثناء بيت المثقب الذي جاء على سبيل الحكمة. وهذه المعاني تتوزع بين الحسي والمعنوي، ولا شك أن أصحاب المعاجم اللغوية أفادوا كثيرا من هذه الاستعمالات وغيرها في تحديد دلالة اللفظ عندما قالوا: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وعندما قال صاحب اللسان: الظلم بمعنى الجور ومجاوزة الحد.

مفهوم الظلم في القرآن

وردت كلمة (ظلم) ومشتقاتها في القرآن (٢٨٨ مرة)، وهي في مجمل معانيها لا تخرج عن العرف اللغوي والاستعمال الشائع لدى عرب الجاهلية، إلا أنها حملت

عدة معان جديدة طريفة منها ما فاق الاستعمالات الشائعة، ومنها ما جاء تعزيزا لها، ومنها ما تفرد به النص القرآني مما جعلها تكتسب مفهوما خاصا بالعقيدة بحيث أصبح اقتراف الظلم من المعاصي واجتنابه فضيلة وقيمة دينية من بين القيم التي جاء بها الإسلام، وحرص على تربية المسلمين عليها.

مجالات الاستعمال القرآني للمادة اللغوية (ظلم)

يمكن تقسيم الاستعمال القرآني لهذه المادة إلى أربعة أقسام:

– قسم جاء ضمن الحديث عن حياة الأمم الغابرة التي وقعت فيها المظالم وارتكبت فيها المعاصي وبيان العاقبة التي حلت بهم، ويكاد هذا القسم يستحوذ على كم كبير من الآيات القرآنية، ويتصل قسم منها ببني إسرائيل خاصة.

– قسم يأتي لينفي الظلم عن الله تعالى.

– قسم يأتي مباشرة يمس حياة المسلمين ليحذرهم فيه من ا رتكاب الظلم تحقيقا للعدالة، وابتغاء لمرضاة الله تعالى.

– قسم يأتي ليصور جانبا مهما من مشاهد القيامة فلا ظلم بل عدل مطلق.

فمن القسم الأول قوله تعالى: ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ [الكهف/٨٧]. ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان﴾ [النمل/٤٤]. ﴿قال يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ [البقرة/٥٤]. ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ [ص/٢٤]. ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ [الأعراف/١٠٣].

ومنه في بيان عاقبة الظلم: ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء﴾ [البقرة/٥٩]. ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ [آل عمران/١١٧]. ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [٢٥/القصص].

ومن القسم الثاني قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء/٤٠]. ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ [يونس/٤٤]. ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف/٤٩]. ﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [التوبة/٧٠]. ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ [آل عمران/١٨٢]. ومن القسم الثالث ما يمس حياة المسلمين كقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ [آل عمران/١٣٥]. ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله﴾ [النساء/٦٤]. ﴿ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [التوبة/٣٦]. ﴿وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ [البقرة/٢٧٩]. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة/٤٥]. ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥].

ومن القسم الرابع قوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ [غافر/١٧]. ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ [طه/١١١]. ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ [الفرقان/٢٧]. ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ [مريم/٣٨]. ﴿ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ [القصص/٣٧].

أشكال الظلم في الاستخدام القرآني

وقد وردت في السياق القرآني عدة أشكال لاستخدام المادة اللغوية للظلم، منها:

– نسبة الظلم إلى النفس البشرية، فالإنسان يظلم نفسه ويوقع الظلم على ذاته البشرية باقترافه المعاصي والآثام، من ذلك قوله تعالى: ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان﴾ [النمل/٤٤]. ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾ [القصص/١٦]. ﴿يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ [البقرة/٥٤]. ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ [الكهف/٣٥].

– نسبة الظلم إلى أمة بكاملها أو جماعة بشرية، وأكثر هذه الآيات تتصل بسلوكيات بني إسرائيل وآل فرعون، من ذلك قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ [البقرة/٥٩]. ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ [آل عمران/١١٧]. ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ [يونس/١٣]. ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ [المؤمنون/٢٧]. ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ [النساء/٧٥]. ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ [هود/١٠٢]. ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾ [الأنبياء/١١].

– ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، منه قوله تعالى: ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ [ص:٣٤]. ويندرج تحت هذا المعنى العديد من المظالم التي يقترفها بنو البشر.

– نفي الظلم عن الله – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – وقد مرت معنا آيات بهذا الخصوص.

معنى الظلم في القرآن الكريم

يمكن أن نلحظ أن المادة اللغوية (ظلم) تحمل عدة معان، وذلك من خلال السياقات المتنوعة في مختلف الآيات القرآنية. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب (الأشباه والنظائر) الذي يعد من أقدم كتب التفاسير التي تعني بالمفردات، كما يعد مؤلفه (مقاتل بن سليمان البلخي ت١٥٠هـ)، من أوائل المفسرين للقرآن الكريم، قد عرض فيه لهذه المادة اللغوية وذكر أن تفسير (الظالمين – تظلمون) تأتي على سبعة وجوه وأن تفسير (الظلم) يأتي على أربعة وجوه، وهذه المعاني وتلك تتداخل معا بحيث يمكن القول إن هذه المادة عند مقاتل تنتهي إلى سبعة وجوه لا غير، يحسن التوقف عندها لما فيها من إضافات جديدة، وتحديد دقيق لهذا المعنى:

الأول: الظالمين: يعني المشركين، فذلك قوله تعالى: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ [الأعراف/٤٤]، يعني المشركين الذين يصدون عن سبيل الله، نظيرها قوله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود/١٨]، يعني المشركين ونحو هذا كثير(٥)، وقد فسر (الظلم) بالشرك كقول

مفهوم الظلم في القرآن

لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان/١٣](٦).

ويؤكد هذا المعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾.. شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾»(٧). فالظلم هنا بمعنى الشرك.

الثاني: الظالمين: يعني به المسلم الذي يظلم نفسه بذنب يصيبه من غير شرك. فذلك قوله: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ لأنفسكما بخطيئتكما [البقرة/٣٥]. وكقول يونس عليه السلام: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء/٨٧]. أي ظلم نفسه بذنبه من غير شرك كقوله تعالى: ﴿ومن يتعد حدود الله (في أمر الطلاق) فقد ظلم نفسه﴾ [الطلاق/١]. بمعصيته من غير شرك.. إلخ. وكقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ بقتل النفس ﴿فاغفر لي فغفر له﴾ [القصص/١٦]، ونحو هذا إذا كان في أهل التوحيد فهو ظلم النفس. فالظلم هنا بمعنى: الذنب أو المعصية أو الخطيئة.

الثالث: الظلم يعني ظلم الناس، فذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ومن قتل مظلوما﴾ [الإسراء/٣٣]. يعني المقتول ظلمه القاتل بغير حق. وكقوله: ﴿ومن يفعل ذلك (يعني قتل النفس وأخذ الأموال) عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا﴾ [النساء/٣٠]. وكقوله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ [النساء/١٠]، نظيره قوله تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ [الشورى/٤٢]. فهنا الظلم بمعنى القتل وأخذ الأموال بالباطل.

الرابع: الظلم يعني: النقص، فذلك قوله تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا﴾ [الكهف/٣٣]. يعني ولم تنقص منه شيئا، وكذلك قوله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا﴾ [الأنبياء/٤٧] وكقوله: ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ [آل عمران/١١٧]. يعني أنفسهم يضرون وينقصون نظيرها قوله: ﴿وما ظلمونا﴾ يعني وما ضرونا حين رفع بنو إسرائيل من المن والسلوى فوق أكل يوم - ادخروه مخافة أن ينفد، فعصوا الله فرفع عنهم هذه النعمة. ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الأعراف/١٦٠] وينقصون. فالظلم هنا بمعنى النقص والضرر.

الخامس: يظلمون أنفسهم بالشرك والتكذيب، فذلك قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم﴾ يعني كفار الأمم كلهم فنعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف/٧٦] لأنفسهم لكفرهم وتكذيبهم. فالظلم هنا بمعنى الشرك والتكذيب.

السادس: يظلمون: يعني يجحدون، فذلك قوله تعالى: ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ [الأعراف/٩]، يعني بما كانوا بالقرآن يجحدون ويدعون أنه ليس من الله، وكقوله: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ [الأعراف/١٠٣]. أي فجحدوا بآياتنا، وكقوله في بني إسرائيل: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ [الإسراء/٥٩]. فالظلم هنا بمعنى: الجحد والإنكار.

السابع: الظالمين يعني السارقين، فذلك قوله تعالى: ﴿فهو جزاؤه﴾ يعني السارق الذي وجدت السرقة في رحله فهو جزاؤه ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ [يوسف/٧٥] يعني السارقين، فيتخذ السارق عبدا لسرقته فيستخدم على قدر سرقته، كقوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا﴾.. إلى قوله: ﴿فمن تاب من بعده ظلمه﴾ [المائدة/٣٨و٣٩]، يعني من بعد سرقته(٨).. وهنا الظالم بمعنى السارق.

فهذه المعاني أو الوجوه السبعة التي انتهى إليها صاحب أقدم تفسير للقرآن تعد أساسا بنى عليه أصحاب التفاسير معظم أقوالهم وآرائهم حول معنى الظلم، وربما زاد بعضهم شيئا من بعده من المعاني التي لا تبعد كثيرا عن تلك الوجوه فقد قيل في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾، بمعنى: لا يسلبهم، والسلب هنا لا يخرج عن النقص وقد ذكره مقاتل ضمن ما ذكر.

ومما يلحظ أن المفسرين منذ عهد التفاسير الأولى قد وقفوا عند هذه الكلمة واجتهدوا في تفسيرها وتحديد معانيها من خلال سياقات النص القرآني وهم بذلك يختلفون منهجيا، وأداء عن أصحاب المعاجم الذين اختصروا معناها اختصارا شديدا.

والذي يمكن أن ننتهي إليه، في حدود هذه الصفحات المحدودة، أن كلمة (ظلم) اكتسبت من خلال الاستعمال القرآني عدة مفاهيم لم تعرفها الحياة الجاهلية. فقد كان ورودها ضمن القصص القرآني والحديث عن الأمم الغابرة معادلا موضوعيا للعواقب التي حلت بتلك الأمم لما اقترفوه من ظلم، وهنا تأتي ظاهرة أخذ العبرة والموعظة من سياقات حياة تلك الأمم. وكان ورودها بما يمس حياة المسلمين، يستهدف التنفير من الظلم والتحذير من عواقبه كقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥] وهناك من الآيات ما يدعو إلى نبذ الظلم والوقوف أمام الظالمين والانتصار للحق كقوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ [النحل/٤١]. ﴿أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا﴾ [الحج/٣٩]. ﴿وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ [الشعراء/٢٢٧]. ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

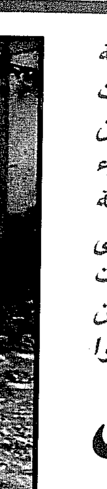
ويأتي ورودها - ضمن مشاهد القيامة - تحقيقا للعدالة المطلقة التي يتصف بها الله تعالى: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض جميعا لافتدت به﴾ [يونس/٥٤]. ولكن هيهات هيهات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم□

الهوامش:

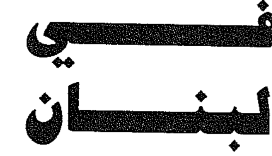
*) الفراء، يحيى بن زياد إمام العربية ينتمي إلى مدرسة الكوفة، له عدة مؤلفات أهمها: معاني القرآن، توفي ٢٠٧هـ [بغية الوعاة ص ٣١٤].

**) الأصمعي، عبد الملك بن قريب أحد علماء اللغة البارزين ينتمي إلى مدرسة البصرة ت٢١٥هـ [بغية الوعاة ٣١٤].

١) المفضليات، ص٤٤.
٢) نفسه ص ٢٩٤.
٣) شرح القصائد السبع، ص ٢٠٩.
٤) نفسه ص ٣٣٦.
٥) الأشباه والنظائر، تحقيق د.عبدالله شحاته، ص١١٨.
٦) نفسه ص١٢٠.
٧) فتح الباري ج٧، ص ٢٧٧، التفسير والمفسرون ج١، ص ٤٦، اللسان (مادة ظلم).
٨) الأشباه والنظائر، ص ١٢٠.



أسفرت نتائج الحرب الأهلية التي خاضها اللبنانيون طيلة سبعة عشر عاما عن الكثير من الويلات والمآسي التي لحقت بالشعب اللبناني، فهي أتت على الحجر فدمرته، وعلى الكيان الاقتصادي فأنهكته، وعلى الإنسان فأهلكته، وجعلته ينوء تحت أعباء كثيرة، على رأسها العبء المعيشي. والأزمة الاقتصادية التي عصفت بالبلاد - ولا تزال ذيولها ماثلة حتى أيامنا هذه - كان للبنانيين النصيب الأكبر منها، حيث ظهرت ملامحها عندما برزت الطبقية من جديد. وبات الناس يشكلون طبقتين اثنتين: الأولى: طبقة الأثرياء والمتمولين. الذين حققوا ثروة، إما بالكد والسعي وبالاغتراب، وإما بالسلب والسطو على حساب تعب الناس ودمائهم فصاروا أثرياء، اقتنصوا الفرصة، وظفروا بما يطمحون.



في لبنان بعد انتهاء الحرب..



● الحرب الأهلية دمّرت المكان وأضرت بالإنسان

الثانية: طبقة الفقراء المعدمين، الذين أسهمت عوامل عديدة في إبادة البسمة عن وجوههم، ومحو آثار النعمة من بيوتهم. فتملك المرض أجسادهم. وسيطر اليأس على نفوسهم. والمسلمون في لبنان، كان لهم حظ وافر من هذا البؤس العميم، ونزلت بهم أدواء البشرية الثلاثة: الجوع، والجهل، والمرض. وباتوا يخوضون غمار بحر لجي من المشاكل المتفاقمة والمتتابعة.

وإذا كان لابد من سبر أغوار الواقع الإسلامي من وجهة النظر الاجتماعية، فلابد من وضع اليد على الجرح. لكي يستبين المرض، وعندها يمكن وصف العلاج.

عوامل التقهقر

ففي نظرة أولية إلى عوامل الهزيمة الاجتماعية نتوقف عند الآتي:

١) الكسب: إن الأزمة الاقتصادية التي تتمثل بالتدهور النقدي منذ سنوات كان لها كبير الأثر في الواقع المعيشي للأسرة المسلمة في لبنان.. حيث إن انخفاض سعر صرف الليرة اللبنانية أمام الدولار الأميركي، وباقي العملات الأجنبية الصعبة، جعل اللبناني يقف وجها لوجه مع حائط مسدود، ويقع فريسة راتب (دخل مالي) يذوب ذوبانا أسرع من الملح، فهو يقبض بالليرة، ويتسوق ويصرف بالدولار، وشتان ما بين المدخول والمصروف.

وزاد الطين بلة كبر حجم الأسرة

بيروت - عباس العرب

عند كثير من الناس، مما زاد في المتطلبات وبالتالي عجزا أكبر.

٢) المرض: كما يقول أحد الخبراء الاختصاصيين: إن آثار الحرب وسلبياتها، وعوارضها السيئة، تظهر بعد انتهاء الحرب، وليس خلالها.

وهذا ما حدث فعلا في لبنان حيث كثر المرض، وظهرت أنواع من الأمراض لم نكن نسمع بها في مجتمعنا، حتى إن بعض الأمراض التي كانت نادرة، أصبحت متفشية، وبشكل مذهل، وأذكر على سبيل المثال - لا الحصر - أمراض القلب، الضغط، السكري، كهرباء الدماغ، الشلل، وفشل الكلى، وغير ذلك.

وهذه الأمراض في معظمها تحتاج إلى علاج دائم، وتعاط مستمر للدواء، مما يترتب إثر ذلك أعباء مالية تستنزف طاقات الإنسان المريض، وإمكاناته مهما كبرت، ناهيك عن الأمراض التي تحتاج إلى عمليات جراحية في مستشفيات معظمها خاصة لا ترضى بالقليل، ولا ترحم الفقير، حيث تستأصل ما في جيبه، قبل الورم الذي في جسده، هذا إذا بقي له جسد ينبض بالحياة، خاصة بعدما أصبحت المعاينات بالدولار، وتدفع مقدما عند السكرتيرة، والجراحة تسدد قيمتها قبل الدخول إلى غرفة العمليات، وكلما كانت الحالة المرضية صعبة، كان الابتزاز أكبر.

٣) التعليم: المدارس الخاصة أصبحت كحوانيت السمانة، وربما أكثر، تغريك بالبرامج التعليمية، وبطرق حديثة في التربية والتوجيه، وبأقساط مدروسة. وعندما تقع في حبائلها، تصبح فريسة سهلة لزيادات غير مدروسة، ولدفعات مالية. هذه لدعم المدرسة، وهذه للمصروفات النثرية. وتلك بدل ترفيه وتفقيه. وهذه.. وهذه.. إلى ما هنالك من استغلال لعواطف الأدب الذي يرغب بأولاده أن يركبوا مصاف الكبار، ويحصلوا على أعلى درجات المنى والأحلام. فإذا بالأحلام تتبعثر على مذبح شهوات مديري المدارس وأصحابها.. وإذا بجيل يدخل مرحلة التيه والضياع. وأمام هذا الواقع السلبي باتت شريحة كبيرة من المسلمين في لبنان، تواجه الإقطاع المالي من جديد، والإقطاع الصحي من قبل المستشفيات والأطباء، والإقطاع التعليمي من قبل أدواته المتمثلة في المدارس الخاصة.

المؤسسات الإسلامية

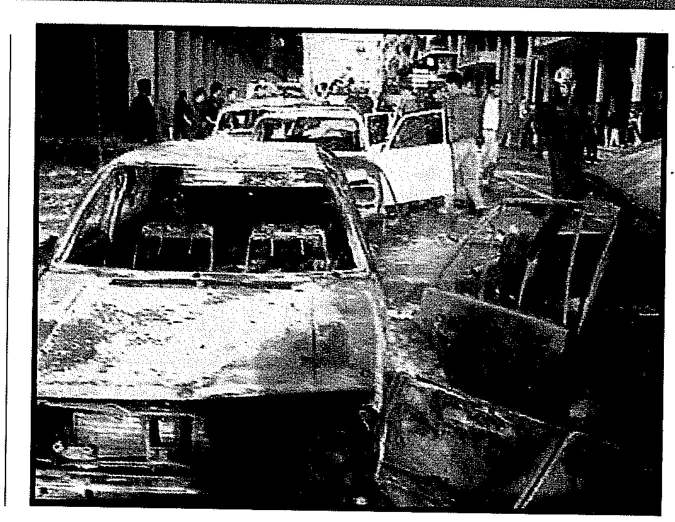
من هنا نشطت مجموعة من المؤسسات الإسلامية في محاولة لمواجهة هذه المشاكل، ولتخفيف المعاناة، وبادرت إلى مد يد العون والمساعدة، وفتحت أبوابها لاستقبال المحتاجين، وصناديقها لمساعدة المعوزين. وقد أسهمت هذه المحاولات بالتخفيف من حدة المعاناة، وببلسمة جراحات المعذبين، ورفع جزء من كابوس المحنة.

صندوق الزكاة

صندوق الزكاة في دار الفتوى، تجاوز عمره السنوات العشر، وهو مؤسسة إسلامية ذات منفعة عامة، انطلق منذ العام ١٩٨٤م، في ميدان المساعدة الاجتماعية الإنسانية، وهو يطبق فريضة من فرائض الإسلام، فيحصل على المال من الأغنياء، ويوزعه على الفقراء.

ويعتمد صندوق الزكاة في برنامجه العام للمساعدات على جملة مشاريع، تغطي معظم المناطق اللبنانية، وتتوزع وفق ما يلي:

١) مساعدات مالية: وهي عبارة عن منح شهرية للذين يستفيدون من برنامج الصرف الدائم. وهؤلاء يحصلون على مبالغ مالية تصرف لهم مباشرة.. كما يدفع صندوق الزكاة مساعدات مالية طارئة (لمرة واحدة) لأصحاب الحاجات الملحة كالأدوية،



● تفخيخ السيارات في المناطق الآهلة.. وحصاد الجنون

المحنــة تــزداد تفــاعـــلا

والعمليات الجراحية، والأقساط المدرسية والجامعية.

٢) مساعدات عينية: كالحصص التموينية التي توزع مرة أو مرتين في العام، والألبسة التي هي عبارة عن ثياب جديدة توزع مرتين في العام واحدة في الصيف، وأخرى في الشتاء. إضافة إلى إطعام المساكين في رمضان (طبق يومي).

٣) مساعدات مدرسية: من خلال إطلاق مشروع دعم الكتاب المدرسي الذي ينفذه الصندوق في مطلع كل عام دراسي.

جماعة عباد الرحمن

(جماعة عباد الرحمن) صرح إسلامي ناشط في الميدان الاجتماعي منذ عشرات السنين.. وهذه الجماعة ما توانت قط – منذ انطلاقتها – عن تقديم جميع أشكال العون والمساعدة للمسلمين.

ففي فترة ما قبل الحرب، اقتصر نشاطها بمعظمه على الجانب التثقيفي التوجيهي، حيث بادرت إلى إصدار المنشورات الدينية، واحتضان المحاضرات التوجيهية، والنشاطات الكشفية، وجعلت قبلة توجهها نحو الشباب الصاعد، بغية تحقيق سياسة تربوية فاعلة.

وخلال الأحداث وبعدها، وقفت (جماعة عباد الرحمن) إلى جانب الصامدين المتضررين. واحتضنت المسيحيين المهجرين من المناطق الشرقية، وبادرت إلى تقديم المساعدات المالية والعينية، ويمكن حصر نشاطها في الآتي:

١) الجانب الثقافي:

إصدار نشرة دورية تثقيفية دينية تحت اسم (العباد)، وتقويم سنوي يوزع مجانا. وبعض الكتيبات الإسلامية تحت عناوين (حي على الصلاة) لتعليم الصلاة، (من أحاديث الرسول) أحاديث نبوية منتقاة، (سيرة محمد) السيرة النبوية بأسلوب مبسط، وكتيب في أحكام التجويد، وآخر في الآداب الإسلامية.

كما تنشط الجماعة في الأعياد فيتحول مركزها إلى مدينة ملاه للأطفال، تحقق فرحتهم بالعيد، وفي فصل الصيف دورات لطلاب المدارس في الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، والخياطة، وتعلم القرآن الكريم، والفقه الإسلامي.

٢) المساعدات:

وجانب المساعدات كبير وواسع، حيث عملت (الجماعة) خلال الأحداث على تقديم مواد البناء المتضررين وتقديم الدواء للمرضى، وتشغيل مستوصف يشمل معظم الاختصاصات الطبيبة، وتقديم المساعدات العينية، كالحصص التموينية، والألبسة، وبعض الأدوات المنزلية، وإقامة وجبات الإفطار للفقراء والمساكين والأيتام، وتنفيذ مشروع الأضاحي.

وتتعاون (جماعة عباد الرحمن) و(صندوق الزكاة) في تنفيذ جملة من مشاريع العطاء وهذه المشاريع هي:

١) مشروع دعم الكتاب المدرسي حيث، يقدم الكتاب بنصف الثمن، والمستعمل مجانا.

٢) مشروع الكسوة الصيفية والشتوية.

٣) مشروع إطعام مسكين طيلة شهر رمضان المبارك.

٤) مشروع الأضاحي حيث تذبح الأضاحي وتوزع خلال أيام عيد الأضحى على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

٥) مشروع مساعدات الترميم للذين تضرروا خلال الأحداث.

جمعية الإرشاد والإصلاح

يبقى النموذج الثالث والأخير، وهو (جمعية الإرشاد والإصلاح الخيرية الإسلامية)، التي تنشط منذ عشر سنوات على تنفيذ بناء مسجد (السلطان محمد الفاتح) في منطقة (تلة الخياط) ببيروت. ويتضمن هذا المسجد عدة مرافق تؤهله لأن يكون في المستقبل القريب مركزا إسلاميا كبيرا، يستوعب مختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية.

والجمعية تقدم مساعدات مالية للعائلات الفقيرة المحتاجة وفق برنامج شهري، وأسس علمية مدروسة. كما تقدم مساعدات لمرة واحدة للحالات الطارئة، كالعمليات الجراحية، والغارمين، وأبناء السبيل، والمتضررين من الأحداث.

ونشطت الجمعية منذ أمد غير قريب بتنفيذ مشروع كفالة الأيتام، فاحتضنت مجموعة من الأيتام، أمنت لهم كفالات من داخل لبنان، ومن خارجه. بالتعاون مع بعض الجهات الإسلامية النافذة على العالم الإسلامي.

كذلك تقدم الجمعية مساعدات عينية كالحصص التموينية، والمواد الغذائية، ولحوم الأضاحي.

واقع ومرتجى

إن الدور الذي لعبته هذه المؤسسات الإسلامية العريقة يشعرنا بالاعتزاز بمؤسسات وقفت خلال نوائب الزمن، إلى جانب شريحة كبيرة من المسلمين. وأعانتها على تجاوز بعض محنتها، وهذا أمر واقع لا يمكن لأحد أن ينكره.

وهذا النهج الذي تمارسه هذه المؤسسات وغيرها ينبغي أن يطرأ عليه تعديل. خاصة أننا أصبحنا في زمن، الحرب فيه انتهت، والمحنة ما زالت تشحذ أنيابها، فمنحة مالية لمحتاج لا تمسح الفقر عنه، ورطل من اللحم لا يغني من جوع، وكسوة بالصيف لا تستر عورة طوال السنة.

لابد من تغيير البوصلة، فلتتوقف المساعدات المالية فورا.. ولتتوقف المساعدات الغذائية والكسائية، وشتى أنواع المساعدات الأخرى.. ولنتوجه في المسار السليم.. ولنعط بدل السمكة صنارة للصيد.

إن الحاجة ملحة إلى تشكيل مجلس أعلى للتخطيط الإسلامي في لبنان، يرسم لنا مستقبلنا، ومستقبل مؤسساتنا، وأجيالنا الصاعدة.

ولابد من التعاون، فتتضافر كل الجهود، وتتآزر كل الطاقات، لنبني المشاريع الإنتاجية، والمدرسة، والمستشفى، والمصنع، والصيدلية، ومحطة المحروقات، وغير ذلك.

وقد آن الأوان كي نمحو آثار التسول عن جبيننا، ونمسح غبار الفقر عن ثيابنا، ونؤسس لمجتمع يعتمد على نفسه في مسيرة ازدهاره وتطوره بإذن الله□

الاستقرار العائلي وأثره على نفسية الأبناء

الأسرة البيئة التأسيسية الأولى لكل فرد.. هي مدرسته الأول وفيها تتشكل نفسيته وشخصيته

إن الحديث عن الأمان النفسي، سرعان ما يستحضر الأسرة، على اعتبار أنها البيئة التأسيسية الأولى لكل فرد. ولم يغفل المصلحون والتربويون والدعاة عن هذه الحقيقة، فقدموا ولا زالوا يقدمون الكثير من الدراسات والأبحاث التي تساعد في شفاء الأسرة من أمراضها، هذه الأمراض التي لا تقتصر آثارها على الفرد والأسرة، إنما تمتد لتشمل المجتمع بأكمله، حين تتحول إلى ظواهر اجتماعية تحصدها الإحصائيات العددية والنسبية.

وإذا كانت معظم أبحاثنا ودراساتنا تصب في أساليب العلاج فإن النادر منها تلك التي اهتمت بأساليب الوقاية، من هنا تبرز (لجنة مصابيح الهدى)، لتصنف من أوائل اللجان التي أدركت

بقلم: ابتهال قدّور

أهمية البحث في أساليب الوقاية، قبل الاضطرار إلى الخوض في وسائل العلاج!!

الوقاية خير من العلاج

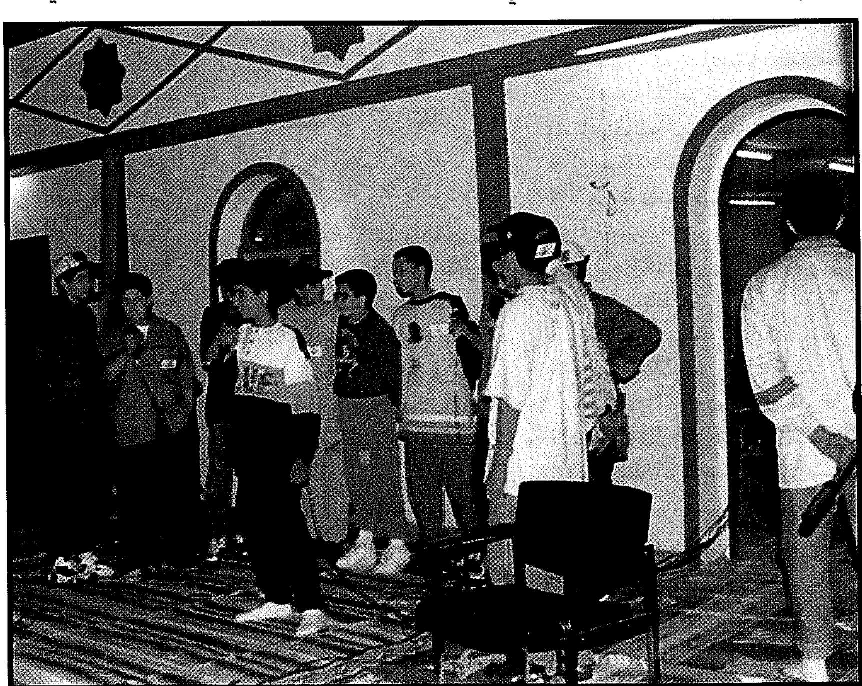
صحيح أننا نكرر باستمرار عبارة: (الوقاية خير من العلاج) في المجال الصحي، ولكن من رفع هذا الشعار - عمليا - في المجال الاجتماعي داخل الكويت هو (لجنة مصابيح الهدى)، التي تحاول بكل كفاءاتها وإمكاناتها تقوية البناء الأسري، حتى تُكون لديه أسباب مناعته، في حالة المشاكل الطارئة. فهي بذلك تكون قد تجاوزت المرحلة التقليدية في العلاج، والتي تتمثل في انتظار الوقوع في المشكلة، ثم طرح سبل علاجها!! لأنها تطبق بشكل عملي قواعد الفعالية الوقائية التي تلتفت إلى معالجة الأسباب قبل معالجة النتائج، وهو أسلوب تفتقر إليه المؤسسات الاجتماعية في عالمنا الإسلامي عموما!!

وقد تخطت اللجنة المذكورة الكثير من الحواجز التقليدية، هذه الحواجز التي تلف الإنسان بغلاف سميك يحجب عنه الإبداع والابتكار والمرونة، ويقيده داخل إطار من (الالتزام اللاواعي) بكل ما وجد عليه الآخرين، أو بكل ما اتبعه من سبق!!

ولا تخفى على أحد تلك الضجة التي أثارتها الدورة المنعقدة في سنة ١٩٩٣م، والتي حملت عنوان: (مهارات وفنون التعامل بين الزوجين)، تلك الدورة، يطيب لي أن أعتبرها بداية نقلة في العمل الاجتماعي من أسلوب (اتباع القوالب الجاهزة)، إلى أسلوب (صناعة وصياغة القوالب الملائمة)، وهذه النقلة تعكس - في الواقع - وعيا كبيرا لدى المشرفين والمنظمين لهذه اللجنة، لأن وسائل المحاكمة والاستنتاج تدل على أن هذا الأسلوب لا يأتي إلا من قبل جهاز مبدع وفعال نحن بحاجة إليه مع بدايات القرن الواحد والعشرين، الذي نأمل أن يشهد تحولات رئيسية في أعلى مستوى أساليب صياغة الإنسان المسلم. الذي تشكل الأسرة أهم وأبرز الخطوط في رسمه. الاستقرار العائلي.. ضرورة نفسية

في آخر فعالياتها كانت المحاضرة التي ألقاها د. عادل الزايد يوم ٢٥/٣/٩٥ تحت عنوان (الاستقرار العائلي، أثره على نفسية الأبناء)، والتي ناقش من خلالها المحاور التالية:

- مم تكون نفسية الإنسان؟
- نفسية الطفل.
- المؤثرات.
- أثر الأسرة في نفسية الإنسان.



● للمراهقين نصيب واف من اهتمامات اللجنة

- المشاكل والحلول.

ثم رسم من خلال هذه المحاور الدوائر الإيضاحية التي تتشابك في تركيبة الإنسان النفسية، مركزا على ثلاث دوائر رئيسية هي:

دائرة الطفل: التي تتطلب الحنان، والمرح، وكسر القيود، والانطلاق.

دائرة البالغ: وهو الجانب الذي يقرر الأمور بتوازن وحكمة.

دائرة الأبوين: وهو الجانب الذي يمنح الحنان للغير، ويحيطه بالرعاية والعطف.

ثم أوضح كيف أن طغيان جانب على جانب آخر يتمخض عنه إنسان غير متوازن، تضخمت عنده ناحية دون النواحي الأخرى. فتسبب هذا الأمر في إصابته بأمراض نفسية مثل الاكتئاب، والطفل الهستيري، وانفصام الشخصية، وما إلى ذلك من الأمراض النفسية التي يسببها غياب إحدى الدوائر، أو تضخمها على حساب دائرة أخرى. وعزا هذا الخلل في معظم حالاته إلى انعدام الاستقرار في الأسرة.، مبينا كيف أن الخلافات الزوجية تتسبب مباشرة في إحداث خلل يترك آثارا نفسية سيئة وسلبية تمتد إلى مراحل العمر المتقدمة. ووصل إلى أن الاستقرار الأسري هو العامل الأساسي لتوازن الدوائر حسب مساحاتها المطلوبة، مؤكدا أن هذا التوازن يتأتى بشكل عفوي، في حال تهيؤ عامل الاستقرار.

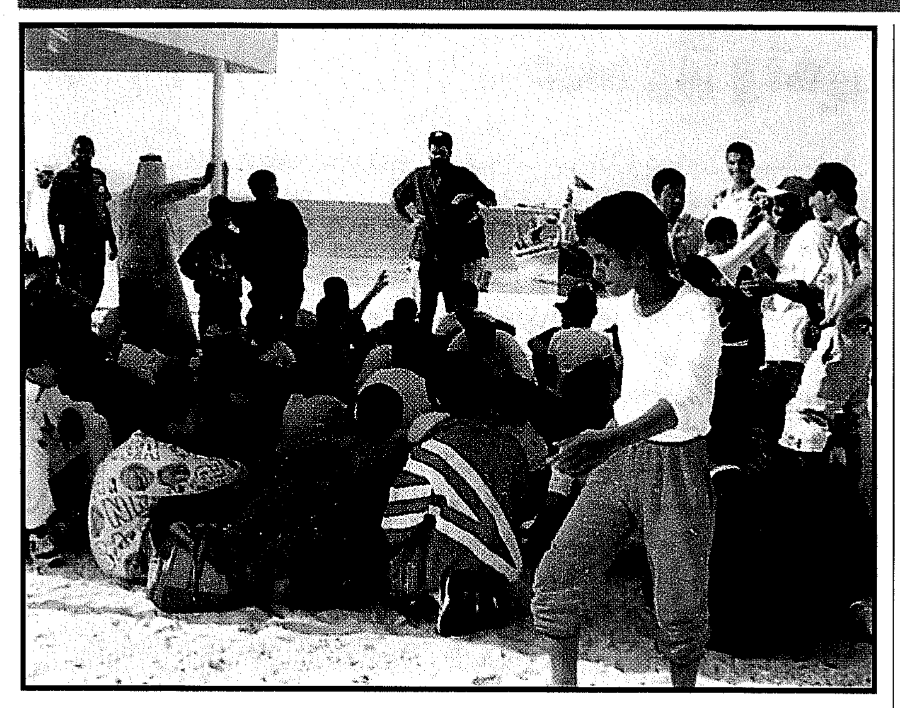
آثار الطلاق السلبية

وأدان المحاضر الطلاق، واعتبره السبب في ٦٠٪ من حالات الاكتئاب.. ولكنه لم يسهب في شرح هذه النقطة، لذلك أجد أن من الحكمة التنويه إلى أن الطلاق بحد ذاته لا يعتبر عامل هدم في كل الأحوال، ولكن ما يعمل على الهدم هو عدم علاج ظروف وأوضاع ما بعد الطلاق.. وأجدني أركز على ضرورة توزيع الأدوار بين الأم والأب بشكل سليم ومتكامل، لكي تنجح عملية التوازن.. لأننا - ونحن نسلم بأن الزواج بحد ذاته لا يعتبر سببا في تشكيل طفل متوازن نفسيا، إذ يشترط في هذا الأمر مراعاة الزوجين لأسس عامة في توزيع الأدوار والواجبات والمهام، والاتفاق على منهجية تربوية غير متناقضة، ولا متضاربة - فإننا في المقابل نستطيع القول بأن خلق الأجواء المناسبة لما بعد الطلاق تخفف من حدة المشكلة بشكل كبير، إذا ما كان هناك اتفاق أيضا على توزيع الأدوار بشكل متوازن بين الوالدين.

دور الدين والعرف

ولم يغفل المحاضر أهمية الدين والأعراف في التأثير على الدوائر الموضحة لنفسية الإنسان، ولم يفته الربط الموضوعي بين النظريات الصحية النفسية والتعاليم الإلهية في العملية التربوية. فنحن نجد أن الإسلام قد اهتم بمعالجة الظروف المحيطة بالطفل، في فترة ما بعد الطلاق فوزع المهام والأدوار بشكل يضمن للطفل جوا صحيا يبعده عن الأزمات النفسية، ولكن ما يحدث حاليا هو محاولات مختلفة الأحجام تهدف إلى تخفيض نسبة الطلاق في المجتمع، وهذا هدف سام لا يختلف عليه اثنان ولكن الحاجة ماسة في المقابل إلى بذل جهود متساوية من أجل خلق جو ملائم للطفل في حالة ما بعد الطلاق.. لأننا إذا ما اعترفنا بالطلاق كحل لمشاكل زوجية مستعصية بنفس طريقة اعتراف الإسلام به، وإذا ما سلمنا أننا لن نستطيع برغم كل الجهود أن نلغي هذا الحل لأسباب كثيرة تفسح المجال أمام بحث آخر، ليس موضوع طرحنا، فإنه ينبغي علينا من زاوية البحث عن التوازن والتكامل والشمولية، البحث عن أساليب فعالة وعملية وبسيطة موجهة للأم والأب المنفصلين تؤهلهما للارتقاء فوق ذواتهما، وخصوماتهما، من أجل تخفيف وطأة هذا الانفصال على الطفل.

وأجدني أتوجه بتلميحي هذا إلى (مصابيح الهدى)، على اعتبارها لجنة اهتمت وبرزت في تطوير الأساليب والاستفادة من اللفتات الصغيرة في بناء علاقات قوية ومتينة، كاستفادتها من إهداء الوردة الجورية في إعادة بناء العلاقة الأبوية، أو الاستفادة من بطاقة لطيفة في إعادة الحيوية إلى روتين الحياة الزوجية. لأن الاهتمام - بأساليب مشابهة - بإعادة الأمان إلى نفسية طفل كان ضحية انفصال والديه، ينبغي أن يكون أيضا من ضمن الخطط الموضوعة.



● من أنشطة (مصابيح الهدى) الترفيهية للشباب

مجالات واسعة شمولية

إن المحاضرة التي نظمتها لجنة (المصابيح) عن الاستقرار الأسري تفتح المجالات واسعة أمام أفكار خلاّقة، تأخذ منحى الشمولية في علاج أسباب الفشل الأسري سواء أكان هذا قبل الزواج أم بعده للوقاية من الطلاق، أو قبل الطلاق وبعده،

للوقاية من الدمار النفسي لأطفال سيكونون بناة المجتمع الإسلامي القادم.. نعم إن بناء المستقبل يبدأ من هنا، من بناء نفسية الطفل، ونقطة التحول بالمجتمعات الإسلامية مهما اختلفت الآراء في أولويات مراحلها، فإن نقطة الإجماع تبقى: البناء الاجتماعي المتماسك الذي لا يتحقق إلا ببناء نفسيات أبنائه وقيمهم وثقافتهم، لأنها السور الذي سيؤمن لهم الحماية والقدرة على المقاومة،

ومن ثم العطاء..

وهذا يبدأ بالأسرة، فقد أدركت لجنة المصابيح نقطة البداية، وعليها تقع مسؤولية المواصلة، والاستمرار كواجب يفرضه عليها مؤهلاتها، التي اعترف المجتمع بآثارها الملموسة ■

نافذة على العالم

مفتي لبنان يزور بيت الزكاة

استقبل المدير العام بالنيابة في بيت الزكاة السيد عبد القادر ضاحي العجيل في مكتبه يوم ٢٧/٣/١٩٩٥م، القائم مقام مفتي جمهورية لبنان سماحة الشيخ د.محمد رشيد قباني ورئيس مجلس إدارة الأوقاف الإسلامية في بيروت د.خالد قباني، وتناول الطرفان المواضيع المتعلقة بتنظيم الندوة الخامسة لقضايا الزكاة المعاصرة في لبنان خلال الفترة من (١٨ - ٢٠/٤/١٩٩٥م)، إضافة لبحثهما العلاقات الثنائية بين الطرفين في مجال العمل الخيري، ومشاريع بيت الزكاة في لبنان، وأكدا ضرورة التنسيق والاتصال الدائم بينهما في هذا المجال.



● عبد القادر العجيل

صندوق وقفي للثقافة والفكر

قال مدير إدارة شؤون الصناديق في الأمانة العامة للأوقاف صلاح الغزالي إن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، رئيس مجلس شؤون الأوقاف أصدر قرارا بإنشاء الصندوق الوقفي للثقافة والفكر، وذلك بتاريخ ١٤/٣/١٩٩٥م.

وذكر الغزالي أن الصندوق يهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية في شتى المجالات مع السعي إلى الاهتمام بدعم ونشر الفكر الإسلامي المستنير، وللصندوق الحق في القيام بجميع الأعمال والمشروعات اللازمة لتحقيق أهدافه، وعلى الأخص ما يلي:

دعم الإنتاج الفكري الجاد والعمل على نشره بمختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. إقامة المؤتمرات والندوات الثقافية والفكرية. تنظيم المسابقات الثقافية والجوائز السنوية للأبحاث والدراسات الإسلامية. المساهمة في إقامة المكتبات الثقافية وتزويدها بالمؤلفات المتميزة. دعم طلاب العلم المتفوقين. دعم وتنمية ثقافة الطفل، وغرس الاهتمام بالثقافة في نفوس النشء. المساهمة في تطوير أدوات الثقافة الإسلامية المحلية.

وقال الغزالي: إن القرار قد خصص ربع أصول وقفية قيمتها مليون دينار كويتي للصرف على مشاريع وأنشطة هذا الصندوق.

وأضاف الغزالي أنه قد تم تشكيل مجلس إدارة الصندوق بقرار وزاري آخر، وذلك على النحو التالي:



●عبد العزيز سعود البابطين

الدكتور عبد الله يوسف الغنيم، فيصل محمد الحجي، عبد العزيز سعود البابطين، عبدالعزيز بدر حسين القناعي، الدكتور عبدالله حمد المحارب، الدكتور عبدالله محمد الشيخ، الدكتور وائل محمد الحساوي، بثينة إبراهيم مكي، مدير الصندوق الوقفي للثقافة والفكر.

والجدير بالذكر أن الصندوق الوقفي للثقافة والفكر يعتبر الصندوق الثاني الذي انتهت إجراءات تأسيسه بعد الصندوق الوقفي لرعاية المعاقين والفئات الخاصة، وان هناك مجموعة من الصناديق الأخرى التي تم الإعلان عنها وعددها ثمانية سيتم استكمالها خلال هذين الشهرين ليكتمل العدد، وهو عشرة صناديق وقفية.

ولائم الإفطار في بيت الزكاة

أعلن محمد عبد الرحمن العجمي مدير مشروع ولائم الإفطار في بيت الزكاة أن خمسة آلاف صائم استفادوا من المشروع الذي نفذه البيت خلال شهر رمضان المبارك، قدمت لهم ١٥٠ ألف وجبة طوال الشهر، وعبّر عن ارتياحه لنجاح المشروع الذي نفذه البيت في ٣٢ مسجدا، موزعة على جميع محافظات الكويت.

وأوضح أن المشروع نفذ في المساجد بصورة مطمئنة من حيث النظام والهدوء والسكينة، وقال إن الوجبات الغذائية كانت جيدة وكافية، وذلك من خلال تفحصها المستمر، والزيارات المتكررة لهذه المساجد، واللقاء بالإخوة المستفيدين الذين أعربوا عن شكرهم لبيت الزكاة ولكل من ساهم في هذا المشروع.

توزيع جائزة الملك فيصل العالمية

احتفل في الرياض يوم ٢٤ شوال ١٤١٥هـ، الموافق ٢٥/٣/١٩٩٥م، بتسليم جائزة الملك فيصل العالمية إلى الفائزين بها هذا العام، وهم ثمانية من علماء الإسلام، ورجال الفكر والعلوم من المسلمين والأجانب وقيمتها مليون دولار، وقد فاز العلماء الثمانية في أربعة من فروع الجائزة الخمسة، نصفهم ينتمون للعالم العربي من مصر وسوريا، ومثلهم من الغرب وينتمون لثلاث جنسيات أميركية وكندية وبريطانية، وتضاعفت قيمة الجائزة الأولى لأول مرة هذا العام لتصبح ٢٠٠ ألف دولار عن كل فرع بدلا من نحو ١٠٠ ألف دولار في السابق. وقام النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز بتكريم الفائزين وتسليمهم الجوائز في احتفال كبير أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تنبثق عنها الجائزة. وقد حجبت اللجنة جائزة الدراسات الإسلامية حيث إن الأعمال المرشحة مع ما بذل فيها من جهد، حسب تعبير اللجنة، لا ترقى إلى المستوى المطلوب لنيل الجائزة.

ثم أعلنت الجوائز من قبل اللجنة على النحو التالي:

خدمة الإسلام

قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام منح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) سماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية فائزا بالجائزة، وذلك لتعدد مجالات عمله في خدمة الإسلام والمسلمين.



● الشيخ جاد الحق

الأدب العربي

في الأدب العربي قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية منح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وموضوعها (الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث) لكل من: الأستاذ الدكتور حمدي سيد أحمد السكوت، الأستاذ الدكتور محمد أبو النوار محمد علي، الأستاذة سلمى لطفي الحفار الكزبري.

المناعة الجزيئية

قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للطب أن تمنح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وموضوعها «المناعة الجزيئية» مشاركة لكل من: الأستاذ الدكتور غريغوري بول ونتر من بريطانيا، والأستاذ الدكتور مارك ديفز الأميركي الجنسية، الأستاذ الدكتور تاك واه ماك الكندي الجنسية.

مجال العلوم

أما جائزة العلوم، فقد قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم منح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وموضوعها (الكيمياء)، للأستاذ الدكتور باري شاربلس، الأميركي الجنسية. هذا وقد ذكرت الأمانة العامة للجائزة أنها سترفع القيمة النقدية للجائزة اعتبارا من هذا العام من ٣٥٠ ألفا إلى ٧٥٠ ألف ريال سعودي، أي ما يعادل ٢٠٠ ألف دولار أميركي. وأن المبلغ الإجمالي للجوائز الخمس هو ما يعادل مليون دولار أميركي.

وأعلنت عن موضوعات السنة المقبلة وهي:

في الدراسات الإسلامية: (الدراسات التي عنيت بالسيرة النبوية).

في الأدب العربي: (أدب الرحلات في التراث العربي تحقيقا أو دراسة).

في الطب: (العناية بالرضيع الخديج - ناقص النمو).

في العلوم: (علم الحياة - البيولوجيا).

توقع انتهاء الفقر في إندونيسيا عام ٢٠٠٠

نقلت وكالة أنباء (انتارا) الإندونيسية الرسمية أمس عن الرئيس الإندونيسي سوهارتو قوله: إنه لن يكون هناك بالبلاد أحد يعيش تحت خط الفقر بحلول عام ٢٠٠٠.

وقال سوهارتو: إنه مع انتهاء خطة التنمية الخمسية الحالية في ١٩٩٩م، أو خلال الخطة الخمسية التالية على أكثر تقدير، سيتم القضاء على الفقر المدقع في إندونيسيا.

ونقلت الوكالة عنه قوله: (يبلغ عدد الإندونيسيين الذين لا يزالون يعيشون تحت خط الفقر ٢٥,٩ مليون نسمة. ومن المتوقع أن يتناقص هذا العدد من سنة لأخرى بما يتماشى مع تقدم التنمية الوطنية).

وقال: إن ثمار التنمية الاقتصادية ستوجه لأشد القرى فقراً.

ثلاثة اقتراحات لحل قضية كشمير

طرحت جبهة تحرير جامو وكشمير ثلاثة اقتراحات للتوصل إلى حل لقضية كشمير سلميا أولها: تهيئة الفرصة لجميع القادة الكشميريين من مختلف التوجهات للاجتماع في بلد محايد والخروج بصيغة للحل مقبولة من الجميع. وأوضحت الجبهة أن الاقتراح الثاني: هو عقد مؤتمر ثلاثي تحضره الهند وباكستان وممثلو كشمير تحت رعاية الأمم المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية. والثالث هو: توحيد الجزأين الهندي والباكستاني من كشمير بعد انسحاب قوات البلدين منهما، وبعد هذا توضع الولاية تحت رعاية إدارة محايدة بإشراف الأمم المتحدة، ويُجرى استفتاء عام يقرر فيه سكان كشمير اختيارهم الحر.

الاجتماع الثاني للقطاع الخاص في العالم الإسلامي

أعلن عقيل أحمد الجاسم الأمين العام للغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة أن الغرفة الإسلامية ستعقد الاجتماع الثاني للقطاع الخاص في العالم الإسلامي في القاهرة في شهر أكتوبر القادم ١٩٩٥م، وذلك لتطوير وزيادة التبادل التجاري والتعاون الصناعي والاقتصادي والاستثمار بين البلدان الإسلامية.

ويعقد هذا الاجتماع بالتعاون مع اتحاد الغرف التجارية في مصر ومن المنافع المتوقعة لهذا الاجتماع تعريف التجار، ورجال الأعمال في البلدان، والتعرف على مجالات التجارة والأسواق والاستيراد والتصدير.

وكانت الغرفة الإسلامية للتجارة قد عقدت الاجتماع الأول للقطاع الخاص في البلدان الإسلامية في استانبول في ١٨ أكتوبر ١٩٩٤م، وحضره ١٥٠ من ممثلي المؤسسات التجارية والشركات والبنوك والمؤسسات الصناعية والاقتصادية.

والغرفة الإسلامية للتجارة ومقرها كراتشي منظمة متفرعة عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

مجلس عالمي للتصدي لأعداء الإسلام

سيتم قريبا إنشاء المجلس العالمي للمعلومات الإسلامية. ويأتي تأسيس هذا المجلس كمحاولة لصد التيار المتزايد لآثار الشبهات الباطلة عن الإسلام، وتشويه صورته في الأذهان. فقد سبق ذلك تشاور وإعداد ودراسة مكثفة حول جدوى المشروع من قبل الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وقد عقد اجتماع للأعضاء المؤسسين للمجلس في بريطانيا، حيث تم اعتماد دستوره ووضعت له الخطط المستقبلية القريبة والبعيدة.

وينتظر أن يضم المجلس في عضويته عددا من الشخصيات الإسلامية كالشيخ عبد الله المطوع رئيسا، والدكتور مانع الجهني رئيسا لمجلس الأمناء، والداعية الألماني أحمد فون دنفر نائبا للرئيس.

ويشتمل الهيكل الإداري للمجلس على مجلس استشاري موسع يضم عددا من الشخصيات المرموقة في علوم الشريعة الإسلامية والاقتصاد والمال والدعوة.

إلى جانب لجنة تنفيذية مكونة من ثمانية أعضاء منتخبين من قبل مجلس الأمناء، وذلك لتنفيذ القرارات ومتابعة أعمال المجلس، الذي سيتخذ من بريطانيا مقرا له.

ويحظى إنشاء هذا المجلس بدعم وتشجيع عدد من الشخصيات الإسلامية المعروفة، أمثال الشيخ أبو الحسن الندوي، وكامل شريف، والمشير عبد الرحمن سوار الذهب، والدكتور يوسف القرضاوي وغيرهم.

إلغاء مشاريع لصندوق النقد

قال مسؤول كبير عن وضع سياسة صندوق النقد الدولي إن الصندوق ألغى خطة مثيرة للجدل لضخ نحو ٥٥ مليار دولار في اقتصاد العالم بعد أن عجزت الدول الغنية والفقيرة عن الاتفاق عليها.

وقال فيليبي مايستات رئيس اللجنة المؤقتة لوضع سياسة صندوق النقد الدولي إن هذا الاقتراح لن يدرج على جدول أعمال الاجتماع نصف السنوي، الذي يعقده الصندوق في واشنطن هذا الشهر، وأضاف مايستات – وهو وزير مالية بلجيكا أيضاً – لا أرى أي احتمال للتوصل إلى اتفاق خلال اجتماعنا المقبل.

وأيد ميشيل كامديسي عضو مجلس إدارة صندوق النقد المنتدب خطة الخمسة والخمسين مليار دولار كوسيلة للمساعدة في تلبية الطلبات العالمية المتزايدة على رأس المال، وحظيت بتأييد الدول النامية.

وبموجب الاقتراح سيتعين على صندوق النقد الدولي توفير أموال من لا شيء من خلال إصدار لحقوق السحب الخاصة لكل أعضاء الصندوق البالغ عددهم ١٧٩ عضواً.

ولكن الدول الصناعية الغنية ولا سيما ألمانيا عارضت الخطة قائلة: إنها لا ترى ضرورة لها.

حصاد (الأيدز) في مالاوي

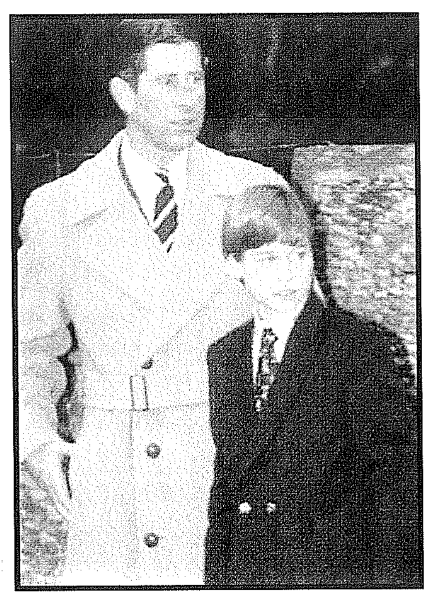
أعلن نائب الرئيس المالاوي مالاويت جوستان ماليويزي أن سبعة أشخاص يموتون بمرض قصور المناعة البشرية المكتسبة «الأيدز» كل ساعة في مالاوي. وأدلى ماليويزي بهذا التصريح في افتتاح مؤتمر لمدة يوم واحد حول مرض الأيدز. وأضاف ماليويزي أنه منذ ظهور أول ١٧ حالة من مرض الأيدز في البلاد عام ١٩٨٥، وحتى مارس من هذا العام توفي ١٣٨ ألف شخص نتيجة إصابتهم به.

ولي عهد بريطانيا.. وكلمة إنصاف

خلال زيارته الأخيرة للقاهرة أكد الأمير تشارلز في حديث لجريدة الأهرام أن العالم الغربي مدين في حضارته الحالية للعالم الإسلامي. وقال إن العالم الغربي لا ينكر ذلك، وأنه ينبغي على العالمين الإسلامي والمسيحي أن يعملا على تفادي الخصومة لأن لدى كل منهما ما يقدمه للآخر. وأكد الأمير تشارلز أن ما يربط العالم الإسلامي والعالم المسيحي أقوى مما يفرق بينهما .. وقال إن المسلمين والمسيحيين واليهود هم أهل كتاب يشتركون في عناصر توحيدية مشتركة.

وأضاف ولي العهد البريطاني أن الجميع يشتركون في قيم رئيسية عديدة منها احترام العدالة والتعاطف تجاه الفقراء والمحرومين، وتقدير أهمية الحياة الأسرية. وأعرب الأمير تشارلز عن اعتقاده بأن المناقشة والحوار هما السبيل الوحيد للتغلب على المشكلات التي يمكن أن تنشأ بين الديانات والتقاليد والثقافات المختلفة.

وجدير بالذكر أن لولي عهد بريطانيا محاضرة شهيرة ألقاها أمام جامعة أكسفورد البريطانية منذ عام استعرض فيها مآثر الحضارة الإسلامية على العالم الغربي.



وجاءت هذه المحاضرة في أعقاب بدء حملة غربية معادية للإسلام، تطالب باعتباره العدو الجديد للحضارة الغربية بعد انهيار الشيوعية والكتلة الشرقية السوفييتية. وهي الحملة التي يتبناها بعض السياسيين الغربيين وكان آخرهم ويلي كلايس الأمين العام للحلف الأطلنطي الذي أدلى بتصريح بهذا المعنى منذ حوالي شهر.

آثار الشذوذ الجنسي في الجيش الأميركي

سلطت محاكمة الأضواء على سياسة الإدارة الأميركية التي تسمح بالتغاضي عن وجود الشواذ جنسيا في صفوف القوات المسلحة الأميركية، وقال محام عن الحكومة إن إلغاء هذه السياسة قد يضر بمستوى الفعالية العسكرية.

وفي المرافعات الأولية، جادل محام عن ستة عسكريين بأن السياسة التي أقرها الكونغرس في نوفمبر ١٩٩٣م، تنص على عدم مطالبة العسكريين بالكشف عن ميولهم الجنسية، وتمثل انتهاكا لحقوقهم الدستورية في حرية التعبير عن الرأي والتمتع بالمساواة في الحماية بموجب القانون، وأنها تقوم على أساس التحامل ضد الشواذ جنسيا.

لكن جون روجوفين نائب مساعد المدعي العام قال للقاضي يوجن نيكرسون الذي ينظر في القضية من دون وجود هيئة محلفين: إن التوترات الجنسية من شأنها أن تقلل درجة الاستعداد لأية وحدة عسكرية، وهذه التوترات تنشأ عندما يكون هناك انجذاب بين أشخاص، ومشاعر الغيرة والتوترات تنشأ من العلاقات وغالبا ما تكون نتيجة وجود علاقات جنسية في أية وحدة.

وتمثل القضية أول تحد دستوري مباشر لقانون سلطة الدفاع الوطني الذي توصلت إليه إدارة الرئيس بيل كلينتون كحل وسط لحظر الجيش عدم التحاق الشواذ جنسيا من الرجال والنساء بالخدمة العسكرية.

مفاعل ديمونا الإسرائيلي ينشر السرطان

انتشرت ظاهرة الإصابة بمرض السرطان بين مئات العاملين الإسرائيليين في المفاعل النووي الإسرائيلي في ديمونا بمنطقة النقب.

وكشفت صحيفة (كل هعير) الإسرائيلية النقاب عن تقارير طبية أثبتت تفشي مرض السرطان بالعاملين في مفاعل ديمونا النووي بمن فيهم عناصر الجيش والأمن الإسرائيليين.وأوضحت الصحيفة أن الإصابة بهذا المرض شملت جميع الذين عملوا لمدد طويلة في هذا المفاعل، وأن علاجهم أصبح بلا جدوى لتآكل رئاتهم وأمعائهم وغددهم.

ونقلت الصحيفة عن العديد من المصابين قولهم: كنا نشارك في عمليات تصنيع اليورانيوم، وتعرضنا عدة مرات للأشعة ولم توفر لنا الحماية الملائمة، وقرر كثيرون منهم رفع دعاوى ضد الحكومة الإسرائيلية للإهمال السائد في ظروف العمل، والذي أدى إلى إصابتهم بالسرطان.

حصيلة الحقد الأسود!!

أكدت آخر إحصائية صدرت عن دائرة متابعة جرائم الحرب في البوسنة أن مليونا و٧٣٠ ألف شخص قد نزحوا من منازلهم أو جرى تهجيرهم بالقوة منذ عام ١٩٩٢ حتى الآن.

وأضافت الإحصائية أن عدد القتلى قد بلغ ربع مليون نسمة بينما بلغ عدد المفقودين ١١ ألفا.

وأبرزت الإحصائيات تدمير قرابة ٢٠٠ مسجد وعشر كنائس كاثوليكية على يد الصرب في مناطق متفرقة من البوسنة.

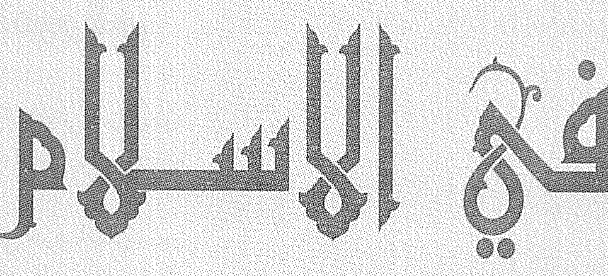
كما هدم الصرب أثناء السنوات الأخيرة حسب الإحصائية ٢٣٠ مدرسة ومعهدا تعليميا إضافة إلى تدمير ١٠٧ عيادات طبية ومستشفى في البوسنة والهرسك.

وأوضحت الإحصائية أن أكثر المناطق البوسنية التي أصابها الدمار البشري والعمراني جاء في شرق وشمال البوسنة إضافة لمنطقة بانيا لوكا في الشمال الغربي أيضا.



عندما كان العالم في غمرة من الجهل والظلم، كان منطق القوة مسيطراً عليه، ولم يكن للحق والعدالة فيه وجود، جاءالإسلام لينظم أمور الإنسان وينسق علاقاته بربه ونفسه وبني جنسه، ويقرر المبادىء الخاصة بحقوقه السياسية الاجتماعية والمدنية، ويحترم الشخصية الإنسانية بكفالته لحرية الفكر، وحرية التدين والحرية السياسية، وأثبت للإنسان حقوقاً لم تبلغ إليها القوانين الحديثة في القرن العشرين، والمبادىء التي قررها الإسلام لصون كرامة الإنسان وحقوقه لا تزال برونقها وصفائها أكثر بهاء من كل ما جاء به البشر ووصل إليه التقدم..

حقوق الإنسان في الإسلام



بقلم: محمود الشرقاوي

ولو وازن الإنسان بين ما جاء به الإسلام وبين ما اهتدى إليه العقل البشري أو أتت به القوانين البشرية بمختلف أنواعها، لأدرك أن المبادىء الإسلامية الخاصة بحقوق الإنسان أحق وأعدل وأنها أثبتت للإنسان حقوقاً لا توجد في غيرها من القوانين، وصانت للإنسان شخصيته وكرامته.

حرمة المسكن في الإسلام

حرص الإسلام على الصون والأسرار فانعكس هذا على طراز عمارة البيت الإسلامي الذي يفتح على الداخل لا الخارج، والذي تشكل نوافذه مشربيات حاجبة، حتى حديقته ونافورته تقوم في الداخل ليستقل أصحابه بما حوى.



وفي القرن العشرين نجد أجهزة التجسس العلمية عند من يسمون أنفسهم بالعالم الأول، تحرم الإنسان من حياة خاصة يحياها، وتحرمه من متعة الستر والسر، ولقد بلغ الأمر بهؤلاء أن انتهكوا حرمة الأفراد إلى النخاع حتى ليسمى (باكارد) المجتمع الأمريكي (المجتمع العاري) في كتابه (the naked society) إن للفرد في الإسلام الحق في طلب المحافظة على (خصوصياته) وهي التي يريد أن يحتفظ بها لنفسه، وفي علاقاته مع بعض من يثق بهم.

يقول الله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الاسراء:٣٦] أي تتبع ما ليس هو من شأنك أن تعلم به، فينتهي عن السعي والتتبع للوقوف على أسرار الغير لأنها هي التي من شأنها أن لا يعلم بها غير صاحبها.. إذ ينهى عن ذلك فإنه يحفظ على كل إنسان خصوصياته، وفيما تستطرد فيه الآية بعد ذلك، إذ تقول: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ [الاسراء:٣٦] انما تؤكد النهى السابق، بتحديد مسئولية إنسانية الفرد التي تتمثل في إدراكه وفي إيمانه عن مخالفته، فعملية التتبع لأسرار الغير تتم عادة إذا خف إيمان القلب ثم نشط العقل في تبرير وسائل التتبع وتحديد مسئولية الايمان والعقل في تتبع أسرار الغير وخصوصياته، تتضمن

أن الانسان المتتبع لأسرار غيره، قد تجرد من الايمان وحكمة العقل.

وللفرد الحق - قبل الدولة - في الحفاظ على حرمة المسكن. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا (أي حتى تحسوا برضاء الإنس والقبول لكم بين هذه البيوت، وهذا الشرط يحول دون اقتحام المسكن بالإكراه، في بياض النهار أو ظلام الليل) وتسلموا على أهلها (أي وعند شعوركم بإحساس الرضا والقبول تلقون السلام - وهو شعار الأمان والإطمئنان - على أهلها) ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم (وهذا تأكيد لحرمة المسكن) ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ (وهذا الجزء من الآية دليل آخر على نفى الإكراه واقتحام المساكن بالقوة) والله بما تعلمون عليم. ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ [النور:٢٧-٢٩].

والإسلام ينهى عن التجسس، قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان تواب رحيم﴾ [الحجرات:١٢].

إن رعاية حرمة أسرار الفرد وخصوصياته إلى هذا الحد في تعاليم القرآن الكريم، تبرز سمو الإسلام في حكمه وسياسته، وتفوقه في رعاية الإنسانية، على نظم الحكم المعاصرة.

حماية حقوق العدو!

حمى الإسلام الحقوق الشخصية للعدو فحرم في الحروب هدم المنازل. روى مسلم من حديث بردة أن النبي ﷺ كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال ﷺ: «اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»..

وجاء في الصحيحين: أن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان، وهذه وصية أبي بكر الصديق إلى قائدة يزيد بن أبي سفيان التي رواها الإمام مالك في موطئه، قال: (إني موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً، ولا هرماً، ولا تقطع شجراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكله، ولا تعقرن نخلاً، ولا تحرقه، ولا تغلل، ولا تجبن).

وبالغ الإسلام في اكرام الأسير، حتى أن نصوص القرآن تعتبر اطعام الأسير من أكبر البر، ويذكر صفة من صفات المؤمنين، فيقول سبحانه في صفات المؤمنين الأبرار ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الانسان:٨].

> ”حمى الإسلام الحقوق الشخصية للعدو فحرم في الحروب هدم المنازل“

> ”حرص الإسلام على الحقوق الشخصية للإنسان حتى قبل أن يولد“

ويقرر الإسلام أن الذين يدخلون الديار الإسلامية وقت الحرب من التجار مستأمنون، وقد أعطوا عهد الأمان، ويستمر أمانهم، وإن كانوا منتمين لدولة معادية، بل لدولة نشبت بينها وبين المسلمين حرب، فيزاولون تجارتهم وأعمالهم. وتكون أموالهم مصونة لا تمس، ماداموا قائمين بحق الأمان الذي أعطى لهم، والعهد الذي تعاهدوا عليه، فلا يقيدون إلا لشروط التي أخذت عليهم.

قال السرخسي في المبسوط في أموال تجار الدولة المعادية بعد نشوب الحرب: (أموالهم صارت مصونة بحكم الأمان فلا يمكن أخذها بحكم الاباحة)، بل إن الاسلام - لحرصه على أموال التجار الذين دخلوا بعقد أمان يقرر - أن التاجر المستأمن يستمر على ملكه، ولو عاد إلى دار الحرب وحمل السلاح محارباً المسلمين.

حفظ حقوق الجنين

حرص الإسلام على الحقوق الشخصية للإنسان حتى قبل أن يولد بمعنى أنه جعل من حق الطفل على والديه، اختيار الإسم الحسن له، واختيار أم يشرف بها. ويروى عن النبي ﷺ قوله: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه مسلم]، تربت يداك أي لله درك، وذات الدين هي المرأة الصالحة، ذات الخلق الكريم، يزينها أدب وحياء، ويحليها فهم وذكاء، وتخير مثل هذه المرأة يعد أجمل إحسان الأدب لأولاده الذين أنجبتهم، وبها يمن عليهم.

كرامة الرقيق

حرص الإسلام على كرامة الأرقاء، فسوى الإسلام بين الأرقاء ومخدوميهم في الطعام والشراب واللباس والتعليم وفي معظم الحقوق المدنية اللهم إلا في الولاية. قال الرسول ﷺ: «لا يقل أحدكم عبدي، أمتي، وليقل فتاي، وغلامي» [رواه أبو هريرة].

وقال ﷺ: إخوانكم - أي مماليككم - خولكم - أي خدمكم لأنهم يتخولون الأمور أي يصلحونها ومنه الخولى لمن يقوم بإصلاح الحقل - جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوة تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم مالا يطيقون، فإذا كلفتموهم فأعينوهم فإنهم لحم ودم مثلكم» [رواه البخاري].

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة».

كان الرق يسرى في ثقافات العالم جميعها فالوصية العاشرة من وصايا التوراة تقول: (لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته) [الخروج، الاصحاح ٢٠].

والمسيحية كذلك جاءت تأمر العبيد أن يحسبوا حساب

حقوق الانسان في الإسلام

سادتهم فرسالة بولس الرسول الأولى إلى (تيموثاوس) تقول: (جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام) [الاصحاح السادس الفقرة الأولى].

جاء الإسلام في وقت كان الرق فيه نظاما اقتصادياً فلم يمر به في اغضاء ولم يحرمه دفعة واحدة لأنه في قضايا البيئة يبدأ بالواقعية وينتهي إلى المثالية، فعل هذا في الدعوة إلى اجتناب الخمر فعلى الرغم مما فيها من ضرر بالغ وفساد مبين، لم يحرمها الإسلام دفعة واحدة بل مهد لتحريمها بالذم أولاً، ثم بالنهي عن أداء الصلاة في حال السكر ثانياً ثم حرمها ثالثاً، وكذلك تدرج في علاج الرق فسوى بين الرقيق وسيده في المعاملة، كما شجع المسلمين على العتق في:

١) كفارة اليمين، قال تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ [المائدة:٨٩].

٢) كفارة الظهار: قال تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به، والله بما تعملون خبير﴾ [المجادلة:٣].

٣) أمر الإسلام بسهم من الزكاة يصرف لتخليص الرقاب من الرق والأسر. قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ [التوبة:٦٠].

٤) وقد أشار الله تعالى إلى الطريق التي فيها النجاة والخير فقال جلّ شأنه: ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة﴾ [البلد:١١-١٣] فبين جل ثناؤه، أن اقتحام هذه الطريق وقطعه في فك رقبة من الرق.

٥) من قتل مؤمنا خطأ. قال تعالى: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مُسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء:٩٢].

وغير هذا، بل تجاوز قاعدة الثلث في الوصية إذا كانت ثمناً للرقيق ولو كانت المال كله.

حق الإجارة والاستجارة

حرص الإسلام على حق الإجارة والإستجارة. فقال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك (أي طلب منك الأمان وعدم التعرض له) فأجره حت يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (أي ووصله إلى مكان يأمن فيه على نفسه وعلى كل حرماته خارج ديار المسلمين) ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (أي لا يعلمون الدين على حقيقته)﴾ [التوبة:٦].

سوى الإسلام بين الأرقاء ومخدوميهم في الطعام والشراب واللباس والتعليم وفي معظم الحقوق المدنية

حرية التفكير

حرص الإسلام على حرية التفكير، فقد بنيت العقيدة الإسلامية براهينها على النظر في الكون ودراسته، وأمر الإسلام المسلم أن يفكر فيما تحت يده في الأرض، وما فوقه من أفلاك ليتعرف على كنهها لأنها سُخّرَتْ له وذللت لإرادته. ولا يمكن أن يدرس الكون دراسة علمية إلا إذا كانت هناك حرية للفكر المستقيم..

وإذا كانت دراسة الكون يطلبها على سبيل الفرض الكفائي، فإن حرية الرأي وإعلانه واجبه. ويرى الإسلام أن النفوس المبتلاه بالهوى لا تفكر في الأمور إلا من زاويتها الخاصة، ولا تدرك المشاكل إلا من منظارها الخاص، والهوى بلاء يقود صاحبه إلى المهالك، ذلك أن الهوى هو قيد للعقل وعائق في سبيل انطلاقه وتحرره. وحين يكثر في الجماعة أو في الأمة أصحاب الهوى والعقول الضيقة المقيدة عندها يكون المجتمع عرضة لأخطار التأخر والجمود. قال تعالى: ﴿أفمن كان على بنية من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ [محمد:١٤].

ويرى بعض المفكرين أن الدين الذي يقول للناس ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل:٨] قد فتح أمامهم باحة اللانهاية فلا يدع في أنفسهم حاجة إلى السؤال عن الحدود والغايات. وأباح للعقول أن تجول في كل مجال وأن تجوس خلال كل مجهول.

المساواة بين الناس

حرص الإسلام على حق الانسان في المساواة. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ [النساء:١].

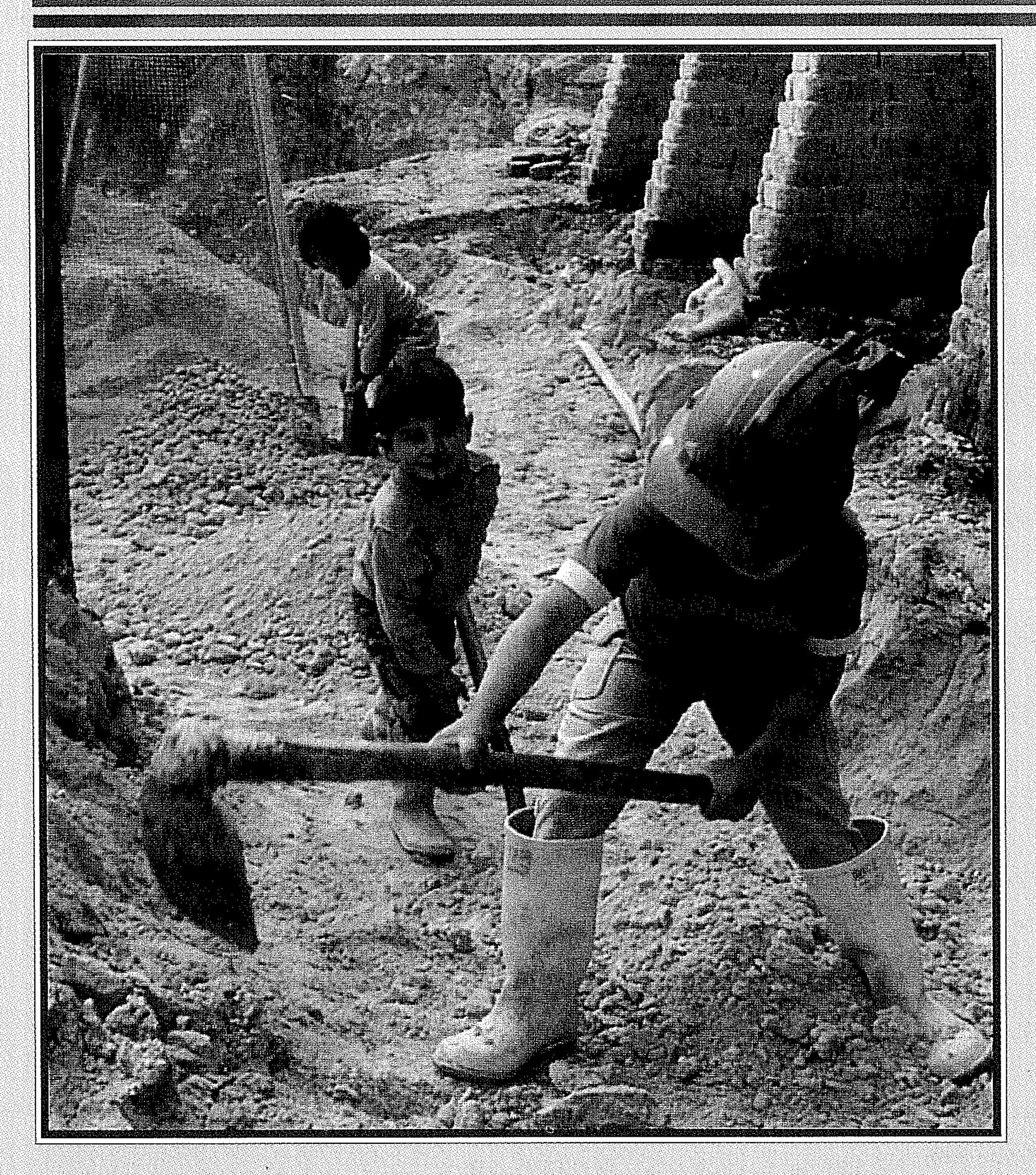
فالناس من أصل واحد، وهم سواسية في الأصل والمنشأ. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣].

والمساواة التي شرعها الاسلام في تطبيقها وتحقيقها، هي المساواة بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات. مدنية أو سياسية، أمام القانون، وأما م القضاء، فليس هناك شيء يعلو فوق القانون مكانة، وليس لطائفة قوانين ومحاكم خاصة بها.

والإسلام بريء من العصبيات القبلية. والطائفية، والطبقية، والعنصرية ولم تصل أية حضارة إلى هذا المستوى الرفيع، حتى يومنا هذا، مع أن الحضارات الغربية تزعم كثيراً أنها تحاول القضاء على التمييز العنصري والطائفي، والطبقي ولكنها فشلت في القضاء عليها.

حق التنعم والتجمّل

حرص الإسلام على حق الإنسان في التنعم والتجمل



إن رعاية حرمة أسرار الفرد وخصوصياته في تعاليم القرآن الكريم، تبرز سمو الإسلام في حكمه وسياسته، وتفوقه في رعاية الإنسانية، على نظم الحكم المعاصرة

والمتعة في غير حرام لبناء مجتمع سليم. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة:١٧٢] وقال جل شأنه: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم (أي خلقنا لكم ما تلبسونه) لباسا يواري سوآتكم وريشا (أصل الريش ما يستر الطير، وأريد به هنا لباس الزينة)﴾ [الأعراف:٢٦].

وقال: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [الأعراف:٣١-٣٢].

إن الطيبات نعم الله على الإنسان، والله يحب من عباده أن يقبلوا نعمه التي تدعو إليها فطرهم، ويحب أن يرى أثرها عليهم، ويكره لهم الجناية على فطرهم بمنعها حقها.

ولقد كانت تلك التعاليم التي لبى بها الإسلام داعية الفطرة عاملاً قوياً في شيوع الحضارة البشرية في مظاهر هذه الحياة، فقد أرشدته بوجه عام إلى ما يجمّل به الإنسان نفسه، وبخاصة في مناسبات التجمل بالزينة والرياش، ولفتت الأنظار إلى أن تقوى الله انما هي الانتفاع بتلك النعم، وأوحت بذلك إلى إحياء صناعة الطيبات وصناعة اللباس، كما أوحت إلى الجد في تحصيل مواردها مما تنبت الأرض.

وما كان ذكر المسجد في الأمر باتخاذ الزينة إلا مثل للمجتمعات الفاضلة، التي يجب أن يظهر فيها الإنسان بنعم الله عليه. ولعلنا ندرك من هنا سر الإرشادات النبوية التي تدعو إلى التطيب، وحسن الملبس في مجتمعات الصلاة والأعياد، والمناسبات الجامعة.

هذه الأمثلة من المبادىء التي تقرر نواحي من الحقوق الشخصية للإنسان، ليست إلا أسطر قليلة مستوحاة من دستور الإسلام الأكبر، ومن سنة رسول الله ﷺ.

والإسلام فوق هذا يضع أساس الحياة الراضية المطمئنة بين الناس جميعاً على اختلاف عقائدهم وأجناسهم. فهو دين الأخوة والمساواة والتعاون والتناصح في الخير ونشر السلام□

الثقافة والنهضة، الثقافة العربية والتقنية الحديثة، التحدي العلمي والتكنولوجي. العقل العربي هل هو مشدود إلى الخلف، أم جامد في مكانـه، أم عقل قادر على التطلع بأمل إلى مستقبل أفضل، الأصالة والمعاصرة، التراث والتجديـد، هذه كلها وغيرها إشكـالات مطروحة ومشروعة ويجب حسمهـا أو الحوار حولها، ولكن بشرط أساسي ألا تكـون نوعا من العلاقـات المزيفة أو طريقـة لطمس الحقيقة والواقع أو نوعـاً من الدجل السياسي أو تبريراً أو دعاية لأيديولوجية سياسية معينة أو لسلطة معينة أو قفزا على الإشكالات الحقيقية في الواقع العربي أو تعالياً عليه.

الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدي الزائف

بقلم: د.محمد مورو

الثقافة والتغيير

وإذا اعتبرنا أن الثقافـة هي التي تقود عمليـة تغيير المجتمع وتقـدمـه أو في أقل الحـالات، هي في القلب من عمليـة التغيير والنهضـة والتقدم وليست مجرد عمليـة استهـلاك عقلي لـلامتـاع أو التسليـة أو إبراز الذات الشخصيـة أو المجتمعية لكان من الـواجب عمليـا أن نضع التصـور الصحيح للأرضيـة الاجتماعية والأوضاع المجتمعيـة التي تعمل فيهـا هذه الثقـافـة، وبالتـالي فإن أشكالات أخرى تسبق هذه الإشكـالات يجب أولا أن يكـون الحوار حولها، أي يجب ألا يتم تجاهلها أو القفـز عليها، وهذه الإشكالات منها.

الثقافة والاستبداد والحضارة

هل يمكن للثقافة أن تكـون قائدة لعملية التغيير والتقدم في ظل سلطـة مستبدة؟ أي تحسم تحدي العلاقة بين السلطة المستبدة والثقافة قبل حسم قضية التحدي في علاقة الثقافة بالعلم والتكنـولوجيا مثلا، وبكلمة أخرى هل تصبح الثقـافة قادرة على حسم تحدياتها المطروحة بدون أن تصبح ثقافة مواجهـة للاستبـداد، وهل يصح الحديث أصلا عن دور للثقافة في غياب الحرية!

الأمر ذاته يكـون في الحديث عن ثقافة في مجتمع مستمـر، سـواء كـان استعمارا تقليديا أو استعمارا حديثا يعمل من خلال آليات السوق أو المؤسسات المالية الدولية العمـلاقة، وهل يمكن الحديـث عن ثقافـة قائدة وقـادرة على التغيير إذا تجاهلت هذه الثقـافـة قضيـة كشف العـلاقـات الاستعمارية ومواجهتها.

ومن هذه الإشكالات أيضا الحوار حول طبيعة التطـور الحضاري في العـالم، فهل الحضارة في العالم مجرد حضـارة واحدة تسهم فيها الأمم المختلفة باسهامات معينة في أوقات معينة، أم أن هنـاك خصوصيات حضارية لكل أمة، وتـواصلا حضاريا أو انقطاعا حضـاريا يخص كل حضارة على حدة، ويشتق من هـذا السؤال العـديد من الأسئلة.

هل نحن أمة ذات حضارة خاصة؟ وهل انقطع تواصلنا الحضاري؟ أم أننا في حالة هـزيمة حضـارية فقط وينبغي البـدء في عملية إقـلاع حضاري جـديد ومـواجهة تحدي الهزيمـة الحضـاريـة؟. وهل الحضارة الغربية ذاتها حضـارة عالمية، أم أنها حضـارة لا تحمل سمات العالميـة لأنها قائمة على العنصرية والقهر والعنف ونهب الآخـرين، وهل الطريق إلى التقـدم يمـر عبر تأكيـد الهويـة والخصـوصيـة والمواجهة مع الحضـارة الغربيـة أم يمر عبر الاندماج والذوبان في تلك الحضارة؟

مدارسنا الثقافية

وفي الثقافـة العربيـة هناك مـدرستان أساسيتان دون إغفال التحايزات البدهية والطبيعية داخل كل مدرسة على حدة.

المدرسـة الأولى قفـزت على الإشكـاليـات الحقيقيـة الأوليـة وتجاهلـت الـواقع وتعاملـت مع الظواهر في الفـراغ، انطلقت هذه المدرسة من اعتبار الحضـارة الغربية حضـارة عالميـة نحن جزء منهـا، أي إنها تجاهلت البعـد الـلاعـالمي في الحضـارة الغربية، وتجاهلت عنصريتها وممارستها الاستعماريـة القمعية والنهبيـة، وراحت بالتالي تنافس وسـائل الاندماج وأساليبه وطالبت بالقضـاء على كل ما يحول دون هذا الاندماج من خصوصية حضارية أو هوية أو حتى دين..

وهـذه المدرسة أيضـا هي التي هيمنت على أدوات الثقافة العـربية وسيطرت على التوجيـه التربوي والتعليمي والإعـلامي والفني وارتبطت بـالسلطـة السياسيـة بطريقة أو أخرى فتجاهلت عن عمد غياب الحرية باعتبارها شرطا للثقافة..

وأهم رمـوز هذه المدرسـة الطهطاوي، وطـه حسين، ولـويس عـوض، ومحمـد

أركون وغيرهم وكلهم تقريبا كانوا وزراء تعليم أو ثقافة أو قيادات كبيرة في أجهزة السلطة الثقافية والتعليمية والتربوية والإعلامية، لم يكن لهم اسهام يذكر في قضايا مواجهة الاستعمار أو مناقشة قضايا الحرية والتبعية، بل جل اسهامهم يكمن في الدعوة المباشرة إلى الالتحاق بقطار الحضارة الغربية وقطع الصلة بهويتنا الثقافية بل ودينا مثل عبدالله العروي، أو حتى الترويج المباشر والدفاع المباشر عن السلطة الاستعمارية مثل لطفي السيد وقاسم أمين، أو الطعن في عقائد الأمة وتشويه تراثها مثل حسين أمين وسعيد عشماوي ومحمد أركون ولويس عوض..

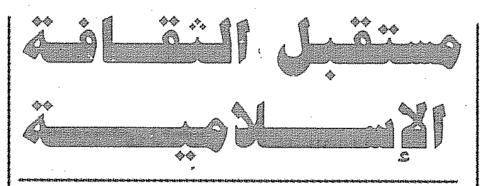
أو الارتباط المباشر بالسلطة وتبرير تصرفاتها الاستبدادية وخلع صفات الثورية والتقدمية عليها وإلباسها ثوبا أيديولوجيا على الرغم من كونها سلطات عسكرية في الأساس مثل محمود أمين العالم ولطفي الخولي ورفعت السعيد. أو حتى ترويجا للكيان الصهيوني ودعوة للاندماج معه في إطار مشروع إنسان شرق أوسطي يضم العربي والإسرائيلي على قدم المساواة مثل فرج فودة، وهكذا وعلى الرغم من السيطرة شبه التامة على أدوات الثقافة من أجهزة وصحف وإذاعة وتلفاز وسينما ومسرح بل ومؤتمرات علمية ظلت ثقافة هؤلاء مجرد بذور استنبت في الهواء فلم تخضر ولم تثمر وظلت غريبة عن الواقع شكلا ومضمونا.

والمدرسة الثانية في الثقافة العربية كانت تلك المدرسة التي طرحت الإشكاليات الحقيقية الأولية ولم تتجاهل الإشكاليات الأخرى فنجد أن جمال الدين الأفغاني وعبد الله النديم ومالك بن نبي ومنير شفيق، قد طرحوا قضايا الحرية، الاستعمار، التبعية، الخصوصية الثقافية والحضارية لأمتنا ولم يتجاهلوا قضايا التقدم العلمي والتقني والنهضة والعلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل..

ونشأت هذه المدرسة بعيدا تماما عن السلطات المستبدة، بل من خلال المواجهة معها وكذا مواجهة الاستعمار وحشد الجماهير للنضال ضده وتثوير الواقع ورفض كل ما هو سلبي في العادات والتقاليد والتأكيد على عوامل الإيجابية في الشخصية العربية، وبرغم أن رموز هذه المدرسة قد تعرضوا للاضطهاد دائما من قبل السلطات الاستعمارية والسلطات المستبدة، إلا أن ثقافتهم التي حاولوا تثبيتها في ضمير الأمة ووجدان الشعوب مازالت تترعرع وتخضر وتثمر..

وبالطبع فإن هذه المدرسة الثقافية لم تقتصر على هؤلاء الذين كان لهم أسهام ثقافي مباشر مثل الأفغاني والنديم ومالك بن نبي ومنير شفيق، وغيرهم، بل يمكن أن نضيف إليهم مصطفى كامل ومحمد فريد وعزالدين القسام وعمر المختار وعبدالقادر الجزائري وغيرهم، لأن ثقافة المواجهة اقتضت أن يكون المجاهدون ذوي إسهام ثقافي، فنجد أن الزعماء من أمثال هؤلاء كان لهم إسهامهم ورأيهم ونضالهم على المستوى التربوي والتعليمي والثقافي..

بل نجدهم هم أنفسهم قد مارسوا التعليم والتربية من خلال محو الأمية أو تحفيظ القرآن (عمر المختار) أو إنشاء الجامعات والمدارس (مصطفى كامل ومحمد فريد(أو دروس العلم (عزالدين القسام)... وهكذا، بل ونجد أن أصحاب المشروعات الثقافية منهم كالأفغاني والنديم كانوا زعماء المواجهة الشعبية ضد الاستعمار والاستبداد، أو مقاتلين في صفوف الجماهير ضد الكيان الصهيوني مثل منير شفيق□



بقلم أ. د: حاتم محمد أبوالعباس

الثقافة بناء تتشامخ من خلاله مسيرة الأمم، فتحس بولائها لهذا البناء المرتفع، وبقيمة الثقافة في تحديد هوية الأمة وماهيتها المعبرة عن وجود تراثها وحضارتها..

ولكن أين تقع الثقافة كحركة فكرية حضارية في فكر الأمة الإسلامية؟ الثقافة في الإسلام عالمية في حوارها مع الثقافات للأخرى، فهي تحافظ على هويتها الإسلامية ولا تتنصل أبدا من الإسلام المؤسس لمفهوم الثقافة التي تعاني وجود عدة محاور داخل هذا الإطار المختص بعالمية الثقافة الإسلامية، ومنها المحور الأول حضارة الثقافة الإسلامية أكثر تعبيرا عن جوهر الثقافة الإسلامية التي تحترم عقليات الآخرين من أصحاب الثقافات الأخرى..

المحور الثاني حضارة الثقافات الأخرى والتي تعد مادة خصبة لاثراء الحركة الفكرية الحضارية لدى الثقافة الإسلامية لأنها تطرح باب الاجتهادات بمنافذه الواسعة والتي تعد أداة قادرة على طرح الثقافة الإسلامية في شكل متطور مرن ومواكب للتقدم البشري ومشكلات هذا التقدم في معايشة هذه الثقافة المتمثلة في كثير من الأحيان في الموروثات الإسلامية والقواعد الأصولية للإسلام..

المحور الثالث الامتزاج بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ووسائل هذا الامتزاج وكيفية طرح ثقافتنا في شكل مؤثر وفعال في تحريك وجهة الثقافات الأخرى وتحديد ماهيتها وكل ذلك يعني قدرة على زيادة التأثير والتأثر بما لا يخالف قواعد الإسلام الأصولية والتي تمثل صلب التوجه للثقافة الإسلامية في تداخلها وتفاعلها مع الثقافات الأخرى..

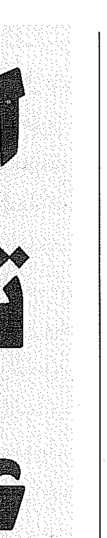
المحور الرابع القدرة على طرح البدائل داخل الثقافة الإسلامية لمشكلات وعقبات الثقافات الأخرى للوصول بها إلى درجة العالمية الحضارية الريادية وكذلك إظهار عالمية الثقافة الإسلامية في الوصول بالثقافات الأخرى إلى درجة العالمية داخل إطارات التداخل، الامتزاج، والتفاعل□

يعد كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة* من أهم المراجع التاريخية التي تناولت تعليم الطب في إطار ايستمولوجي ثقافي رائع أوضح أن العرب كانوا على درجة من التقدم.

وقد تحدث ابن أبي أصيبيعة عن تعليم الطب في مصر دون أن يهتم بتحديد تواريخ دقيقة للظواهر العلمية – التعليمية التي تناولها.

■ التهيئة النفسية (التشويق) مسألة ضرورية في ابتداء التعليم

■ انتبه ابن أبي أصيبعة إلى مبدأ هام من مبادىء التعليم وهو الانتقال من البسيط إلى المعقد

التأريخ لمراحل تعليم الطب عند العرب

ولكن من الممكن الاستناد إلى بعض اشاراته الجانبية والقول بأنه أرّخ لتعليم الطب في الاسكندرية قبيل وأثناء الفتح الإسلامي لمصر سنة ٢٠ هـ فهو ينقل عن المختار بن الحسن بن بطلان (من أهل بغداد) قوله:

(إن الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها، كانوا سبعة، وهم: اصطفن، وجاسيوس، وثاودوسيوس، وأكيلاوس، وانقيلاوس، وفلاذيوس، ويحي النحوي، وكانوا على مذهب المسيح) [ص١٥١].

ثم يقول: (وعمّر من هؤلاء الاسكندرانيين يحي النحوي الاسكندراني حتى لحق أوائل الإسلام.. وكان في أول أمره أسقفا في بعض الكنائس بمصر، ولما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه دخل إليه وأكرمه ورأى له موضعا) [ص١٥١و١٥٢].

ويذكر أن الاسكندرانيين كانوا يعلّمون الطب من خلال تدريس كتب جالينوس الستة عشر في سبع مراحل أو مراتب:

المدخل إلى صناعة الطب

المرحلة الأولى: جلعوها بمنزلة

بقلم: أ.د. مصطفى رجب

المدخل إلى صناعة الطب ويدرس فيها الطالب أربعة كتب:

أ – كتاب (الفرق) ويتناول المبادىء العامة للعلاج حسب التجربة أو القياس.

ب – كتاب (الصناعة الصغيرة) ويتناول المبادىء العامة للطب النظري والعملي.

ج – كتاب (النبض الصغير) ويتناول المبادىء العامة لاستخدام النص كوسيلة للتشخيص.

د – كتاب (أغلوقن) – تسمية إغريقية – يتناول التأني في شفاء الأمراض.

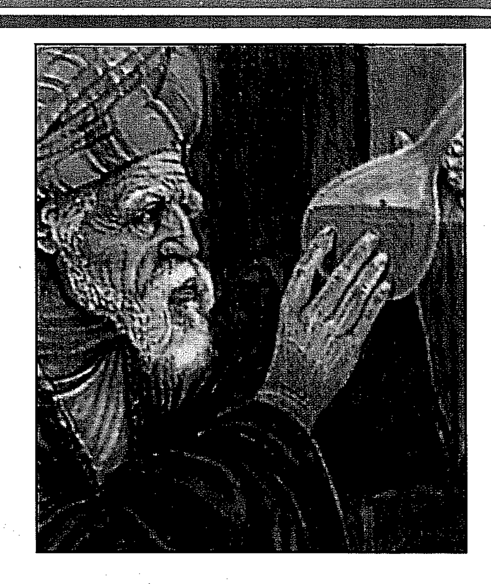
المرحلة الثانية: تدرس فيها أربعة كتب أيضا، هي:

أ – كتاب (الإسقاطات) ويصفه ابن أبي أصيبعة بأنه أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال صناعة الطب، ويتناول هذا الكتاب الجسم الإنساني وما يطرأ عليه من تغييرات.

وعلى حد تعبير ابن أبي أصيبعة فإن هذا الكتاب: (يستفاد منه أن بدن الإنسان وجميع ما يحتاج إليه سريع التغير، قابل للاستحالة، فمن ذلك اسطقات البدن القريبة منه وهي الأعضاء المتشابهة الأجزاء – أعني العظام والأعصاب والشرايين والعروق.

ب – كتاب (المزاج) ويستفاد منه معرفة أصناف المزاج وبم يتقوم كل واحد منها، ولعله يقصد بهذا ما يشيع في الكتب القديمة من أن لكل إنسان مزاجا خاصا به، يدل على طبيعته التي قسموها إلى أربعة أنواع: نارية، وترابية، وهوائية، ومائية.

ج – كتاب (القوى الطبيعية)



يرى ابن أبي أصيبعة أن على طالب العلم أن يبذل جهدا فيما لا يحتاج إلى معلم وهو ما نسميه - في عصرنا - بـ (التعلم الذاتي)

ويتناول القوى التي تؤثر في البدن وأسباب تأثيرها وأعراضها.

د - كتاب (التشريح الصغير) ويتناول التعريف بأعضاء البدن وخواصها ويشير ابن أبي أصيبعة إلى أن هذه المرحلة من المراحل المبكرة لتعليم الطب، تهدف إلى تشويق طالب الطب التعمق في دراسة بقية مؤلفات جالينوس، فيقول:

(وهذه الكتب التي في هذه المرتبة الثانية يستفاد من جميعها في الأمور الطبيعية للبدن، أعني التي قوامه بها، وإذا نظر فيها محب التعليم اشتاق أيضا إلى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن.

المرحلة الثالثة: يدرس فيها الطلاب ما يسمى في كليات الطب المعاصرة باسم (البثالوجيا) أو علم معرفة الأمراض وأعراضها وهي مرحلة متوسطة في دراسة الطب.

يقول ابن أبي أصيبعة عن هذه المرحلة:

(وأما المرتبة الثالثة: فكتاب واحد فقط فيه ست مقالات، وهو كتاب (العلل والأعراض) وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة، وإنما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها في كتاب واحد، يستفاد منه بمعرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض.

المرحلة الرابعة: وتغطي الدراسة فيها الأمراض الباطنية على مستويين:

أولهما: تدّرس فيه أعراض الأمراض الباطنة من خلال المظاهر البدنية الخارجية أي أن التشخيص هنا يقوم على الملاحظة.

والمستوى الثاني: تدّرس فيه الأمراض الباطنية بدلالة النبض.

يقول ابن أبي أصيبعة:

(وأما المرتبة الرابعة فلها كتابان، أحدهما: كتاب (تعرف علل الأعضاء الباطنة) فهو مؤلف من ست مقالات، يستفاد منه تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة، فإن هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس، فيحتاج إلى أن يستدل عليها بعلامات تقوم كل واحدة منها، فإذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن العضو الفلاني علته كذا.

والثاني: (كتاب النبض الكبير) وهو ينقسم إلى أربعة أجزاء، كل جزء منه أربع مقالات، يستفاد من الجزء الأول منه: معرفة أصناف النبض، وجزئيات كل صنف منها. ومن الثاني تعريف إدارك كل واحد من أصناف النبض، ومن الثالث: تعريف أسباب النبض، ومن الرابع: تعريف منافع أصناف النبض. وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها إلى قوة البدن.

المرحلة الخامسة: وهي مخصصة لدراسة الأمراض المعدية كالحميات وما شابهها، ويدرس فيه الطالب ثلاثة كتب تستوفي أصناف هذه الأمراض وأعراض كل منها ومضاعفاته وطرق علاجه.

يقول ابن أبي أصيبعة:

(وأما المرتبة الخامسة فثلاثة كتب:

الأول منها: (كتاب الحميات) مقالتان . يستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحميات، ومايستدل به على كل صنف منها.

والثاني: (كتاب البحران) مؤلفين ثلاث مقالات، يستفاد منه معرفة أوقات المرضى ليعطي في كل وقت منها ما يوافق فيه، ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كل واحد من الأمراض، هل يؤول أمره إلى السلامة أم لا؟ وكيف يكون؟ وبماذا يكون؟

والثالث: (كتاب أيام البحران) وهو أيضا مؤلف من ثلاث مقالات، يستفاد منه معرفة أوقات البحران، ومعرفة الأيام التي يكون فيها، وأسباب ذلك وعلاماته.

المرحلة السادسة: وبها تبدأ الدراسة التطبيقية بعد أن يكون الطالب قد أحاط علما بالتشريح والأمراض. وفي هذه المرحلة تبدأ دراسة طرق العلاج وتشبه ما يسمى بعلم دراسة الأدوية في لغتنا المعاصرة.

يقول ابن أبي أصيبعة:

(وأما المرتبة السادسة فلها كتاب واحد، وهو (كتاب حيلة البرء) وهو مؤلف من أربع عشرة مقالة يستفاد منه لقوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحد من الأمراض. وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأدوية المفردة، وفي كتب جالينوس في الأدوية المركبة - أعني قاطاجانس، والميامر، وكتاب المعجونات، ونحو هذه الكتب.

المرحلة السابعة: وعلى الرغم من أن هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة في دراسة الطب، فإن الاهتمام فيها ينصب على الوقاية كما هو واضح من كلامه، إذ يقول عنها:

وأما المرتبة السابعة فكتاب واحد، هو كتاب (تدبير الأصحاء) ومؤلف من ست مقالات، ويستفاد منه في حفظ

التأريخ لمراحل تعليم الطب عند العرب

صحة كل واحد من الأبدان، وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأغذية، وفي كتابه في جودة الكيموس ورداءته، وفي كتابه في التدبير الملطف، وفي شرائط الرياضة. مثال ذلك: ما في كتاب جالينوس في الرياضة بالكرة الصغيرة ونحو هذا.

رأي ابن أبي أصيبعة في هذا التقسيم:

إن التدريس في المراحل السابقة لم يكن يتم على شكل (سلم تعليمي) أو دراسة نظامية خاضعة لوقت زمني محدد، بل كان يتم كما هو معروف باسم (المدارس عديمة الصفوف) بمعنى أن الطالب ينتقل من مرحلة إلى المرحلة التالية فور انتهائه من متطلبات المرحلة الأولى ووفقا لقدراته.

وقد علق ابن أبي أصيبعة على هذا التقسيم بقوله:

(فالكتب الستة عشر التي اقتصر الاسكندرانيون على تعليمها تدعو الناظر فيها إلى النظر في جميع كتب جالينوس التي استكمل بها صناعة الطب.

وبعد أن أورد ابن أبي أصيبعة الرأيين السابقين لأبي الفرج بن هندو(1) وأبي الخير بن الخمار(2) انتقد آراءهما فقال:

(فأما الكتب التي ذكرها الأستاذ أبو الخير بن الخمار فالطبيب مضطر إلى معرفتها واضافتها إلى الكتب التي عددناها، غير أنه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها، واستنباط الأغراض منها بالقوة المستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها، والمراقي إلى ما عداها، فإن قلت: فما حجة الاسكندرانيين في ترتيبهم لهذه الكتب؟ قلنا: إنهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه، بمنزلة كتاب الفرق، فإنه وجب تقديمه لتنتقي به نفس المتعلم من شكوك أصحاب التجربة والمحتالين ومخالطتهم، ويتحقق رأي أصحاب القياس فيقتدي بهم، وبمنزلة الصناعة الصغيرة، فإنها لما كانت فيها شرارة من صناعة الطب، كان الأولى أن يتبع بها كتاب الفرق ويجعل مدخلا إلى الطب، ورتبوا بعضها بحسب ما توجب إضافته إلى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض، فإنه جعل تابعا للصناعة الصغيرة، لأن جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب، ووجب أيضا تقديمه على كتاب جالينوس إلى أغلوقن، لأنه تكلم في هذا الكتاب في الحميات والنبض وهو أول شيء يعرف منه أمر الحميات.

على أن الترتيب الذي ذكره الأستاذ (أبو الخير) أن جالينوس أشار إليه، هو لعمري الترتيب الصناعي، وذلك أنه يجب على كل ذي صناعة أن يتدرج في تعليمها من الأظهر إلى الأخفى، ومن الأخير إلى المبدأ، والتشريح هو علم البدن وأعضائه، وهذه هي أول ما يظهر لنا من الإنسان، وأن آخر ماتفعله الطبيعة، فإن الطبيعة تأخذ أولا (الاسطقسات)، ثم تمزجها فيحصل منها الاخلاط، ثم تفعل القوى والأعضاء. فيجب أن يكون طريقنا في التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين، ولكنا ندع هذا الاضطرار، ونرضى بترتيب الاسكندرانيين، لأن العلم حاصل على كل حال وخرق إجماع الحكماء معدود من الخرق(3).

أي أن ابن أبي أصيبعة يؤيد التقسيم السكندري لمراحل الدراسة ويستنتج من كلامه الآتي:

1 - أنه يرى أن على الطالب أن يبذل جهدا فيما لا يحتاج إلى معلم وهو ما نسميه - في عصرنا - بـ(التعلم الذاتي) كما وضح من رده على أبي الخير بن الخمار.

2 - أن التهيئة النفسية (التشويق) مسألة ضرورية في ابتداء التعليم.

3 - ان ابن أبي أصيبعة انتبه إلى مبدأ هام من مبادىء التعليم وهو الانتقال من البسيط إلى المعقّد□

الهوامش:

*) يعد هذا الكتاب من أهم مصادر الدراسة التاريخية لعلوم الطب عند العرب وقد حققه د.نزار رضا ونشرته دار مكتبة الحياة ببيروت. د.ت. وقد توفي ابن أبي أصيبعة عام ٦٦٧هـ بعد أن تولى مناصب طبية عالية.

1) هو علي بن الحسين بن هندو من أكبر المتميزين في العلوم الحكمية والطبية، والفنون الأدبية، وهو من طبقة الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم.

2) وهو الحسن بن سوار المعروف بأبي الخمار، وكان نصرانيا عالما بأصول الطب وفروعه، وله مصنفات جليلة. وقد نقل كتبا كثيرة من السريانية إلى العربية. ولد سنة ٣٣١هـ.

3) الخَرَق (بفتح الخاء والراء): الحمق.

سار الصحابة رضوان الله عليهم في زهدهم على نهج نبيهم ﷺ فتركوا الدنيا خلف ظهورهم، وطلقوها ثلاثا

الزاهد التقي الفضيل بن عياض

يقول الله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ [الكهف: ٤٥]. والمثل واضح في أن الدنيا تتبخر بين أيدي عبادها، كما يتبخر الماء من الهشيم، فاذا هم يقبضون أيديهم على وهم. ماذا كسب مختزن المال عن وجوه الخير؟ وماذا ربحوا من نسيان رازقه، ورفض وصاياه فيه؟ ماذا ينال عباد الأثره والجاه والاستعلاء عندما يخرجون من الحياة الدنيا، مخلفين بعدهم أملاكا، ذهب اسمهم عنها وصار كحركة الريح في صفحة الماء لا استقرار لها ولا بقاء؟

بقلم: إبـراهيم مصطفى فتح البـاب

لـذلك يقـول جـل شـأنـه: ﴿اعلمـوا أنما الحيـاة الـدنيا لعـب ولهو وزينة وتفـاخـر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكـون حطـامـا وفي الآخرة عـذاب شـديـد ومغفرة من الله ورضوان ومـا الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [الحديد/ ٢٠].

ويقول الرازي: المقصود الأصلي من الآية تحقير حـال الدنيـا، وتعظيم حال الآخـرة، فقـال: الـدنيا لعـب ولهو وزينة وتفـاخـر، ولاشك أن هذه الأشيـاء أمورٌ محقّـرة، وأما الآخرة فهي عـذاب شديـد دائم أو رضوان اللـه على سبيل الـدوام(١). ومن ثم يقـول سبحانـه وتعالى: ﴿إنما مثـل الحياة الـدنيا كماء أنـزلناه من السماء فـاختلط به نبـات الأرض ممـا يأكل الناس والأنعـام حتىٰ إذا أخذت الأرض زخـرفها وازينت وظـن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنـاهـا حصيـدا كأن لم تغن بـالأمس كـذلـك نفصل الآيـات لقـوم يتفكـرون﴾ [يونس/ ٢٤].

وقـال تبـاركت أسماؤه: ﴿ومـا الحيـاة الــدنيــا إلا متــاع الغــرور﴾ [آل عمران/ ١٨٥]. وعلى ضوء سرد هذه الآيات وغيرها الكثير نقول إن الدنيا ليست بالأمر الكـريـه ولا الذميم في المنظـور الإسـلامي الحنيف، وذلـك حين يملكهـا النــاس ويزهدون فيها رغبة فيما عند الله تعالى

معنى الزهد

وقبل أن نتناول معنى الـزهد في الشرع، نجول في كتب اللغة لنعـرف ما معنى كلمة الزهـد، يقول ابن منظور في لسـان العرب: الـزهد ضـد الرغبـة والحرص على الدنيـا، يقـال زَهِـدَ، وزَهَـدَ يَـزْهَـدُ زهـدا وزهـدا وزهـادة، والتـزهيـد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، ويقـول أيضاًوالزهيد: الحقير، وعطـاء زهيـد أي قليل، والمزهـد: القليل الشيء، وإنما سمي مـزهدا، لأن مـا عنده من قلته يزهد فيه.

سيد الزاهدين ﷺ

هـذا من ناحيـة اللغـة، أمـا من ناحيـة الشرع فيعرفه شيخ الزهـاد الغزالي بقوله: والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منـه، وشرط المرغوب منه أن يكون مرغـوباً فيه بوجـه من الوجود، فمن رغب عن شيء ليس مرغوب فيه ولا مطلوباً في نفسه، لم يسم زاهداً، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً. وقد جرت العادة بتخصيص إسم الزاهـد بمن ترك الدنيـا، ومن زهد في كل شيء سـوى الله تعـالى. فهـو الزاهـد الكـامل ومن زهـد في الـدنيـا مع رغبته في الجنة ونعيمها فهو أيضاً زاهد، ولكنه دون الأول(٢).

عن عمـــر بن الخطاب رضي اللـه

الزاهد التقي الفضيل بن عياض

عنه قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مَشْرَبة (أي غرفة) وإنه لمضطجع على خَصَفَة(٣) وإن بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشودة ليفاً(٤)، وإن فوق رأسه لإهاباً عطناً، وفي ناحية المشربة قرَظ، فسلمت عليه فجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير؟! فقال: «أولئك عجّلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنا قوم أخّرت لنا طيباتنا في آخرتنا» [رواه ابن حبان في صحيحه](٧).

وعن ابن عباس رضي الله أنهما أن رسول الله ﷺ، دخل عليه عمر بن الخطاب ، وهو على حصير قد أثّر في جنبه، فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثَر(٨) من هذا، فقال: «مالي وللدنيا؟ ما مَثلي ومثَل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها» [أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجة والطبراني وابن حبان في صحيحه](٩).

ويبلغ الزهد منتهاه في حياة سيد الزاهدين عليه الصلاة والسلام فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكانت تحدث عروة بن الزبير: فقالت: كان يمر بنا هلال، وهلال، وهلال، ثلاث أهلة، ما يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة، فعلى أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين الماء والتمر.

ويوصي النبي الكريم ﷺ عبدَ الله بن عمر بأن يزهد في الدنيا فيكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك. [رواه البخاري وأخرجه الترمذي] وزاد فيه: «وعدّ نفسك من أهل القبور»، وزاد في كلام ابن عمر: فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً.

يقول ابن رجب الحنبلي: وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يعني جهازه للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم(١٠).

وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم في زهدهم على نهج نبيهم ﷺ فتركوا الدنيا خلف ظهورهم، وطلقوها ثلاثاً، رغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى من النعيم المقيم في جنات النعيم، ولقد سار الكثير من التابعين وتابعي التابعين على نفس المنوال، من الزهد في الدنيا، وقد اقتفى الفضيل بن عياض سبيل هؤلاء في زهدهم في الحياة الدنيا، فمن هو الفضيل بن عياض.

الفضيل بن عياض

هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخرساني أبو علي (المجاور بحرم الله) وقد اختلف العلماء في أصل الفضيل بن عياض، فبينما يذهب السلمي إلى أنه تميمي، يربوعي، خرساني من ناحية مرو(١١) (ويؤيده الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي)(١٢) وأنه أحد بني يربوع، لكن أبا علي ولد بخرسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة، وهو كبير فسمع بها الحديث، ثم تعبّد، وانتقل إلى مكة فمات بها. يذهب القشيري إلى أنه (خرساني من ناحية مرو)(١٣).

ويرى عبد الله بن محمد بن الحارث أن الفضيل بن عياض (بخاري الأصل) ويحسم الأمر ابنه عبيده بن الفضيل بن عياض فيقول: (أبي، فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، يكنى بأبي علي، من بني تميم، من بني يربوع من أنفسهم. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، والأصل من الكوفة)، وكذلك يذهب الى هذا خادمة إبراهيم بن الأشعث(١٤) أود أن أصل من هذا إلى أن الرجل كان عربياً، ولكنه عاش باكورة حياته في خراسان.

توبة الفضيل

يقول القشيري: كان الفضيل شاطراً، يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما يرتقي الجدران إليها، سمع تالياً يتلو: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [الحديد/١٦] فقال يا رب: قد آن. فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة – أي جماعة – فقال بعضهم: نرتحل. وقال قوم: (حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا)، فتاب الفضيل، وأمنهم، وجاور الحرم حتى مات(١٥).

هذه القصة ذكرها كثيرون من مؤرخي الصوفية عن سبب تزهد الفضيل بن عياض، وقد كتبها الحريفيش بعد ذلك في صورة أكثر من هذا على لسان الفضيل نفسه وأطلق على لسانه أيضاً أشعاراً يلوم نفس على تأخرها(١٦) وهذه قصة أسطورية لا أساس لها من الصحة، ذكر ذلك الدكتور علي سامي النشار في كتابه الرائع (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام).

ولقد تنبه الدكتور كامل الشيبي في براعة نادرة إلى أسطورة قصة توبته فيرى أنها هي التي تفضح أصله، وهي أسطورة من جنس القصص التي تروى عن توبة الخراسانيين التي بعدها يبدأ زهدهم.

ولكن الصحيح – وهو ما تميل إليه النفس – أن الفضيل بن عياض نشأ في بيت علم وتقوى فحفظ القرآن الكريم وتعلم الحديث، ثم قام على عادة المحدثين بالرحلة أو كان لابد أن يرحل إلى الكوفة موطن أجداده. فذهب إليها (وهو كبير) وسمع الحديث بها. وبهذا حقق تقاليد خرسان: الحديث الرحلة وانتهى الأمر الى التعبد والتزهد، ولقد فعل هذا الكثير من قبل من زهاد الإسلام. وانتقل إلى الحرم وجاور هناك ولم يكن أهل الكوفة يفعلون هذا(١٧). أما قصة توبته، فهي أسطورة لا سند لها من صحيح القول، وهكذا مؤرخو التصوف في الإسلام، يصنعون دراما معينة للزاهد وللمتصوف المشهور، يفتعلون فيها انحرافاً عن مجرى الحياة العادية للبشر، لكي يعلو من قدره، ويرفعوه عن مستوى الناس العاديين.

الدنيا عند الفضيل

لقد طلق الفضيل الدنيا، وجعلها خلف

ظهره، وأقبل على العبادة، وقد حزن أشد الحزن لما أبصر العلماء يتـــزاحمون على أبواب الملوك، فرآهم يوماً وقد وقفوا على باب هارون الرشيد وأخضعوا لـه هاماتهم فقال لهم (مالكم وللملوك) ما أعظم منتهم عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة. فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون. تبيعونهم بالدنيا، ثم تزاحمونهم على الدنيا، ما ينبغي لعالم أن يفعل هذا(١٨) وقال الفضيل بن عياض: المؤمن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه، ومن كان في الدنيا كذلك، فلا همّ له إلا التزود بما ينفعه عند العودة إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم، ولا يجزع من الذلّ عندهم، كما قيل:

كم منـزل للمرء يألفه الفتى
وحنينه أبداً لأول منـزل

وقال ابن القيس:

فحيّ على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي
لها أضحت الأعداء فينا تحكم

قال الفضيل لرجل: كم أتت عليك؟ قال ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل.. إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال الفضيل: أتعرف تفسيره، تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمن عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعدّ للسؤال جوابا. فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. قال: ماهي؟ قال: تحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، فانك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

وإن إمرأ قد سار ستين حجة
إلى منهل من ورده لقريب

وقال غيره:

وما هذه الأيام إلا مراحل
بحث بها داع إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها
منازل تطوى والمسافر قاعد

وقال غيره:

ويا ويح نفس من نهار يقودها
إلى عسكر الموتى وليل يزورها

ويقول الفضيل عن الدنيا، لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالاً، لا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة، إذا مر بها أن تصيب ثوبه، بل تمنى الفضيل بن عياض رضي الله عنه أن لم يكن قد خُلق فيقول: (والله لأن أكون هذا التراب أو هذا الحائط، أحب إلي من أن أكون في مسلخ أفضل أهل الأرض اليوم، وما يسرني أن أعرف حق معرفته إذاً لطاش عقلي).

ولاشك أن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم ما منّ الله بها على عباده وما هو ضرورة في بقاء الادمى وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه، وإنما المذموم من هذه الدنيا، أخذ الشيء من غير حِله، أو تناوله على وجه المسرف على مقدار الحاجة، ويُصرف النفس فيه بمقتضى دعوتها لا بإذن الشرع، فالعاقل يجعلها مطيّة للآخرة، فينفقها في سبيل الله، بل ينبغي للعاقل أن يغتنم أوقاته في الدنيا، إما بسبب يُثمر راحةً في الدنيا، أو يُثمر نعيماً وحمداً في الآخرة، وهذا ما يتمناه كل مسلم، والموفق من وفقه الله تعالى.

أيا ابن آدم لا تغررك عافية
عليك شاملة فالعمر معدودُ
ما أنت إلا كزرع عند خضرته
بكل شيء من الآفات مقصود
فإن سلمت من الآفات أجمعها
فأنت عند كمال الأمر محصود

وقال الشاعر:

تزوّد من الدنيا بساعتك التي
ظفرت بها ما لم تعقك العوائقُ

جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا

فلا يومك الماضي عليك بعائدٍ
ولا يومُكَ الآتي به أنت واثِقُ

زهد الفضيل بن عياض

حدد الفضيل بن عياض الزهد في الدنيا بأنه هو (القناعة) فيقول: (لا يسلم قلبك حتى لا تبالي من كل الدنيا) أي لا يسلم قلبك من كل ما في الدنيا، فلا يأبه بك أحد: فالزهد إذن هو القناعة (وهو الغنى الحق) ولا يصل الإنسان إلى الإيمان حتى يزهد في الدنيا. أي حتى يقنع بما في يده ويحمد الله تعالى عليه يقول الشاعر:

هي القناعة فالزمها تكن مَلِكاً
لو لم يكن لك إلا راحة البَدَنِ

ويقول غيره:

أكرم يديك عن السؤال فإنّما
قدرُ الحياة أقلّ من أن تسألا
ولقد أضُمّ إليّ فضل قناعتي
وأبيتُ مُشتملاً بها متزمّلا
وأرى الغدُوّ على على الخصاصة شارة
تصف الفتى فتخالني متحوّلا
وإذا الفتى أفنى الليالي حسرة
وأمانيا أفنيتهنّ توكلا

وقال الامام الشافعي:

إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالك الدنيا سواء

ومما يدل على زهد الفضيل بن عياض، بُعده عن الولاة والسلاطين، وزهده فيما عندهم، عن الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك: فقال: ويحك قد حاك في نفس شيء فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا الفضيل بن عياض. قال: امضي بنا إليه: فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها فقال: اقرع الباب. فقرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ فأجاب رضي الله عنه: (ليس للمؤمن أن يذل نفسه). فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ المصباح، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفّ هارون قبلي. فقال: يا لها من كف ما ألينها – إن نجت غداً من

الزاهد التقي الفضيل بن عياض

عذاب الله عز وجل، فقلت في نفسي (أي الفضل بن الربيع): ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله (أي مالاً) فقال: ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ. فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال سالم بن عبد الله لعمر: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله صم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت. وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخا وأصغرهم عندك ولداً، فوقّر أباك، وأكرم أخاك. وتحنن على ولدك. فقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحِبّ للمسلمين ما تُحب لنفسك، واكره لهم تكرَهُ لنفسك ثم مُت إذا شئت.

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تَزلّ فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشى عليه، فقلت له (أي الفضل بن الربيع): أرفق بأمير المؤمنين. فقال: يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفُق به أنا، ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه فكتب إليه عمر: يا أخي أذكّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإيا أن يُنصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل.

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له: زدني رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى عليه الصلاة والسلام جاء إلى ﷺ فقال: يا رسول الله أمّرني على إمارة فقال له النبي ﷺ: «إن الإمارة حسرة

بقدر ما يُصغّرُ الذنب عندك، ويعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله

وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل». فبكى هارون بكاء شديداً وقال له: زدني رحمك الله فقال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غشٌ لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرحْ رائحة الجنة».

فبكى هارون وقال له: عليك دَيْن؟ قال الفضيل بن عياض: نعم دَيْن لربي يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلْهَم حجتي قال: إنما أعني دَيْن العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمر ربي أن أوحّده وأطيع أمره، فقال عز وجل: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨]. فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادتك. فقال: سبحان الله أنا أدُلّك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب.

قال هارون: أبا عباس إذا دللتني على رجل فدُلّني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه إمرأة من نسائه فقالت: يا فضيل قد ترى ما نحن من ضيق الحال فلو قبلت هذا فتفرجنا به. فقال لها: مَثَلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كَبُر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل بقدوم هارون مرة أخرى خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله، فانصرف.. انظر أخي القارىء الكريم. قد بلغ الزهد بالفضيل بن عياض هذا المبلغ، قال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ [النساء: ٧٧]. وصدق الشاعر حيث يقول:

إعلم بأن طريق الحق مُنفردٌ
والسالكون طريق الحق أفرادُ
لا يطلبون ولا تُطلَبْ مساعيهم
فهم على مَهل يمشون قُصّادُ
والناس في غفلة عمّا له قَصَدوا
فجُلُهم عن طريق الحق رُقّاد

وكان الفضيل يعلم أن من طلب الدنيا أضرّ بالآخرة، ومن طلب الآخرة أضرّ بالدنيا، فآثر الآخرة وأضرّ بحياته في دار الدنيا الفانية، وكان رحمه الله يعلم أن رزقه سيأتيه مادام قد كتب له:

للناس حرص على الدنيا وتدبيرُ
وفي مراد الهوى عقلٌ وتشميرُ
وإن أتوا طاعة لله ربّهم
فالعقل منهم عن الطاعات مأسورُ
لأجل هذا وذاك الحرص قد مُزِجَتْ
صفاءُ عيشاتها هَمٌّ وتكديرُ
لم يرزقوها بعقل عندما قُسِمت
لكنهم رزقوها بالمقادير
لو كان عن قوة أو عن مغالبةٍ
طار البزات بأقوات العصافير

وقال رحمه الله: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا(١٩).

علمه بالحديث

كان الفضيل بن عياض من المحدّثين الثقات، يقول الإمام الناقد شمس الدين الذهبي، شيخ الحرم، وأحد الأثبات مجمع على ثقته وجلاله. بل لم يكتفي الإمام الذهبي بذلك، فقد هاجم من جرّح الفضيل بن عياض وهو قطبة بن العلاء ولا عبرة بما

رواه أحمد بن أبي خيثمة قال: سمعت قطبة بن العلاء يقول: تركت حديث فضيل بن عياض، لأنه روى أحاديث أزرى فيها على عثمان بن عفان رضي الله عنه. يقول الذهبي ناقداً، فمن قطبة؟ وما قطبة حتى يجرّح وهو هالك...

روى الفضيل رحمه الله ما سمع، فكان ماذا؟ فالفضيل من مشايخ الإسلام، والسلام(٢٠). كان الفضيل ابن عياض إذن (شيخ الحرم) والإمام العدل الثقة الثبت، كيف لا وقد روى عن أئمة أعلام عقم الزمان أن يعود بمثلهم، فقد روى الفضيل عن سليمان بن مهران الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن، ومسلم الأعور، وأبان بن أبي عياش وغيرهم كثير.

ولكنه مع علمه بالحديث وحفظه له كان (رحمه الله) شديد الهيبة للحديث إذا حدّث، وكان يثقل عليه الحديث جداً، وكان إذا طلب منه الحديث يقول: لو طلبت مني الدنانير كان أيسر عليّ. فقال له رجل: لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي، كان أحبّ إليّ من أن تهب لي عددها دنانير. فقال: إنك مفتون، أما والله لو عملت عمله بما سمعت، لكان لك في ذلك شغل عما لم تسمع. وكان يقول لأصحاب الحديث وهو المحدّث الثقة (لم تكرهوني على أمر تعلمون أنّي كاره له، لو أني أعلم إذا دفعت ردائي هذا لكم، ذهبتم عني، لدفعته إليكم. هذا يدل أبلغ دلالة على خوف الفضيل من الوقوع في الكذب على رسول الله ﷺ، بل بلغ خوفه أن كان ينهى أصحابه (عبد الله بن المبارك، وسيفان بن عيينه) عن التحدث بل أنه يأخذ بيد سفيان بن عيينه فيقول له: إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر مني ومنك، فبئس ما تظن.

من أقوال الفضيل

– من أخلاق الأنبياء الحلم، والأناة، وقيام الليل. إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم كبّلتك خطيئتك.

– المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

– بقدر ما يُصغّرُ الذنب عندك، ويعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

– عاملوا الله عز وجل بالصدق في السرّ،

حد الفضيل بن عياض الزهد في الدنيا بأنه هو (القناعة)

فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

– سأله رجل قائلاً: يا أبا عليّ متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال له الفضيل: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حبه.

– وسأله عبد الله بن مالك فقال: يا أبا عليّ ما الخلاص مما نحن فيه؟ فقال له: أخبرني من أطاع الله عز وجل هل تضره معصية أحد؟ قال: لا. قال: فمن عصى الله سبحانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا. قال: فهو الخلاص إن أردت الخلاص. ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وفاة الفضيل

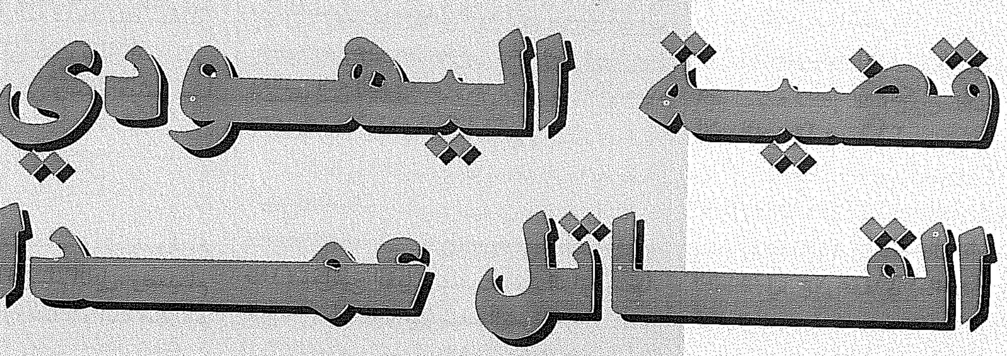
توفي الفضيل بن عياض؛ رحمه الله رحمة واسعة؛ بمكة المكرمة في أول سنة مائة وسبع وثمانين(٢٢) توفي الفضيل بعد أن ترك مدرسة كبيرة في مكة، بل في العالم الإسلامي كله، فمن تلامذتها ابنه البار عليّ بن الفضيل، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن يحيى وغيرهم. هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل□

الهوامش:

١) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ج٨ ص٩٥، ط الأولى بالمطبعة الشرقية.
٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدس ص٣٢٤، ط مكتبة دار البيان.
٣) خصفة: أي الثوب الغليظ جدا.
٤) ليفاً: أي قشر النخل ومشاكله.
٥) من عطف الجلد: إذا تمزق شعره وانتن في الدباغ.
٦) الوشيكة: السريعة.
٧) الترغيب والترهيب للحافظ عبد العظيم المنذري، ج٥ ص١٦١، ط دار الحديث.
٨) أوثر: أي أوطأ وألين.
٩) الترغيب والترهيب للمنذري، ج٥ ص١٦٠، ومجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي، ج١٠ ص٣٢٧.
١٠) جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب الحنبلي، ص٣٣١.
١١) الطبقات للسلمى ص٨، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار، ج٣ ص٣٩٤.
١٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبيد الله، وكنيته أبو الفرج ابن الجوزى، ولد رحمه الله سنة ثمان أو عشر وخمسمائة ٥١٠ هـ. يقول الإمام ابن قدامة المقدسي، كان ابن الجوزى إمام عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، وكان يدرّس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظاً للحديث وصنّف فيه. وقال الحافظ شمس الدين الذهبي. ما علمت أن أحداً من العلماء صنّف ما صنف هذا الرجل. توفي ابن الجوزى سنة ٥٩٧ هـ رحمه الله ورضي الله عنه.
١٣) الرسالة للقشيري، ج١ ص٥٧.
١٤) الطبقات للسلمى، ص٦-٨.
١٥) الرسالة للقشيري، ج١ ص٥٧-٥٨.
١٦) الروض الفائق للحريفيش، ١٥٢.
١٧) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار، ج٣ ص٣٩٩، ط دار المعارف المصرية.
١٨) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج٨ ص١٠٢. ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣ ص٣٩٦.
١٩) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ج ٤ ص٢٢٥. ط الدار البيضاء.
٢٠) ميزان الإعتدال لشمس الدين الذهبي، ج٣ ص٣٦١، ط دار المعرفة، بيروت.
٢١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج٨ ص٩٤-٩٥. ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣ ص٣٩٦٥.
٢٢) تهذيب التهذيب للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

قضية اليهودي القاتل عمدا، موضوع هذا المقال، هي من قضايا الدماء، وإزهاق الأرواح البشرية عمدا بغير حق من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله تعالى، وهي أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة لأنها أعظم المظالم فيما يرجع إليهم..

بقلم:
د. محمد الشريف الرحموني*



القتل العمد من الكبائر

وقد ورد في القرآن الكريم وعيد شديد للقاتل عمدا مقرون بالخلود في جهنم، قال جل ذكره: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء/٩٣]، وهذا الذنب العظيم ورد مقرونا بالشرك بالله تعالى في كثير من الآيات، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الفرقان/٦٨]، وقال تعالى: ﴿قل تعالَوْا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ [الأنعام/١٥١]..

واستنادا إلى الآية الأولى قال ابن عباس، رضي الله عنهما: (إن الرجل إذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، ولا توبة له)(١). وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». وروى البخاري والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لن يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما».

وقال ابن عمر - ربما تعقيبا على هذا: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله). وروى ابن ماجة باسناد صحيح والبيهقي والاصبهاني عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»، وزاد في رواية الاصبهاني: «ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار». وروى البيهقي من حديث ابن عمر قوله صلى الله عليه وسلم: «من أعان على دم امرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله»، ونفس الحديث رواه ابن ماجة والاصبهاني عن أبي هريرة بلفظ قريب من هذا(٢).

قضية اليهودي القاتل

وقد نظر رسول الله ﷺ في مجموعة من قضايا الدماء، وأصدر فيها أحكاما مستمدة من كتاب الله تعالى وبوحي منه، كانت ولازالت مرجعا القضاة الحق وأئمة العدل، اخترت منها هذه القضية التي خرجها البخاري في غير موضع بألفاظ مختلفة..

ورواها مسلم وأبو داود وابن ماجة والترمذي وأحمد بألفاظ متقاربة يفسر بعضها البعض، ومعان واحدة يدعم بعضها الآخر، وجميعها عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهوديا قتل جارية على أوضاح(٣) لها، فقتلها بحجر، قال فجيء بها إلى النبي ﷺ وبها رمق(٤) فقال لها: أقتلك فلان، فأشارت برأسها أن لا، ثم قال لها الثانية فأشارت برأسها إلى اليهودي، فقتله رسول الله ﷺ بين حجرين(٥).

وفي رواية ثانية لمسلم من طريق أبي قلابة عن أنس: أن رجلا من اليهود قتل جارية من الانصار على حلي لها، ثم ألقاها في القليب(٦). ورضخ رأسها بالحجارة، فأخذ فأتي به رسول الله ﷺ فأمر به أن يرجم حتى يموت، فرجم حتى مات. وفي رواية ثالثة لهذه القضية: أن جارية وجد رأسها مرضوخا بين حجرين فقيل: من فعل هذا بك ؟

* كاتب تونسي

فـلان ؟ فلان ؟ حتى ذكـروا يهوديـا فأومأت برأسها، فأخذ اليهودي فأقر، فأمر به رسول الله ﷺ أن يرض رأسه بالحجارة(٧).

فوائد هذه القضية

وفي هذه القضية من الفوائد ما يلي:

أولا: أن الرجل يقتل بـالمرأة، وقد أجمع على هذا أهل الـذكر قديما وحديثـا نظرا للمساواة التامة بينهما.

ثانيـا: أن القاتل عمـدا يقتل قصـاصا على الصفــة التـي قتل بها فإن قتل بسيـف قتل بــالسيف، وإن قتـل بحجـــر أو خشب أو نحـوهما قتل بمثلـه لأن اليـهـودي رضخـهـا فرُضخ هو بمثل مـا رضخ به. وهذا الاعتبار: أي اعتبار المماثلـة في طريقة القتل هـو مذهب الأئمـة: مـالك والشـافعي وأحمد وأبي ثـور واسحــاق بن راهويـه وابن حـزم الظاهـري وجمهـــور العلماء، عمـلا بهذه القضيــة بـرواياتها، وبما أخـرجه البيهقي من حـديث البراء أن النبي ﷺ قـــال: «من غـــرض(٨) غـرضنـا لـه، ومن حرق حـرقناه ومن غـرق غرقناه. وهو مـا يستفاد - إجمالا - من قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبـوا بمثل ما عوقبتم له﴾ [النحل/١٢٦]، ﴿والحرمـات قصاص، فمن اعتـدى عليكم فـاعتـدوا عليـه بمثل مـا اعتدى عليكم﴾ [البقـرة/١٩٤]، ﴿ولا تعتدوا إن اللـه لا يحب المعتـدين﴾ [البقـرة/١٩٠]، ﴿وجــــزاء سيئـــة سيئـــة مثلهـــا﴾ [الشورى/٤٠]..

واستثنـوا من هـذا، القتل الحاصل بطـرق محرمة مثـل السحر والمسكـرات والمخدرات، ففي هذه الحالة يجب العدول في القصاص إلى السيف، كما يجب العدول إليـه إذا اختار ولي القتيل ذلك.

وذهب أبو حنيفة إلى أن قتـل القاتل عمدا لا يكون إلا بـالسيف، وأجاب عن هـذه القضية بأنها وما ماثلها مما توجبه السياسة الشرعية لظروف خاصة.

ثالثـا: لا فرق في آلة الجريمـة بين أن تكون مما يستعمـل عادة للقتل كالسيـف والخنجر والسكين والمسدس، أو مما ليس كـذلك ولكنه قـد يقتل إذا استعمل مثـل الحجـر والخشب والعصـا والسوط والقضيـب وغيرها ممـا لم يعد القتل، وقد عبر الفقهـاء القدامى عن الأول بالمحـدد وعن الثاني بـالمثقل، وهـذه القضية تثبت أن القتل بـــالمثقل مـوجـب للقصـاص كـالقتل بـالمحدد إذ لا فـرق بينهما في ازهــاق الارواح، ولـو فرقنـا بين آلات القتل لأدى ذلك إلى أن يتخذ ذريعـة إلى اهدار القصـاص وهو خلاف المقصود من حفظ الدماء(٩).

وهذا رأي مالك والشافعي وأحمد وجمهور الأئمــة، بـاستثنــاء أبي حنيفــة والشعبي والنخعي الـذين يقولـون بأنه لا قصـاص في القتل بالمثقل، والقضية التي بين أيـدينا حجة عليهم، وعذرهم فيما ذهبوا إليه أن ما ثبت هنا كان من قبيل السياسة كما قدمنا، خاصة وأن ذلك اليهودي كـان صاحب سوابق وسـاعاي في الارض بـالفساد، وقـد اعتاد قتل الصغـار بهذه الطــريقــة، وفيــه من التكلف مـــا لا يخفى(٩).

رابعا: جواز سؤال الجريح ولو كان في حالة احتضـار عمن اعتـدى عليــه ليُعـرف المتهم فيجلب ويستجوب، فان أقر ثبت عليه القتل، وإن أنكر فالقـول قوله مع مطـالبته باليمين، ولا يلزمـه شيء بمجرد قـول المجروح في رأي الشـافعي وجمهور العلماء، أمـا الامام مــالك فانه يري ثبـوت القتل على المتهم بمجرد قول المجـروح استنـادا إلى إحـدى روايـات هــذه القضية، ولكن الـرواية الثالثـة لمسلم توضح الأولى وتفيد أن اليهودي اعترف، ممـا يجعلنا نميل إلى أنــه أخـذ بــاعترافـه لا بــاشــارة الجارية(١٠).

خـامسـا: الاشـارة تقـوم مقـام العبـارة، وتترتب عليهـا اجـراءات قضـائية، بـاتفـاق العلماء: قديما وحديثا■

الهوامش:

(١) الصابـوني: مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٤٢٢ وما بعدها. المنـــذري: الترغيب والترهيب مـن الحديث النبوي ج٣، ص٢٩٢ وما بعـدها. ابن حزم: المحلى ج١٠، ص٣٤٢ وما بعدها.

(٣) أي بسبب أوضاح، وهي قطع الفضة، وقد فسرت في الرواية الثـانية: قتلها على حلي لها.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: إن الرجل إذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، ولا توبة له

وقد ورد في القرآن الكريم وعيد شديد للقاتل عمداً مقرون بالخلود في جهنم

التأسي بالسلوك المحمدي ضرورة العصر وكل عصر

بقلم: محمد مصطفى البسيوني

ما أحوجنا إلى التأسي برسول الله ﷺ في كل تصرفاته، فهو الكمال الإنساني بعينه، ومن منّا لا ينشد الكمال!! طبعا لن نصل إلى الكمال المحمدي.. ولكن حسبنا أن تكون خطواتنا على طريقه.. فإن زلّت أقدامنا عدنا إليه سراعا.. ورمضان مناسبة طيبة لنتدارس الحياة العملية لخير البشرية.. فنتزود من سلوكه ﷺ بشحنة إيمانية تساعدنا على مواجهة ابتلاءات الزمان.

أهمية السلوك اليومي

حفلت الكتب التي عرضت للسيرة النبوية الطاهرة بإبراز دور الأسوة الحسنة المحمدية في المجالات العامة، ولا سيما ما اتصل منها بالدعوة، أو العبادات، أو الغزوات، وغير ذلك.

وقلما يتوفر بعض هذه الكتب على دراسة السلوك اليومي للنبي الكريم في مواجهته ﷺ للمسائل العارضة، والمواقف الجارية، وهو السلوك المرشد الذي يعتبر – دون منازع – الوسيلة التعليمية الحية، التي تبين للمسلمين الأسلوب الأمثل، والمسلك الأفضل، عندما تعرض لهم مثل هذه المسائل والمواقف.

وعندما تتحدث معظم كتب السيرة عن خصال النبي ﷺ، فكثيرا ما تتحدث عنها بصورة عامة مجردة، وقليلا ما تشفعها بالأمثلة العملية اليومية، والنماذج السلوكية التي تحفز الناس على التأسي الهادف، والتقليد المفيد.

ونحن نرى أن السلوك المحمدي اليومي هو من أهم مواطن الأسوة التي ينبغي أن نلح على العناية بعرضها دائماً على عامة المسلمين، وتعميق الإحساس لديهم بها كتجارب معيشية حية، ذلك بالصورة التي تحرك طاقاتهم الإيمانية نحو تنظيم معاملاتهم اليومية على بصيرة سوية، وخلق قويم. وإن هذا لهو الأسلوب المنشود في تربية المسلم المعاصر الذي تحيط به مرائي الفتن، ومهاوي الغفلة من كل مكان، مما يجعله في أمسّ الحاجة إلى التعرف الواعي بنبيه العظيم، تعرفا عمليا سلوكيا، يعيش في حركات جوارحه، في كل دقائق الحياة.

وان من الإيحاءات المضيئة، والإيماءات الوضيئة التي تشع بها السيرة المحمدية العاطرة الزاخرة، والتي تطمئن إليها نفس المؤمن المتأمل، أن النبي الخاتم ﷺ قد أراد الله تعالى له أن تكون السنوات التي أمضاها – فيما بين مولده الشريف وبين انتقاله إلى الرفيق الأعلى – كلها عقدا درّيا منتظم الحبات، وسلسلة مترابطة متسقة الحلقات من المواقف الإنسانية المتعددة والمتنوعة، والتي كانت بحق نماذج عملية لكل ما يمكن أن يعرض لأي امرىء في حياته من أمور.. وقد عبرت السيرة النبوية الطاهرة بجلاء عن مواجهة النبي ﷺ لكل موقف من هذه المواقف، بالفكر الرشيد، والفعل السديد الذي لا ينطق عن الهوى.

ولك أن تستعرض هذه السيرة الرائدة، والمسيرة الغنية بالتجارب البشرية، والخبرات الإنسانية العملية في تأمل عميق، وتدبر دقيق، لتعرف أن محمدا ﷺ كانت حياته كلها – على هذه الأرض – دروسا جديرة بالاقتداء، وخطوات حرية بالاقتفاء.

فما نظن أن هناك تجربة ميدانية يمكن أن تعرض لإنسان ما في الحياة لم تتضمنها حياة محمد ﷺ.

ومن ثم فإنه يصبح على أتباع هذا القائد القدوة، والراشد الأسوة – ما داموا قد صدقوه وآمنوا برسالته ووقر هذا الإيمان في قلوبهم – أن تتسق أعمالهم مع هذا الإيمان.

على أن يحيط تأسي المؤمنين بالنبي بجوانب السلوك اليومي.. ذلك السلوك النبوي الذي يمثل الخطوات العملية للتربية الشخصية للمؤمنين.

بين التابع والمتبوع

ولا يتسق السلوك العملي مع الإيمان القلبي، إلا إذا اتفق سلوك التابع وسلوك المتبوع، بحيث تصبح أفعال التابع المصدق استمرارا وامتدادا لأفعال المتبوع المصدوق.

وإن هذا ليبدو في وضوح وجلاء في الدين الإسلامي الحنيف – بوجه خاص – حيث لا ينقطع دور الرسالة بوفاة الرسول ﷺ، وإنما هي رسالة ممتدة، ومتمثلة في أتباعه، وأتباع أتباعه من المسلمين الصادقين إلى ما شاء الله رب العالمين، طالما كان هناك قرآن ينظم مسيرة هذه الرسالة الحقة، وهو القرآن المجيد الذي تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

ذلك لأن كل مسلم – في أي زمان ومكان – مكلف بتبليغ دعوة النبي ﷺ، يقيم دينه، ويسلك – ما استطاع – مسلكه في اقتداء قويم، واهتداء سليم.

وعلى هذا، فقد ألقى الرسول ﷺ المسؤولية العملية على كل فرد من أفراد أمته جيلا بعد جيل، حين قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

ولعل هذا هو ما هيأ الأمة الإسلامية لأن تكون خير أمة أخرجت للناس، لأن كل فرد فيها مكلف بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من منطلق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهذا التكليف هو استمرار لرسالة النبي ﷺ. ولقد قرر هذا القرآن الكريم في بعض آياته المحكمات التي يشرح بعضها بعضا في ترابط متين، واتصال مكين: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠].

فإذا استشعر المسلم الحق في أعماقه هذه المسؤولية، وهذا التكليف، فما أحراه أن يتحرى السلوك النبوي، الذي صدر عن صاحب هذه الرسالة المتواصلة طوال ثلاثة وستين عاما من الزمان، لا تمثل عمر إنسان، ولكنها تعتبر الينبوع المتدفق الذي يفيض – دون أن يغيض – على البشرية

جمعاء طولا وعرضا، بما يصلح أولها وآخرها، كما أنها المورد النقي الذي يرده كل من طلب الطريق السوي، وقصد الصراط المستقيم.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى بأتباع محمد ﷺ اليسر، ولم يرد بهم العسر، عندما بعث فيهم رسولا من أنفسهم هو في كل خطوة قدوة، وفي كل مجال مثال، فأجرى الله عز وجل على يديه الشريفتين الأسلوب الصحيح لمواجهة كل ما يمكن أن يعرض لبشر من أحداث، وهداه إلى القول الفصل، والمسلك العدل في كل ذلك، حتى يتيسر لنا النظر في الحلول، عندما تعرض لنا المشكلات، تأسيا بمواقفه ﷺ في كل أمر من الأمور ولو دق.

وهذا فضل من الله ونعمة، حيث يتجه المسلم كلما حَزّ به موقف إلى السلوك النبوي، ليعرف ماذا فعل رسول الله ﷺ عندما واجه مثل هذا الموقف.

وعندها يجد ضالته في السيرة النبوية الخصبة فيهدأ باله، وتطمئن نفسه، ويحاول أن يقتدي بالسلوك المحمدي، مستمدا شعاع الهدى من القبس النبوي الوضاء. وكيف لا؟ ألا يكفي المسلم أن يقتدي بنبي كان خلقُهُ القرآن.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن اقتداء السابقين في صدر الإسلام بالسلوك المحمدي، هو الذي جعل من كل واحد منهم طاقة هائلة من الإيمان المتين، الذي لا تعصف به الأهواء، ولا تزعزعه الأنواء.

وهؤلاء هم الذين كانوا اللبنات القوية الراسخة، التي قام عليها المجتمع الإسلامي المتماسك المتين.

ولما كانت الأحداث البشرية والمواقف الإنسانية لا تكاد تُحصى كما وكيفا، لذلك كانت حياة النبي ﷺ حافلة بالنماذج الحية لهذه الأحداث والمواقف، وبالأمثلة التعليمية النابضة التي تبصر الناس بالتصرف النبوي الحكيم حيالها، والأسلوب المحمدي السليم في معالجتها.

في العلاقة الزوجية

وحسبنا أن نتذاكر بعضا منها في عصرنا هذا الذي ماجت بالناس فيه السبل، وتقطعت بهم الأسباب، واختلطت عليهم الأمور، فأصبحوا يتخبطون في ظلمة تفتقد الدليل الهادي، وتفتقر إلى المرشد الأمين.

وعلى سبيل المثال ما نعلمه مما يحدث اليوم من خلاف بين الزوج وزوجه لأمر أو لآخر، وكيف يستفحل هذا دون مبرر، حتى ليهدد كيان الأسرة، ويطيح بمصير أبنائها.. فتعال معي إلى الموقف المحمدي العظيم في مثل هذا الموقف.

تروي كتب السيرة: إنه كان هناك بين عائشة والنبي كلام فسألها: هل ترضين أن يكون بيني وبينك؟ أترضين بأبي عبيدة بن الجراح؟ قالت: لا، ذلك رجل هين لين يقضي لك. قال: أترضين بأبيك؟ قالت: نعم.

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله، اقصصي.

فقالت: بل أقصص أنت.

فأخذ رسول الله في إعادة ما جرى بينهما من كلام، وبدرت من عائشة كلمة لا تعنيها فقالت: أقصد. فرفع أبو بكر يده فلطمها وانتهرها مغضبا: تقولين يابنة أم رومان أقصد!! من يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ وجعل الدم يسيل من أنفها، ورسول الله يحجز بينهما، ويقول لصديقه: إنّا لم نرد هذا ـ حتى انصرف برضى من رسول الله.

فأين الزوج الذي نعرفه اليوم من الزوج محمد ﷺ، الذي يرسم بسلوكه النبوي الرحيم كيف تُعالج الأمور بين الزوجين دون عنف، حتى لو كان هذا العنف من حميه الصديق رضي الله عنه دفاعا عن خلق رسول الله.

في العلاقة الأبوية

ثم أما علمت بنبأ فاطمة بنت محمد، وقد دخلت على أبيها ﷺ باكية، تشكو إليه زوجها عليا سيتزوج من بنت أبي لهب؟

إنه لموقف معقد الشعاب. إن فاطمة هي من هي في عمق القلب المحمدي الطاهر، وإن عليا هو من هو في مواقفه النادرة في الإسلام سبقا، وفداء، وبطولة.

هذه هي الابنة الحبيبة، وهذا هو ابن العم الحبيب، فماذا يصنع الأب الذي لا يقيم أسرة، وإنما يشيد أمة؟

إن الأب المعاصر قد تأخذه سورة الغضب فيتخلى عنه رشده وحكمته، وقد يحتجز ابنته عن بيت زوجها، ثم قد يتصاعد الأمر، فينتهي إلى ما لا تحمد عقباه.

ولكن عندما يكون الأب هو الأسوة الحسنة، فإنه لا بد آت بالتصرف الحكيم، الذي يريد للناس أن ينهجوا نهجه، وينسجوا نسجه، إن عرض لهم مثله في الأزمان.

لقد خطب الرسول ﷺ في الناس – وبينهم علي – يعرض الأمر، ثم يواجه الموقف في حكمة فذة، وأدب جم، بأنه لا يقبل أن تعيش ابنة رسول الله ﷺ وبنت عدو الله في بيت واحد، فإذا بعلي يحس بخطورة الأمر إن وقع، فيعود إلى زوجه الزهراء في اعتذار ورجاء.. وتمر العاصفة مرَّ النسيم.

في مواجهة الأحزان

ولعل في مخيلتنا دائما موقف محمد ﷺ وهو يواجه فراق ولده الحبيب إبراهيم، ويضع حنو الأبوة الرقيقة الدامعة في إطار من الجأش المتين، وكأنه يقول للأجيال المقبلة من الآباء: إن هكذا يواجه مثل هذا الموقف، وإن هذه هي الحدود التي ينبغي التزامها في مثل هذا الحدث الفاجع الرهيب.. حزن بالقلب ينطق بدمعة من العين، لأن هذه هي مشيئة الله التي اقتضت أن يمتحن محمد الأسوة هكذا، ليقدم لنا على مر الزمان درسا من دروس الإيمان.. ويالها من دروس.

حياته ﷺ كلها تشريع

ومن الأمور التي توحي بأن حياة النبي ﷺ كانت من أولها إلى آخرها رسالة محددة المعالم، أنه ﷺ لم يحج إلا مرة واحدة، وهي الحجة التي خطب فيها خطبة الوداع ليأخذ الناس عنه مناسكهم، ولينتقل بعد ذلك إلى جوار ربه، حيث أتم ما كلف به علما وعملا.

فما أحوج المسلمين ـ بل ما أحوج البشر جميعا ـ اليوم إلى أن يتعمقوا مواطن الأسوة النبوية الهادية، فيما يعن لهم في حياتهم اليومية، في هذا العصر من مواقف ومشكلات□

أضواء حول الحجب والحرمان في الميراث

بقلم: رفعت محمد مرسي طاحون

(١) الحجب

● يعرّف لغة: (المنع والحرمان). يقول تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين/ ١٥] أي أنهم ممنوعون عن رؤية الله تعالى في الآخرة.

ويقال للبواب (حاجب) لأنه يمنع الناس من الدخول على الرؤساء بدون إذن. واصطلاحا: الحجب هو (منع الوارث من الإرث كلياً أو جزئياً مع أهليته للميراث، لوجود من هو أحق منه).

● أقسامه: حيث ينقسم الحجب إلى قسمين:

أ – حجب نقصان: وهو منع الوارث من بعض ميراثه لا كله – بنقله من فرضه الأكبر إلى فرضه الأصغر مع أهليته للميراث – لوجود شخص آخر.

مثل (حجب الزوج من النصف إلى الربع عند وجود الفرع الوارث مهما نزل...)

ب – حجب حرمان(١): هو منع الوارث من كل ميراثه – فلا يرث شيئا. مع أهليته للميراث – لوجود وارث آخر أولى منه.

مثل (حجب الجد بالأب، وحجب أم الأم بالأم... وهكذا).

(٢) الحرمان

هو: منع الوارث من الإرث كلياً. لوجود مانع من موانع الإرث (كالرق. والقتل. واختلاف الدين..) وهذا المحروم لا يحجب غيره. ويكون وجوده كعدمه فلا يؤثر على ميراث غيره.

ويتخلص الفرق بين الحجب والحرمان:

أ) الحجب

– أن المحجوب حجب حرمان: أهل للميراث – ولكنه لم يرث لوجود وارث آخر أولى منه في الإرث.

– أن المحجوب حجب حرمان: يحجب غيره في الميراث

ب) الحرمان

– المحروم من الميراث: ليس أهلا للميراث – لوجود مانع من موانع الإرث (كالرق، والقتل، وإختلاف الدين). ولهذا لا يرث مطلقا سواءً وجد معه وارث آخر أم لم يوجد.

– المحروم من الميراث: لا يحجب غيره في الميراث ويكون وجوده كعدمه. فلا يؤثر على ميراث غيره.

* أقسام الحجب:

نجد: أن الحجب ينقسم إلى قسمين: (حجب حرمان، وحجب نقصان).

(أ) حجب نقصان:

● هو: منع الوارث من بعض ميراثه لا كله. بنقله من فرضه الأكبر إلى فرضه الأصغر مع أهليته للميراث. لوجود شخص آخر(٢).

● وجوده: يوجد حجب النقصان في خمسة من أصحاب الفروض وهم:

– الزوج: يحجب الزوج من النصف إلى الربع عند وجود الفرع الوارث مهما نزل.

– الزوجة: تحجب الزوجة من الربع إلى الثمن عند وجود الفرع الوارث مهما نزل.

– الأم: تحجب الأم من الثلث إلى السدس عند وجود الفرع الوارث، وكذا عند وجود أكثر من واحد من الإخوة.

– بنت الابن: تحجب من النصف إلى السدس عند وجود البنت الصلبية أو بنت الابن الأعلى منها.

– الأخت لأب: تحجب من النصف إلى السدس عند وجود الأخت الشقيقة.

(ب) حجب حرمان:

● هو: منع الوارث من كل ميراثه. فلا يرث شيئا. مع أهليته للميراث. لوجود وارث آخر أولى منه.

● قواعد حجب الحرمان:

نجد: أن حجب الحرمان يقوم على قواعد أربع:

١ – تقديم جهة البنوة على جهة الأبوة، وجهة الأبوة على جهة الأخوة، وجهة الأخوة على جهة العمومة في ميراث العصبات – حيث يحجب العاصب من الجهة المقدمة غيره من العصبات.

٢ – أنه في حالة اتحاد الجهة، فإن كل من يدلي الى الميت بواسطة يحجب بها ماعدا الإخوة لأم.

فمثلا (الأب يحجب الجد، والابن يحجب ابن الابن، والأم تحجب أم الأم...) وهنا: الأم لا تحجب الإخوة لأم مع أنهم يتصلون بالميت عن طريقها. لانها لا تستحق كل التركة. بعكس الأب مع الإخوة الأشقاء أو لأب لأنه يستحق كل التركة تعصيباً.

٣ – أن الأقرب يحجب الأبعد الذي يستحق بنفس وصفه في أصحاب الفروض أو العصبات: فمثلا (الأم تحجب الجدة مطلقاً ولو كانت أبوية تدلى بها. والبنتان تحجبان بنت الابن في ميراث الفرض، والإبن يحجب ابن الابن ولو لم يكن فرعه. بأن كان ولد إبن آخر).

٤ – أن الأقوى قرابة يحجب الأضعف في ميراث العصبات عند اتحاد جهة ودرجة القرابة. فمثلا (الأخ الشقيق يحجب الأخ لأب، والعم الشقيق يحجب العم لأب..).

● الورثة الذين لا يحجبون حجب حرمان:

نجد: أن هناك من الورثة من لا يحجبون حجب حرمان أصلاً. لأنهم لابد أن يرثوا. وهؤلاءهم:

– الابن الصلبي. – الأم.
– البنت الصلبية. – الزوج.
– الأب . – الزوجة

بحيث إن وجد أحد من هؤلاء. فلابد أن يرث من التركة.

● الورثة الذين يحجبون حجب حرمان (من الذكور) هم:

– ابن الابن: يحجب بالإبن. وابن الابن الأقرب منه درجةً.

– الجد الصحيح: يحجب بالأب . والجد الصحيح الأقرب منه درجةً.

– الأخ الشقيق: يحجب بالأب . وبالفرع الوارث المذكر (الابن وابن الابن مهما نزل).

– الأخ لأب: يحجب بمن يحجب به الأخ الشقيق. ويحجب بالأخ الشقيق. والأخت الشقيقة التي أصبحت عصبة مع الغير.لأنها حينئذ في قوة أخيها الشقيق إرثا وحجبا.

– الأخ لأم، أو الأخت لأم: يحجب كل منهما بالأصل الوارث المذكر (الاب والجد وإن علا)، وبالفرع الوارث مطلقاً (الابن، وابن، الابن، والبنت، وبنت الابن... ألخ).

– إبن الأخ الشقيق: يحجب بالأب والجد، والإبن . وابن الابن، والاخ الشقيق. وكذا الاخ لأب.

– إبن الأخ لأب يحجب بمن يحجب به إبن الأخ الشقيق. ويزاد بأن يحجب بابن الأخ الشقيق.

– العم الشقيق: يحجب بابن الأخ لأب ، وبمن يحجب ابن الأخ لأب.

– العم لأب: يحجب بالعم الشقيق، وبمن يحجب العم الشقيق.

–ابن العم الشقيق: يحجب بـالعم لأب. وبمن يحجب العم لأب ممن تقدموا.
– ابن العم لأب: يحجب بـابـن العم الشقيق، وبمن يحجب ابن العم الشقيق وهكذا.........

● الورثة الذين يحجبـون حجب حرمان (من البنات) وهن:
– الجدة الصحيحة (سـواءً أكانت أم أم، أو أم أب): تحجب بالأم في كل الحالات.
– بنت الابن: تحجب بـالابن، وباثنتين فأكثـر من البنات إلا إذا كان معصّب.
الأخت الشقيقـة: تحجب بـالأب، وبـالفـرع الوارث المذكر (الابن، وابن الابن مهما نزل).
– الأخت لأب: تحجب بالأب، وبـالفرع الوارث المذكـر مهما نـزل، وبـالأخ الشقيق وبـالأخت الشقيقة إذا صارت عصبـة مع الغير، وبالأختين الشقيقتين إذا استكملتا الثلثين إلا إذا وجد معهما معصّب.
– الأخت لأم: تحجب بـالأصل الوارث المذكـر، وبالفرع الوارث المذكر والمؤنث.

* أمثلة(٣):
مثـال ١: قتلت امـرأة وتركت (زوجـة، وإبنـا قاتلا، وبنتـا، وأخا شقيقـا) وتركت ٨٠ فـدانـاً. فكيف توزع التركة؟
الحل
– الابن القاتل: لا يـرث شيئا، لأنه محروم من الميراث بسبب قتله لوالدته..
وهنا: فإن وجـوده كعدمـه. فلا يحجب غيره. ولا يؤثـر على ميراث غيره لما رواه أحمد. عن عمر رضي الله عنه قال: قـال رسولﷺ: «ليس للقاتل شيء».
– الزوج: ٤/١ فـرضـاً. لوجود الفـرع الوارث (البنت). ٨٠x ١/٤ = ٢٠ فدانا)
– البنت: ٢/١ فرضاً. لانفـرادها ولعدم وجود من يعصبها. ٨٠×١/٢= ٤٠ فدانا)
– الأخ الشقيق: البـاقي تعصيبـاً. لأن الابن القاتل محـروم من الميراث. وبالتالي لا يحجب الأخ الشقيـــــــــــــق (١- (٤/١+٢/١))= ٤/١=٨٠×١/٤=٢٠ فدانا).
مثال ٢: مـات شخص مسلم عن (أم، وزوجة، وإبن غير مسلم، وابن أخ شقيق) وترك ١٢٠٠٠ دينار فكيف توزع التركة؟
الحل
– الابن غير المسلم: لا يرث شيئاً. لأنه محـروم من الميراث لإختـلاف الديـن. وهنا: فإن وجـوده كعـدمه. فـلا يحجب غيره. ولا يؤثـر على ميراث غيره.
لما رواه البخاري ومسلم. عن أسـامة بن زيد. أن النبي ﷺ قال: «لايرث المسلم الكافر. ولا يرث الكافر المسلم».
– الـزوجة: ٤/١ فرضـاً، لعدم وجـود الفرع الوارث. (١٢٠٠٠×١/٤=٣٠٠٠ دينار).
الأم: ٣/١ فرضـاً، لعدم وجود الفـرع الوارث ولا عدد مـن الاخوة. (١٢٠٠٠× ١/٣ =٤٠٠٠ دينار).
– ابن الأخ الشقيق: البـاقي تعصيبـا. لما رواه البخـاري ومسلم عن إبن عبـاس رضي الله عنـه قـال. قـال رسـول اللـه ﷺ «ألحقـوا الفـرائض بأهلها. فما بقى فلأولى رجل ذكر».
(١ - (٤/١+٣/١))=١٢/٠= ١٢/٥= ٥٠٠٠ دينار).
مثـال ٣: مات شخص وتـرك (زوجة، وإبنـا، وعما شقيقا) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الـزوجـة: ٨/١ فـرضـاً. لـوجـود الفـرع الوارث.
– الابن: البـاقي تعصيباً. (١ – ٨/١= ٧/٨ التركة).
– العم الشقيق: لا شيء. لحجبه حجب حرمان بالابن.
مثال(٤): مات شخص عن (زوجة، وبنت ابن، وأخـوان لأم، وعم شقيـق، وأم) فكيف تـوزع التركة؟
الحل
– الـزوجـة: ٨/١ فـرضـاً. لـوجـود الفـرع الوارث.
– بنت الابن: ٢/١ فـرضاً لانفـرادها ولعـدم وجود من يعصبها.
– الأم: ٦/١ فـرضاً. لـوجـود الفرع الـوارث. ولوجود عدد من الاخوة.
– الأخوان لأم: لا شيء لوجود الفرع الوارث.
– العم الشقيق: البـاقي تعصيبا. (١ – (٨/١ + ٢/١ + ٦/١))= ٢٤/٥).
مثال ٥: مـاتت امرأة عن (زوج، وبنتين، وأب، وجد صحيح) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوج: ٤/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– البنتين: ٣/٢ فرضاً.
الأب: ٦/١ فرضاً. ولا شيء يبقـى له تعصيبا . لأن المسألة قد عالت (١٢/٣+٨+٢=١٢/١٣).

– الجد الصحيح: لا شيء. لحجبه بـالأب. لأنه أقرب درجة من الجد.
مثـال ٦: مـاتـت امـرأة عن (أب، وأخ شقيق، وزوج) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الـزوج: ٢/١ فرضـاً. لعـدم وجود الفـرع الوارث.
– الأب: البـاقي تعصيباً. لعـدم وجود الفـرع الوارث المذكر.
– الأخ الشقيق: لا شيء لحجبه بالأب.
مثال ٧: مـاتت امرأة عن (أخ شقيق، وأخ لأب، وزوج، وبنت) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوج: ٤/١ فرضاً لوجود الفرع الوارث.
– البنت: ٢/١ فرضاً. لانفرادها. ولعدم وجود من يعصبها.
الأخ الشقيق: البــاقي تعصيبـــا: (١- (٤/١+٢/١))=٤/١).
– الأخ لأب: لاشيء لحجبه بالأخ الشقيق.
مثـال ٨: مـات شخص عن (ابنتي ابن، وأخت شقيقة، وزوجة، وأخ لأب) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوجة:٨/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث
– بنتي الإبن:٣/٢ فرضا. بالتساوي بينهن.
– الأخت الشقيقـة: البـاقي تعصيبـاً. حيث صارت عصبة مع بنتي الإبن.
– الأخ لأب: لا شيء. لحجبه بـالأخت الشقيقة. بعـد أن صـارت عصبـة مع الغير. لأنها في هـذه الحـالـة تصبح في قـوة الأخ الشقيق. فتحجب مـا يحجبه الأخ الشقيق.
مثـال ٩: مـاتت امـرأة عن (أخ الأب، وابن أخ شقيق، وبنت، وأم) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الأم: ٦/١ فرضاً لوجود الفرع الوارث.
– البنت: ٢/١ فرضاً لانفـرادها ولعدم وجود من يعصبها.
– الأخ لأب: البـــــاقي تعصيبــــــا (١-(٦/١+٢/١))=٣/١).
– ابن الأخ الشقيق: لا شيء. لحجبـه بالأخ لأب.

مثال ١٠: مـات شخص عن (أم، وبنت، وجدة صحيحـة «أم أم»، ابن أخ شقيـق) فكيف تـوزع التركة؟
الحل
– البنت: ٢/١ فرضاً. لانفـرادها ولعدم وجود من يعصبها.
– الأم:٦/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– جـدة صحيحـة «أم الأم»: لا شيء. لحجبها بالأم.
– ابن الأخ الشقيـق: البـــــاقـي تعصيبــــا (١-(٢/١+٦/١))=٣/١)
مثـال ١١: مــاتت عن (أختين شقيقتين، وابن ابن، وزوج، وعم شقيق) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوج: ٤/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– ابن الابن: البـاقي تعصيبـا. (١- ٤/١ = ٤/٣)
– الأختــــان الشقيقتـــان: لا شيء. لحجبهما بالفرع الوارث المذكر.
مثال١٢ : ماتت عن (أخت لأب، وبنت ابن، وأخ شقيق، وأم) فكيف توزع التركة؟
الحل
– بنت الإبن: ٢/١ فرضـا. لانفرادهـا. ولعدم وجود من يعصبها.
– الأم: ٦/١ فـرضاً لـوجـود الفرع الـوارث. ولوجود أكثر من واحد من الإخوة.
– الأخ الشقيق: الباقي تعصيبا. (١- (٢/١+ ٦/١))=٣/١).
– الأخت لأب: لا شيء. لحجبها بالأخ الشقيق□

الهوامش:

(١) يلاحظ أنه: إذا أطلق الحجب. فإنه يراد به حجب حرمان.
(٢) وهذا الاصطلاح: هـو اصطلاح الأحناف. وهو أشهر وأدق.
(٣) حلت الأمثلة حسب مـاجاء في القـانـون المصري.

أدب الأطفال اصطلاح شاع استخدامه في اللغة العربية بمعان ومفاهيم عديدة.. فما مفهوم أدب الأطفال بصفة عامة؟ وما المقصود بأدب الأطفال الإسلامي؟؟ وما أهداف ومحددات أدب الأطفال الإسلامي؟؟؟

ما هو أدب الأطفال الإسلامي؟

بقلم: د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي

حقائق عن مرحلة الطفولة

وقبل أن نبدأ في تحديد المفاهيم، ونتعرف على الجوانب والمحددات الرئيسية التي تحدد بدقة مفهوم أدب الأطفال الإسلامي، لابد من الإشارة إلى عدة حقائق هامة عن الطفل ومرحلة الطفولة، ومن هذه الحقائق:

– الطفولة فترة هامة في حياة الإنسان، فهي فترة التكوين البدني والنفسي والعقلي والذهني والعلمي للإنسان، وهي الفترة التي تحتاج إلى رعاية مميزة واهتمام شديد سواء من الوالدين أو من المؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية، وذلك من أجل نمو الطفل نمواً متوازناً.

– الطفولة فترة من العمر تمتد من الميلاد، وحتى (سن غير محددة متفق عليها لإنهاء فترة الطفولة)، ففترة انتهاء الطفولة، أو مرحلة الطفولة ليس لها نهاية محددة في جميع الحالات، وليس هناك اتفاق بين العلماء عليها، وإنما تتحدد هذه النهاية بالنظر للظروف والبيئات والفروق الفردية بين الأطفال، فهناك من يعلن أن مرحلة الطفولة تمتد من الميلاد وحتى الثانية عشرة من العمر، وهناك من يصل بمرحلة الطفولة حتى الخامسة عشرة من العمر، بل هناك من يصلها بمرحلة الشباب، وبذلك يضيف مرحلة الصبا والفتوة والمراهقة لمرحلة الطفولة..

وعموما، نتفق مع الرأي القائل بأن(١) (مرحلة الطفولة يمكن أن تستمر طالما كان الأطفال محتاجين إلى أدب من مستوى خاص وثقافة من نوع معين معدّ لهم خصيصاً، ييسّط لهم التراث البشري والمعالم والمنجزات الفكرية والمادية التي تعلو على مستوياتهم، وييسر لهم سبل تناولها واستيعابها باسلوب يناسب مرحلة نموهم، وتنتهي هذه الطفولة عند وصول الأطفال إلى الحد الذي يستطيعون معه تناول الإنتاج الفكري والأدبي المعد للكبار واستيعابه من غير حاجة إلى إعداد خاص).

ونتناول هذا الموضوع من خلال عدة نقاط نستعرضها فيما يلي:

أولا: ما الأدب الإسلامي؟

الأدب الإسلامي هو أولا أدب إنساني ، ولكن بمقاييس إسلامية، ولما كان هذا الموضوع يعد مدخلا لموضوعنا عن أدب الأطفال الإسلامي، فسوف نوجز الحديث عن الأدب الإسلامي من خلال التعريف بمفهوم الأدب الإسلامي، ثم نتناول أهم خصائص ذلك الأدب، لعلنا نستطيع التعرف في عجالة على أهم ملامحه، كما يلي:

١ – التعريف بالأدب الإسلامي

لا يمكن الفصل بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، ولكن الأدب الإسلامي أعم وأشمل، ويتضمن بالضرورة الأدب العربي ويستوعبه ويزدان به، والإسلام ينظر إلى الأدب ليس باعتباره ترفا ولا ملهاة ولا ضياعاً فكريا كساه لفظ بليغ جميل، وإنما ينظر إليه باعتبار أن له وظائف حية ينهض بها الأدباء في ضوء المنهج الإسلامي، وهذه الوظائف تتجلى في خدمة العقيدة والشريعة والقيم والأخلاق خدمة أدبية فنية(٢).

وتتعدد الآراء حول مفهوم الأدب الإسلامي، فهناك من يرى أن كل أدب إسلامي صادر عن أديب مسلم يعد أدباً إسلامياً، ويرى البعض أن كل أدب فيه ذكر للإسلام هو أدب إسلامي، بينما يرى فريق ثالث أن الأدب الإسلامي هو ما ينبغي أن يتناول مفهوماً من مفاهيم الإسلام، أو الذي تتمثل فيه المعاني القرآنية وأقوال الرسول ﷺ وصلحاء هذه الأمة، ولكن الرأي السائد في تعريف الأدب الإسلامي ينطلق من المفهوم الشامل للأدب الإسلامي، ويقول(٣) «الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبّر عن النظرية الإسلامية الشاملة للكون والوجود، فلا يتصادم معها أو يخالفها في أي جزئياتها ودقائقها»، والتعريف الأعم الأشمل للأدب الإسلامي

يقول(٤): «هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته» إذن فالأدب الإسلامي هو أدب إنساني، يكتبه الأديب المسلم، باللغة العربية أو غيرها، ويعالج قضايا إسلامية تهم المجتمع الإسلامي أو المسلمين.

٢ - الخصائص العامة للأدب الإسلامي

يتميز الأدب الإسلامي بالعديد من الخصائص التي تحدد شكله وجوهره، ونوجز هذه الخصائص فيما يلي(٥):

أ - انه أدب هادف، ذلك أن الأديب الإسلامي لا يجعل الأدب غاية لذاته، وإنما يجعله وسيلة لغاية، وتتلخص هذه الغاية في ترسيخ الإيمان بالله وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس وتوجيه الطاقات للخير والصلاح.

ب - انه أدب ملتزم، فهو ملتزم بالإسلام وقيمه وتصوراته ومتقيد بمبادئه العليا ومثله وغاياته، ولذلك فالأدب الإسلامي مسؤولية وريادة في وقت واحد، المسؤولية أمام الله والريادة في التوجيه لعامة المسلمين وخاصتهم.

ج - أنه أدب أصيل، وتتجلى هذه الأصالة في انصباب أدب الأديب على الأصيل من خصائص أمته، والنقي الصافي والرفيع الثمين من قيمها ومزاياها.

د - أنه أدب متكامل، ولا يتم هذا التكامل إلا بتآزر المضمون مع الشكل.

هـ - الاستقلال: وذلك، حين يتخلص الأدباء الإسلاميون من تأثير الأدباء والنقاد المشهورين، الذين تأثروا بالآداب الأخرى ويدينون بالولاء لها وهذا الاستقلال يتم بالتصميم من جهة، وبتكوين الشخصية الإسلامية من جهة أخرى.

و - أنه أدب فعال مؤثر، ولا يتحقق هذا الغرض إلا إذا كان الأديب المسلم ممن تفتحت قلوبهم للإسلام، ونمت عقولهم بغذائه.

كانت تلك أهم خصائص الأدب الإسلامي والتي تبين شكله وملامحه الأساسية.

> اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب فحسب، بل هي أسلوب للتفكير، ومن هنا تأتي خطورتها وأهميتها

ثانيا: ما هو أدب الأطفال؟

أدب الأطفال هو الأدب الموجه للأطفال، سواء من الكبار أو من الأطفال أنفسهم، ويشمل كافة الصور الأدبية من قصة وشعر وحكاية وكتب معلومات وكتب علمية وأخلاقية ومسرحية وموسوعات للطفولة، إلخ من ألوان هذا الأدب.

ويتميز أدب الأطفال عن أدب الكبار بأنه موجه، ويسير على أسس تربوية وأخلاقية دقيقة لا تخرج عن قيم وأخلاق ودين المجتمع الذي يسوده هذا الأدب عكس إبداعات الكبار التي يطلق لها العنان في مختلف الاتجاهات.

وأدب الأطفال له أهمية قصوى في عمليات تنشئة الصغار وتربيتهم، لأن الأطفال، في هذه الفترة الحساسة من عمرهم، يكونون بحاجة إلى من يساعدهم على تحقيق النمو السليم المتكامل في مختلف النواحي، كما أن أهمية هذا الأدب تعود(٦) (إلى أن ما يكتسبه الطفل في سنوات عمره الأولى من عادات وقيم ومثل يصعب معها تغييره أو تعديله فيما بعد).

وللتعريف بأدب الأطفال، لا بد من الحديث عن جوانب عديدة، تكشف لنا جوانب هذا الأدب، ومن هذه الجوانب(٧):

١ - أدب الأطفال بمعناه العام:

وهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة للأطفال في شتى فروع المعرفة.

٢ - أدب الأطفال بمعناه الخاص:

وهو يعني أي كلام جيد، بشرط أن يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان نثراً أم شعراً، وسواء كان شفويا بالكلام أو تحريرياً بالكتابة.

٣ - مجالات أدب الأطفال

وهي التي تحدد شخصية هذا الأدب، فأدب الأطفال الجيد هو الذي يراعي خصائص الطفولة واحتياجاتها في إطار من المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة، ولنتعرف على هذه المجالات في عجالة سريعة:

أ - من حيث الشكل والتنوع: هناك النواحي الثقافية التي تتضمن معلومات عامة وحقائق مختلفة عن الناس والحياة والمجتمع، مع تقديم المضمون العلمي والأفكار المقتبسة من العلوم المختلفة، والمضمون التعليمي، مع تحقيق النمو اللغوي والتدريب على الإلقاء الجيد وطلاقة اللسان والشجاعة الأدبية ومواجهة الجماهير.

وهناك النواحي الأخلاقية لتبصير الأطفال بالقيم الخلقية الفاضلة وتنمية إعجابهم وتقديرهم وحبهم للصفات الطيبة والأبطال الخيار، ونفورهم من الصفات المذمومة وجوانب الانحراف الخلقي.

أما النواحي الروحية فهي مهمة للغاية لتحقيق التوازن بين الاتجاهات المادية السائدة في العصر الحديث وبين القيم الدينية والروحية، والتي لا يستطيع الإنسان أن يحقق السعادة الحقيقية بدونها، فليس هناك تعارض بين العلم والإيمان، فالدين يحث بشدة على طلب العلم، وعلى التفكير والتأمل والبحث والاستكشاف، كما أن العلم يدعو للإيمان ويرسخ قواعده في ذهن الأطفال.

وكذلك النواحي الاجتماعية في أدب الطفل، والتي تهدف لمساعدته على الاندماج في المجتمع والتجاوب مع أفراده ولتعريف الطفل بمقومات المجتمع وأهدافه ومؤسساته، ومايسود فيه من قيم وصفات اجتماعية.

وهناك النواحي العقلية التي تتيح للطفل الفرصة للنشاط العقلي المثمر في مجالات التخيل والتذكر وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث وفهم الأفكار، والحكم على الأمور وحسن التعليل والاستنتاج. وما إلى ذلك من أمور، مما يساعد على نمو هذه العمليات العقلية وتطويرها لدى الطفل.

وذلك، بالإضافة إلى مجالات النواحي الجمالية، وكذا النواحي الترويحية.

ب - من حيث المضمون: يجب أن يكون مضمون أدب

ماهو أدب الأطفال الاسلامي؟

الأطفال الجيد محققا لثلاثة شروط متكاملة:

– الصحة من الناحية العلمية والتاريخية.

– التناسب مع مرحلة النمو التي يعيش فيها الطفل.

– عرض هذا الأدب بطريقة شائقة تتفق مع معايير أدب الأطفال السليمة.

ويظهر من خلال الحديث عن مضمون أدب الأطفال الجيد، ضرورة الاهتمام بلغة التخاطب في أدب الأطفال، فلابد أن تكون اللغة قوية وفصيحة ومعبرة تعبيرا قويا عن اللغة الحقيقية للمجتمع، كما يجب أن تكون الألفاظ سهلة والمعاني ميسورة الفهم والإدراك، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب فحسب، بل هي اسلوب للتفكير، ومن هنا تأتي خطورتها وأهميتها، فضلا عن مساهماتها في حفظ التاريخ والتراث، ودورها في خلق الآداب والفنون التي تشكل بدورها حياة الناس ذاتها.

ومن المعروف أن اللغة كائن حي يولد وينمو ويكبر، ويتطور ويصيبه ما يصيب الكائن الحي من علل وأمراض، والمؤامرة على العرب كانت تستهدف هذه اللغة، التي قال الشاعر حافظ إبراهيم على لسانها:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فاللغة هامة جدا في بناء صناع المستقبل، في بناء الأطفال، وأدب أطفال ركيك اللغة ماهو بأدب صالح للنشء.

ثالثا: التعريف بأدب الأطفال الإسلامي

هو أدب أطفال ، ولكن بمنظور إسلامي..

نعم؛ بمنظور إسلامي شامل، موجه لأطفال المسلمين، ويحمل رسالة الإسلام العالمية إلى أطفال العالم أجمع، وينقي مافي أدب الأطفال من كل مايتعارض مع مبادىء الإسلام وتعاليمه وفلسفته وأهدافه، كما يزيل الخرافات والأساطير التي تقوم على القوة الخارقة والتي لا وجود لها، من ثنايا هذا الأدب الموجه للأطفال..

ويتبلور أدب الأطفال الإسلامي بواسطة محددات الإسلام وضوابطه، وتوضيح ما أحله الله ليعرفه الأطفال، والتأكيد على ما حرّمه الله عز وجل ليعرف الأطفال جوانب وأضرار المحرمات فيتجنبوها.

كما يقدم أدب الأطفال الإسلامي تصويراً عاماً لحياة المسلم الحقة وأخلاقه الجمة وصفاته وعاداته وتقاليده الإسلامية الرائعة، بدءاً من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة الصحابة رضوان الله عليهم.

أي أن كلمة (إسلامي) التي تلي (أدب الأطفال) هي صفة تحدد بدقة شكل ومضمون وطريقة تقديم هذا الأدب لأبناء المسلمين على وجه الخصوص.

إذن ،،، فأدب الأطفال الإسلامي هو تقديم أدب الأطفال لأطفال المسلمين خصوصاً وأطفال العالم عامة، بصورة إسلامية تجسد حياة المسلمين وشعائرهم وعاداتهم وأوامر ربهم ونواهيه، وبطولات رجال المسلمين الأول، وسيرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وقصص وأمثال القرآن الكريم.

وبذلك ، يعرّف أدب الأطفال الإسلامي بأنه (أدب الأطفال بمعناه العام والخاص، ولكن بشكل ومضمون إسلامي، يجسد الصورة الحقيقية للإسلام وللمسلمين، كما أنه نوع من الأدب الإسلامي، ولكنه أدب إسلامي متخصص وموجه إلى فئة معينة من فئات المسلمين، وهذه الفئة لها خصائصها الخاصة وهم أطفال المسلمين).

ويتم توضيح التفاصيل المختلفة لهذا الأدب الإسلامي للأطفال من خلال التعرف على مُحددات هذا الأدب والذي يؤدي بنا إلى التعرف على جوانبه المختلفة.

رابعاً: مُحددات أدب الأطفال الإسلامي وغاياته

يعتبر التشريع الإسلامي الحكيم أصلا لكل الأصول والفروع، فلنقف مثلا عند تحديد سن السابعة لتعليم الطفل الصلاة، كما أمرنا بذلك سيدنا رسول الله ﷺ(٨)، وهي نفس السن التي اتخذها رجال التربية والفلسفة وعلم النفس في القرن العشرين بوصفها سناً مناسبة لبداية الاستيعاب والتعليم وتفهم ما حوله بصورة ذهنية كاملة، وحددوها أيضاً سناً مناسبة لدخول المدرسة في العصر الحديث، ولذلك، نستشف بعض جوانب الحكمة البالغة في جعل هذه السن مناسبة لبدء تعليم الصلاة عماد الدين الإسلامي.

الأدب الإسلامي أعم وأشمل، ويتضمن بالضرورة الأدب العربي ويستوعبه ويزدان به

فالطفل ، لا يكون في سنواته الأولى من العمر قادراً على تحليل الأمور بصورة كاملة، وإنما يكون حسياً فحسب، وكلما تقدم الطفل في فهم ما حوله، أي كلما أصبح تفكير الطفل موضوعياً، يبدأ الدين يأخذ مكانه في عقله، ويزيد التكوين العقلي ثباتاً واستقراراً ورسوخاً(٩)، ومن هنا، فإننا نجد أن أدب الأطفال الإسلامي يبدأ مع الطفل من سن السابعة ويستمر معه حتى سن الفتوة والشباب (من الرابعة عشرة من العمر وحتى السادسة عشرة)، ورغم ذلك فإن أدب الأطفال الإسلامي يبدأ مع الطفل منذ اليوم السابع لولادته عندما يؤذن الأب في الأذن اليمنى لطفله ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى(١٠) بادئا تأديبه إسلاميا، ولكننا نأخذ الأدب بمعناه العام. والحديث عن محددات وغايات الأدب يكون كالتالي:

١ – المحددات العامة لأدب الأطفال الإسلامي:

وهي تنبع من مستلزمات النمو الروحي والديني لأطفال المسلمين، والتي تتحدد بالآتي(١١):

أ – ان ينشأ الطفل على الإيمان بالله وابتغاء مرضاته في كل المواقف والأحوال.

ب – ان يعرف الطفل مبادىء الدين الأساسية متحرراً من الخرافات والتعصب.

ج – أن تبني عقيدته على أسس سليمة من الفهم والممارسة عبادة وسلوكاً.

د – ان ينطبع الطفل على يقظة الضمير ويربى على الإيمان بالفضائل الخلقية والقيم الصالحة والتمسك بها، وعلى حب الخير وبذل المعونة للمحتاج.

هـ – ان تنمي فيه العزيمة

والمثابرة والقدرة على مواجهة الحياة في تفاؤل وثقة بنفسه وبربه.

٢ – وبالنسبة لغايات أدب الأطفال الإسلامي: فإن هذا الأدب:

أ – يعين على التعرف على وحدانية الله عز وجل وصفاته وعظمته وخلق السموات والأرض، وأن كل شيء بيده سبحانه وتعالى وحده.

ب – حفظ القرآن الكريم وتدبر معانيه، وتمثل العبرات الموجودة به من قصص وأمثال.

> **الطفولة فترة هامة في حياة الإنسان، فهي فترة التكوين البدني والنفسي والعقلي والذهني والعلمي للإنسان**

ج – التعرف على سيرة رسول الله ﷺ وحياته وسنته الكريمة وصفاته الحميدة وصفات الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين.

د – التعرف على العادات والقيم والآداب الإسلامية والاجتماعية الحميدة.

هـ – التعرف على أسس الإسلام وفرائضه ونواهيه وحلاله وحرامه.

و – حث الأطفال على الخلق القويم من صدق وبرّ وعدل ورحمة وحلم وحياء وصبر وشجاعة وعزة وتواضع وشفقة ووفاء وعفة وصلة رحم ورعاية حق الجار وعيادة المريض وإغاثة الملهوف ورعاية الفقراء من المحتاجين والمساكين والشهامة والمروءة،، إلى غير ذلك.

ز – ان يكون ذلك الأدب معروضا بصورة مشوقة، بدون رسوم وصور لكل ما فيه روح (كالبشر والحيوانات وما شابه ذلك)□

الهوامش:

١) أحمد نجيب، القصة في أدب الأطفال، دراسات في أدب الطفل، رقم(٣)، القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٨٢، ص ٨و٩. ومن المعروف أن مراحل الطفولة وفئاتها تنقسم إلى خمس مراحل، من الميلاد وحتى ثلاث سنوات، ومن ثلاث سنوات وحتى ست سنوات، ومن ست سنوات إلى تسع سنوات، ومن تسع سنوات إلى اثنتي عشرة سنة، ومن اثنتي عشرة سنة إلى خمس عشرة سنة من العمر، ولكل فئة ومرحلة خصائصها المميزة، راجع في ذلك، د.هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٨٦، ص ١٢، وأيضا، أحمد نجيب، اتجاهات معاصرة في كتب الأطفال، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية، ١٩٧٩ ، ص ٢٥ و٢٦ وأيضا، اسماعيل عبدالفتاح، القيم السياسية المتضمنة في كتب الأطفال، القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة، ١٩٨٧م ، ص ١٤٨٨–١٥٠.

٢) راجع: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الأدب الإسلامي: المنهج والوظيفة، كتاب بحوث في ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة بالرياض في ١٦/٧/١٤٠٥هـ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ١٤٠٩هـ ص٨.

٣) د. محمد مصطفى هدارة، الالتزام في الأدب الإسلامي، الكتاب السابق، ص ١٩و٢٠.

٤) راجع: د.عبدالرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٦٢.

٥) المرجع السابق، راجع ص ١١٦–١١٨.

٦) راجع: أحمد نجيب، القصة في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص ٣٦، ويؤكد الكاتب أن العناية بأدب الأطفال دليل حضاري، ولقد أصبحت النظرة إلى أدب الأطفال وكتب الأطفال وقصصهم وثقافتهم والاهتمام بها، تعد مؤشراً مهماً لتقدم الأمة ورقيها، وعاملا جوهريا في بناء مستقبلها.

٧) راجع المرجع السابق، ص ١١و١٢، ص ص ٣٧–٤١، ص٤٤و٤٥، وراجع أيضا، عبدالتواب يوسف، تجربتي الخاصة مع لغة الطفل، الحلقة الدراسية الاقليمية حول لغة الكتابة للأطفال، القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٨١م، ص٧٢.

والحديث عن أدب الأطفال حديث طويل، فأدب الأطفال، كالأدب العام، مرآة للمجتمع، ويعكس للطفل وجهة نظر المجتمع في الفترة التي كتب فيها، وهو أدب يتطور بتطور المجتمع، ويتغير بتغير وجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فيه، فالطفل في حاجة شديدة لكل المجالات الأدبية ليتعلم عن طريقها ما يحتاج إليه من خلال القصة والمسرحية وكتب المعلومات والكتب الدينية، فهو يحتاج إلى الخيال كما يحتاج إلى الحقيقة، راجع في ذلك د/ مهجة كامل درويش، القصة في أدب الأطفال، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٨٦، ص٤٢.

٨) رغم عدم فرض الصلاة إلا على البالغين، فقد أوصانا رسول الله ﷺ بتعليم الأطفال الصلاة في سن السابعة، وضربهم عليها في سن العاشرة، وهذا يدل على استحباب تعليم الطفل أمور دينه في عمر دخوله المدرسة، بل جاء حديث النبي عليه الصلاة والسلام بصيغة الأمر، حيث قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه الحاكم وأبوداود.

٩) راجع أميمة جادو، البرامج التربوية للطفل، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، رقم ٥٤٧. ١٩٨٩م، ص ٩٨و٩٩.

١٠) روى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان»، وسر التأذين والإقامة كما ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه تحفة المودود: (ان يكون أول ما يقرع سمع الطفل كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره بها وإن لم يشعر). راجع في ذلك، عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة، دار السلام، ط١٧، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ، ج١، ص ٧٦ ومابعدها.

١١) راجع ، أميمة جادو، البرامج التربوية للطفل، مرجع سابق، ص ١٠٠–١٠١، وأيضاً، راجع الدراسة التي أعدها د/ اسماعيل عبدالفتاح تحت عنوان: تطوير كتب الأطفال العربية، رؤية بحثية وتجربة ذاتية، الرياض، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد الخامس والأربعون، السنة الثالثة عشرة، ١٩٣٣م/ ١٤١٣هـ، ص ٨١–١٠٦، وراجع أيضاً: د/ نجيب اسكندر وآخرون: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٦٣م، ص ٢٣ ومابعدها.



قدّم المقال السابق للإجابة على السؤال: كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس، والأمراض المفضية إلى الموت الناتجة عن الزنا والفاحشة كالسيدا «الأيدز»، أو قضايا التمييز العنصري، والخطر النووي، وعواقب الصناعات الكيمياوية على الإنسان والطبيعة؟ وفي هذا القسم الأخير ينقد الكاتب تناول الصحافة الغربية لأخبار الجريمة مبينا تصوّره لدور الإعلام الإسلامي وكيفية معالجته للجرائم المذكورة.

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس؟ ٢/٢

بقلم: نور الدين بليبل

أخبار الجنس

إن الصحف الغربية وفي مقدمتها الصحف الشعبية، و«التلفاز»، دأبت على معالجة أخبار الجنس بطريقة تفتقر إلى الحشمة والعفة، وإن اللقطات المصورة للعلاقات الجنسية تكاد لاتخلو من أي إنتاج بصري. هذا الإنتاج الذي تفنن أصحابه في أساليب الإغراء والاحتواء ونشر الضلالات الجنسية على نطاق واسع، كما شجعوا الممارسات غير الشرعية خارج أطرها السليمة والشرعية.

فالسلاح المخيف في أيدي الأعداء «أعداء الإسلام» ليس القنابل الذرية والأسلحة النارية، إنما هو نشر الضلالات الجنسية والأمراض الفتاكة المنتقلة بالجنس وجعل وسائل الإعلام مسخرة لنشر الفساد وتحطيم الإيمان من أجل القضاء على الشعوب(١).

لقد أصبحت أخبار الجنس من المواد الإعلامية التي تستخدمها بكثافة بعض الوسائل من أجل زيادة حجم مبيعاتها من جهة، ومن أجل صرف الناس عن الفضيلة والعفة ودفعهم إلى تحرير غرائزهم الجنسية من كل المقومات.

المنهج الإسلامي في عرض أخبار الجنس

إن طريقة عرض أخبار وقصص الجنس في بعض الإعلام الغربي، هي في نهاية المطاف دعوة إلى إشاعة الفاحشة والانحلال وتدريب الناس على فنونها. بيد أن الله تعالى قد حذر كل من يقوم بذلك بقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور/١٩].

- ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ [الأعراف/٢٨].
- ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأنعام/١٥١].
- «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف/٣٣].
- ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» [آل عمران/١٣٥].

بالنسبة للإعلام الإسلامي، فالنموذج الغربي مرفوض بتاتا كما يمثل حماقة من

حماقات هذا الإعلام التي لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى. وإن قدوة الإعلام الإسلامي في هذا المجال هو أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد بن حسين الزير: «إن المنهج الإسلامي في القصة يتسم باستعمال الألفاظ والعبارات العفيفة عند عرض موقف الفاحشة، ولحظات الجنس، واستعمال الكنايات المناسبة، وتفضيلها على العبارات الصريحة المكشوفة، وقد نجحت القصة في هذا على الرغم مما في موضوعات الجنس من حرج شديد، واستطاعت أن تفي بالغرض الموضوعي والفني من خلال وسيلة رفيعة، كما نجد مثلا في قصة «الكفل» مثل هذه العبارة: «.على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته.» وكذلك في قصة «الرجل والمرأة» حيث يقول الرجل وهو يراود المرأة عن نفسها. «لا والله ما هو دون نفسك» وقوله وهو يصف حالة معها «فلما تكتشفها» ونجد هذه العفة في العبارة في قول المرأة نفسها وهي تخاطب الرجل حول هذا الموقف الجنسي «اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه».

وهذا اتجاه اقتفت فيه القصة أثر القرآن الكريم في عرض مثل هذه المواقف عن طريق العبارات العفيفة والألفاظ السامية، كما نجد في قصة يوسف - عليه السلام - فقد قال الله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالتْ هيت لك﴾ [يوسف/٢٣]، وقال تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [يوسف/٢٤]، وقال تعالى: ﴿قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم. قال هي راودتني عن نفسي﴾ [يوسف/٢٥و٢٦].

ومثل هذه الطريقة نجدها أيضا في قصة لوط - عليه السلام - التي تعرض لموقف اللواط، وهو موضوع شديد الفحش والنكر، ولكن الفن الرفيع في القرآن الكريم استطاع أن يتناول هذا الموضوع من خلال لفظ رفيع كريم يفيض بالعفة والسمو ويبعث على النزوع إلى الفضيلة: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ [النمل/٥٤و٥٥].

- ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾ [العنكبوت/٢٨و٢٩].

والقصة القرآنية أو النبوية لا تتجه إلى وصف المشاعر الجنسية المشبوبة التي ربما سيطرت على الإنسان في مثل تلك اللحظات، كما أنها تهمل أيضا وصف محاسن المرأة، وتصوير مفاتنها، وما هي عليه من إغراء، يثير تلذذ المتابع للقصة بمشاهد الجنس المنحرفة.

كما أن منهج القصة في تناول مثل هذه الموضوعات من عدم الوقوف الطويل عند مواقف الضعف والهبوط، إنه يمر بها سريعا ولا يركز عليها، أو يسلط عليها الأضواء، لأنها لا تستحق ذلك، ولا تستأهله، وهي ليست سوى عارض من عوارض الحياة لا يلبث الإنسان أن يفيق منه، ويستعلي عليه.

يقول الدكتور محمد فريد محمود عزت: «على الصحافة «النظيفة» أن تأخذ على عاتقها محاربة أي تهوين من شأن روابط الأسرة، وأي تهوين للأساس الذي تقوم عليه لإحلال الهوى المتقلب والنزوة العارضة، والشهورة الجامحة محله، وتؤكد أنها محاولة آثمة تقوم بها صحافة الفضائح والجنس، لتحطيم المجتمع وهدم الأساس الذي يقوم عليه، بإشاعة الفوضى والفاحشة والانحلال فيه. وتبين مدى عظمة الجريمة التي تزاولها الأقلام الدنسة الرخيصة في تلك الصحافة الخبيثة المسخرة لتوهين روابط الأسرة وتشويه الرباط الزوجي وتحقيره، للإعلاء من شأن الارتباطات القائمة على الهوى المتقلب، والعاطفة الهائجة، والنزوة الجامحة. يقول الله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المؤمنون/٥-٧].

ويستطرد قائلا: «ومن واجب الصحافة «النظيفة» أيضا أن تبرز وتؤكد فيما تقدمه من قصص الجنس الإخبارية، أن الجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية، وأن مقياس الرقي البشري هو تحكم الإرادة الإنسانية، وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة والقرآن هنا يحدد المواضيع النظيفة التي يحل للرجل أن يودعها بذور الحياة: الزوجات وملك اليمين، ومن يبتغي وراء ذلك فقد تعد الدائرة المباحة ووقع في المحرمات واعتدى على الأعراض التي لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد. يقول الله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [الإسراء/٣٢].

ويقول أيضا: يمكن للصحافة «النظيفة» أن تنشر القصص الإخبارية الجنسية إذا كانت هذه الموضوعات معروضة على المحاكم، وفيها زوايا إنسانية هامة، فهنا يمكن للصحيفة أن تعالج القصة من هذا الجانب الهام، وبالأسلوب العف النظيف الذي لا يخدش الحياء، من غير دخول في تفصيل أو نشر ما لا يجوز نشره من تفصيلات جنسية».

إن دور الإعلام الإسلامي هنا، لايجب ألا يقتصر فقط على المعالجة لأخبار الجنس، بل أن يغوص بعيدا للتنقيب عن الأسباب الكامنة وراء استفحال هذه الظاهرة الخبيثة.

وفي هذا السياق يثير الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي الانتباه إلى غياب الحلول ذات المنظور الإسلامي إلى مسألة العلاقات الجنسية بقوله «. وإذا عسرت الاتصال الجنسي الحلال في الوقت الذي تقول فيه بحرمة الزنا فأنت تتيح للكبت والتزوير والشذوذ طرائق ممهدة. والناظر إلى العلاقات الجنسية في عصرنا يرى أن المسلمين لم يضعوا لها أي حل. هم يقررون أن الزنا حرام.

بيد أنهم رسموا تقاليد للزواج تجعله مستحيلا، إلا بعد بضعة عشر عاما على نضج الغريزة الجنسية، فكيف يقضي

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس؟

الشباب هذه الفترة»؟

ويوجه الشيخ محمد الغزالي انتقادا شديد اللهجة إلى الكيفية التي تعالج بها وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية مثل هذه الآفات الفتاكة ويقول في هذا الصدد: «والواقع أن عمل الدين في علاج هذا الفساد العريض إذا كان دقائق من الوعظ في محطة الإذاعة أو حصصا من الدروس التافهة يُلَقّنُها التلامذة كارهين، فإنه عمل لا طائل منه.

بل إن هذا الصوت الطيب - لو قدرنا أنه خلص واستقام - سيعتبر نشازا وسط الضجة الهائلة المتواصلة.. وستعتبر الصحائف القليلة التي تخدم الإسلام والتي يقرؤها نفر محدود من المتعلقين به لونا من التفكير الضيق يحيا اليوم ليموت غدا، ويموت معه الآخذون به..

ويؤكد حقيقة هامة عندما يقول: إن الأمراض النفسية التي تصحب هذا التحلل أسرع فتكا بنا من الغربيين أنفسهم فإن انتشار الشهوات في الغرب بعد ازدهار الحضارة والمعرفة، وبعد أن نال الفرد حظوظا كبيرة من الفهم لمصلحته ومصلحة أمته.

فهم يقبلون على العمل وعلى اللهو معاً.

ويبنون المصنع الفذ والمسرح العابث، ويقسّمون أوقاتهم على هذا وذاك بحكمة أو نزق.

أما نحن فقد اندفعنا إلى تقليد الغرب في ناحيته الماجنة قبل ناحيته الجادة، فلما سرت في بلادنا جراثيم الفسق لم تجد مناعة تكسر ضراوتها، فكان هذا الفساد العريض.

والإعلام الإسلامي يجب عليه أن يعمل على جبهتين:

أولا: من أجل كشف مخاطر الممارسات الجنسية غير الشرعية والتنبيه إلى أجر إتيان الشهوة في محلها. فقد روى أن أصحاب النبي صلى الله عليه سلم قالوا له: يارسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور «أي أخذ أصحاب الأمور والثروة الثواب بصدقاتهم وزكاتهم». يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم، قال: «أو ليس قد جعل لكم ما تَصّدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة»، قالوا: يارسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟

قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟» قالوا: بلى.

قال: «فكذلك إذا وطئها في الحلال كان له أجر».

ثانيا: دعوة أولي الأمر إلى الاهتمام والتكفل الجسدي بهذه الموضوعات وذلك بتوفير كل الوسائل التي من شأنها الحد من تنامي آفة الزنا في المجتمع - وفي مقدمتها توفير سبل صيانة الأسرة وحفظ تماسك أفرادها وتكافلهم.

أخبار الإفساد

الإفساد في الأرض يأخذ عدة أشكال «التلوث، الاعتداء على النسل. تدمير البيئة»، ويؤثر على الإنسان والطبيعة والكون، وقد حذر الله عز وجل الناس في عدة آيات من الإفاسد في الأرض، لما لهذا الأمر من عواقب وخيمة على كل ما يدب على الأرض.

- ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتّلو﴾ [المائدة/ ٣٣].

- ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المسفدون ولكن لايشعرون﴾ [البقرة/ ١١و١٢].

- ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة/ ٢٠٥].

- ﴿إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ [الكهف/ ٩٤].

تذكر التفاسير أن مأجوج اسم لقبيلة همجية من المغول، ومثلها قبيلة يأجوج، وهما من أصل واحد من التتر المخربين وكانتا تسكنان في الجزء الشمالي من قارة آسيا.

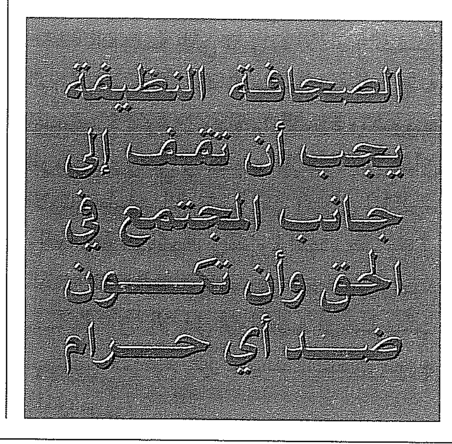
في الوقت الحاضر حيث تتطور الحياة بوتيرات سريعة الفروع الصناعية ترافق هذه العملية زيادات في قذف فضلات ونفايات مختلف الصناعات إلى الجو والأنهار والبحيرات، الأمر الذي يؤثر بصورة مضرة مهلكة على البيئة والوسط الطبيعي. ونتيجة لذلك انحسرت مياه كثير من الأنهار والبحيرات، وانقرض بعض أنواع الحيوانات، والأسماك والطيور وتقلصت المساحات المغطاة بالغابات والله تعالى يلزمنا بتقدير الطبيعة ورعايتها.

ويشير باحث مسلم من جمهورية: «أوزبكستان بأن النبي محمد ﷺ. قد أعار اهتماما كبيرا إلى حماية البيئة، وأنه عاقب أولئك الذين قطعوا النباتات والأشجار في المدينة المنورة.

أما اليوم، وبعدما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وأصبح احتمال تعرض البشرية إلى عملية الدمار الشامل من جراء تطوير الأسلحة النووية والبيولوجية الفتاكة، فعلى الإعلام ألا يقف مكتوف الأيدي وألا يغض الطرف عن هذه الضروب من الإفساد، وأن ينبه على الدوام للمخاطر الحقيقية الكامنة وراء سباق التسلح وللآثار المدمرة لعدد من المصانع، ولأنماط استغلال الثروات الطبيعية السطحية والباطنية.

ومن الحقائق التي تثير الحزن والألم أن الكثير من دول العالم الثالث قد لوثت بيئاتها بسبب هذا التعجل في التصنيع. وقد تجاهلت تلك الدول لسنوات طويلة ذلك الثمن الباهظ الذي تدفعه في شكل معاناة إنسانية ووفيات نتيجة للملوثات الصناعية والعوامل المسببة للسرطان(٢).

وثمة تطور آخر ذو صلة بهذا الموضوع ويستحق أن يكون موضوعا للتحقيقات الانتقادية العنيفة، وهو دفن النفايات

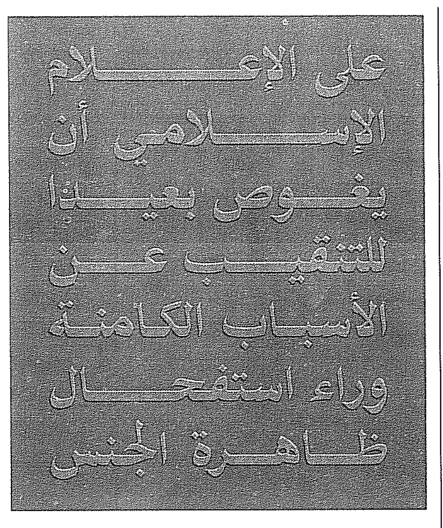


الإشعاعية والكيماوية الخطيرة في بلاد العالم الثالث. ذلك أن الدول المتقدمة أغرت بعض بلاد العالم الثالث الفقيرة على أن تحيل أراضيها إلى «مقلب» لنفايات التلوث الخطيرة. وهو التلوث الناجم عن النفايات التي تشحنها إليها الدول المتقدمة(٢).

وبما أن دولا فقيرة كثيرة تسعى إلى إيجاد حلول آنية حتى وإن تطلب الأمر مقايضة استقبال النفايات ودفنها في أراضيها بكمية زهيدة من الأموال أو السلع، التي هي في نهاية المطاف صفقة عار. ومن أجل ذلك يجب على الصحافة كشف هذا النوع من الإفساد وإطلاع الرأي العام عليه، بل توعيته وتجنيده لمنع هذا الصنف من المقايضات، وكذلك تجريم من يقدم على مثل هذه الجرائم.

وثمة اقتراح آخر لصحفي التحقيقات وهو أن يضع نصب عينيه دائما أنه ينبغي عليه أن يحكي القصة بتعبيرات إنسانية لأننا لانستطيع أن نفهم المجردات. ونحن في حاجة إلى تجسيد الناس في حياتهم اليومية. كما أننا في حاجة إلى رواية ما يربطنا بآمالهم الإنسانية وآلامهم. والسير الشخصية، والحكايات والمقابلات الصحفية والقصص التي يرويها الناس بأنفسهم كلها وسائل مؤثرة تضمن القابلية للقراءة وتضيف معنى للقصص الإخبارية التي نكتبها. بل إن أعقد القصص يجب روايتها بأسلوب بسيط إذا أردنا أن نحقق من ورائها أثرا أو نتيجة، وجهدنا الكبير الذي نبذله في التحقيقات الصحفية هو جهد ضائع إذا لم يكن بوسع القارىء أن يفهم ما نقول(٢).

لذلك ينبغي على الإعلام الإسلامي أن يوجه جزءا وافيا من اهتماماته لموضوعات الإفساد التي تغزو الكرة الأرضية على نطاق واسع ومدمر ويجب عليه أن يبذل جهودا كبيرة ومتواصلة لنشر الوعي بين الناس بأهمية المحافظة على البيئة، وبالأخص كيفية إسهامهم بأنفسهم في ذلك، وكذلك أن يبسط الحقائق العلمية المرتبطة بذلك كما يجب عليه ألا يقدم نصائح عامة، وإنما أن يقدم حلولا عملية ملائمة قابلة للتنفيذ، دون أن يهمل تنظيم الحملات الإعلامية لتذكير الناس على الدوام بمخاطر إهمال



حماية البيئة، وفي هذا السياق يمكننا أن نشير إلى موضوعات تصلح للمعالجة الإعلامية التلوث الجوي - صناعة مبيدات الآفات والحشرات، صناعة مواد التجميل - شحن المواد الخطيرة - تلوث المياه - الاستغلال الأعمى للغابات - رمي النفايات بشتى أنواعها.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من الضروري أن يحصل الصحفي المعالج لتلك الموضوعات على تكوين علمي محض، لكن يجب عليه في كل عمل أن يستنجد بذوي الاختصاصات وبدعم الهيئات والمؤسسات المعنية، علاوة على الرصد الحي لواقع الناس في ظل هذه الوضعيات المحرجة.

يستعرض الصحفي محمود عبدالعزيز في (جريدة الأهرام) الخطوات العملية لإجراء تحقيق حول التلوث في القاهرة قائلا: «قد يكون التحقيق الصحفي وسيلة ملائمة لمعالجة قضايا البيئة، كما فعلت أنا شخصيا عندما كتبت تحقيقا صحفيا حول التلوث في القاهرة، فقد كان عليّ أن أحصل من إدارة المرور على عدد السيارات والشاحنات والأوتوبيسات التي تجري في شوارع العاصمة، ويمكن للصحفي أن يعتمد على أقاربه أو أصدقائه في الحصول على المعلومات التي قد لاتكون متاحة عن طريق القنوات الرسمية طول الوقت. وكان عليّ بعد ذلك أن أحصل على التحليل الكيميائي لنوعية الهواء من معمل بحوث التلوث الجوي بالمركز القومي للبحوث. كما حصلت من وزارة البترول على معلومات عن كمية الوقود التي تم استهلاكها في ذلك العام. ثم كان عليّ أن أتصل بإدارة الصحة العامة والصناعة بكلية الطب بجامعة القاهرة لأحصل على معلومات بشأن تأثير العناصر المختلفة للغازات المنطلقة من عوادم السيارات وتشمل الرصاص والهيدروكربونات وغيرها».

«وكان عليّ بعد ذلك كله أن أذهب إلى هيئة الأرصاد الجوية لأضيف إلى التحقيق أحوال الطقس وكيف يؤثر على كمية التلوث في القاهرة. وكان عليّ أيضا أن أحصل على صورة متعلقة بالموضوع، وأن أقرأ عن التلوث الجوي في المجلات والتقارير العلمية».

دون شك فإن الوضعية التي ستكون عليها مستقبلا البيئة والموارد الطبيعية والموارد الطبيعية ستعرض مصير البشر إلى خطر حقيقي ولا سيما أمام «استهلاك الموارد والمساحات دون ضابط ولإنتاج النفايات التي لم تعد البيئة الطبيعية قادرة على استيعابها دون أن تتأثر بها تأثرا عميقا.

ونضوب أو نقص بعض الموارد غير المتجددة والضرورية للأنشطة البشرية، والأضرار التي تتهدد موازين المحيط الحيوي، والتصحر وتدهور التربة وملوحتها. وإزالة الغابات التي من شأنها أن تعرض حياة الناس والحيوانات والبيئة إلى أخطار ذات عواقب وخيمة.

إن هذه الموضوعات وغيرها، بإمكان الإعلام الإسلامي أن يعالجها بكيفية أصيلة تسمح ببلورة موقف ونظرة الإسلام إليها، والأهم في كل ذلك هو اقتراح الحلول الملائمة لها وفق ما ينص عليه ديننا الحنيف□

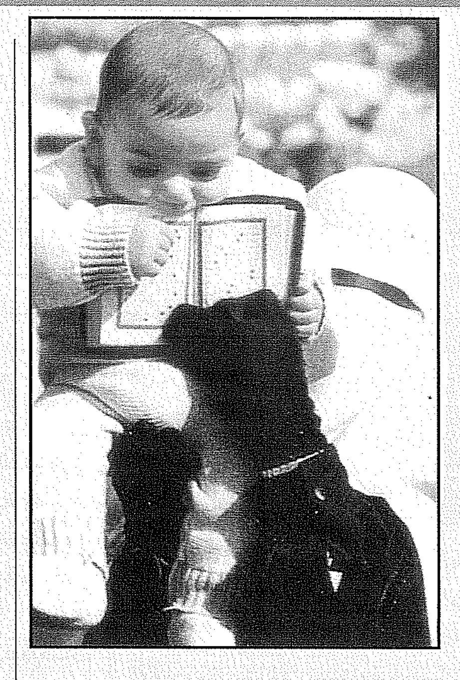
الهوامش :

---

(١) د. محي الدين طالوا العلي، الإيدز والأمراض الجنسية، نشر دار ابن كثير دمشق، بيروت، ١٩٨٩م.

(٢) آل هيستر «إشراف»، دليل الصحفي في العالم الثالث، الدار الدولية للنشر، القاهرة.

وأول امرأة دبت على وجه الارض أمنا حواء عليها وعلى زوجها آدم السلام، وقد ذكرها القرآن الكريم بلفظ الزوج في خمس آيات، هي قوله تعالى: ﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة/٣٥]، ﴿ياإيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [النساء/١]، ﴿ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة﴾ [الاعراف/١٩]، ﴿فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ [طه/١١٧]، ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ [الزمر/٦]، ..



حـــواء

أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية

بقلم:
خالد سيد علي بلاسي

شريكة آدم

وإذا مارجعنا إلى المصحف الشريف، وتأملناه وجدنا أن ثلاثا منها وردت في اثناء الحديث عن قصة زوجها، سيدنا آدم عليه السلام بوصفها شريكته في الحياة (البقرة، الأعراف، طه) وأن اثنتين وردتا في موضعين آخرين لاغراض اخرى سامية شريفة (النساء، الزمر) ومن مجموع تلك الآيات الخمس مايمكن استخلاصه من دلائل تشهد بإعجاز القرآن الكريم وأنه نمط فريد من النسيج البياني، فحديثه عنها رغم وجازته وتفرقه في خمس سور فهو مشع باللطائف الهادفة ومضيء بالمعاني المشرقة، ذلك ان الخصائص التركيبية الوارد عليها تشير إلى هذه اللطائف وتلك المعاني، وهذا أمر لايتجلى إلا من خلال تحليل النظم القرآني تحليلا جماليا يكشف عن مكنوناته وماستودع من ومضات هي أثر من آثار بلاغته البليغة.

يبين ذلك جليا إذا نظرنا إلى القرآن الكريم وقد اطلق على امنا وصف (الزوج) ثم علمنا ان هذا الوصف يفيد في أثناء قصة زوجها آدم عليه السلام غير مايفيد في آية النساء، وفي الاثنتين غير مايؤديه في آية الزمر.

بيان ذلك ان اللفظة في سياق قصة زوجها عليه السلام تؤصل لنعمة المرأة في المجتمع البشري، وانه بها ومعها يكون السكن والسكينة ولكن بشرط ان تكون كما نعتها القرآن (زوجا) لاشيئا آخر.

ولعل هذا يستنبط من خصائص التركيب القرآني: ﴿اسكن انت وزوجك الجنة﴾ توضيح ذلك ان الامر بالسكنى في النظم الكريم موجه إلى آدم عليه السلام ﴿اسكن انت﴾ كما انه موجه كذلك إلى زوجته اذ المعنى: (اسكن انت ولتسكن معك زوجك كذلك)، ولكن القرآن الكريم لم يكرر الفعل مرة اخرى ليتعلق بزوجته وانما عدل عن ذلك ومثله إلى قوله: ﴿اسكن انت وزوجك﴾ للدلالة على ان السكنى الحقة للرجل لاتتم إلا في وجود المرأة، وليست أي امرأة، ولكنها زوجة.

هنا تكون الزوجة تبعاله، أو قل نصفه الآخر أو قل إنهما يمثلان (الشركة) المرادة من خلافة البشر على وجه الارض.

ومن هنا جمع القرآن بين آدم وزوجه بالعطف بالواو إشارة الى هذا التلاحم المقصود ولم يكرر الفعل ليتعلق به مرة وبزوجه أخرى.

فهو بمفرده لايكون سكنه سكنا، وهى بمفردها لايكون سكنها سكنا، وانما هما معا يكونان المجموع الذي يكون به السكن ومعه السكنى.

الزوج لغة وواقعا

وبذلك فهي لاتحتاج إلى فعل مستقل (بالسكنى) لانها تسكن معه وبه، وهو يسكن معها وبها.. فالفعل الواحد شملهما على هذا الوجه من الاحتياج الفطري بعضهما الى بعض. وعدم تحقق معنى السكن والسكنى والسكينة إلا

بهما على وجه يرضاه الله تعالى بأن تكون زوجا له: ﴿اسكن انت وزوجك﴾.

وبهذا يتضح سر وصف القرآن الكريم لأمنا حواء (زوج) دون النص على اسمها صراحة. ثم هو فضلا عما فصلت يشير إلى انه امر لاغنى عنه لا لآدم ولابنيه، ولو نص القرآن عليه لجاز ان ينسحب الفهم الى اختصاص هذا الحكم بآدم عليه السلام.

وكما أفاد الوصف هذه المعاني حين وقع في حيز السكنى فانه يفيد التعاون الجاد – خلال السكنى – ضد العدو الاول والأخير للبشرية حين يقع في حيز عدواة اللعين: ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ [طه/١١٧].

وهنا تهنأ النفوس ويكون السكن الحق. ولهذا عطفها القرآن كما عطفها في فعل السكنى: ﴿عدو لك ولزوجك﴾، ولم يفرد عدواة خاصة بها وعداوة لزوجها. اذ هما بالانصهار المشار اليه شيء واحد يقصدهما اللعين مجتمعين وبتعاونهما معا يندحر الشيطان وتهنأ معيشتهما، اما مجاهدة احدهما دون الآخر فلا تكفي، وتلك من لطائف القرآن الكريم الهادفة الى تعميق معنى الانصهار بين الزوجين ثم القيام التام من جانب كل منهما بواجبه الأوفى.

ويؤيده وقوع ضميريهما هدفا للعين: ﴿فلايخرجنكما من

حفل القرآن الكريم بالحديث عن المرأة عموما وعن شخصيات نسائية على وجه الخصوص ذلك لأنها المتمم للرجل فبدونها لاتكون الحياة، سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا..

الجنة﴾ ولم يقل فلايخرجنك اي (آدم) فقط..

ومعلوم انه بعد الخروج من الجنة كان شقاء السعي في الحياة متعلقا بالرجل دون المرأة، ولذا قال القرآن ﴿فتشقى﴾ أي انت يا آدم، ولم يقل: فتشقيا، اذ هي ملكة المملكة، عليها تربية الأولاد، وتخريج الرجال وإسعاد البيت اما انت – ياصاحب العضلات المفتولة – فعليك السعى والجد والبحث عن الرزق وهذا مايجب ان يكون.

اقتراح لتخصص نسائي

وان كنت أبادر فاذكر ان مهنتين اثنتين لاثالث لهما يجب ان يتخصص فيهما بعض نسائنا على وجه الالزام:

١) التطبيب: نساء وتوليد وتمريض النساء.

٢) تعليم بنات المسلمين في جميع المراحل..

ويلحق بهما كل مايتعلق بأمور النساء التي لايحق للرجل التدخل فيها، كتفتيش المسافرات، وحياكة ملابس النساء.. الخ.

كل ذلك بشرط الا يعوق العمل عن تأدية وظيفتها الأصلية المنوطة بها، وعلى المسؤولين مراعاة ذلك وتهيئة المناخ المناسب للجمع بين المهنتين السابقتين والوظيفة الأصلية.

هذا، وفي حالة العوز الشديد وعدم وجود من يعول يسمح للمرأة بالعمل الشريف في حدود تعاليم الإسلام.

نعود إلى وصف أمنا (حواء) فنتذكر ان المعاني التي فصلتها كانت وليدة خصائص التركيب القرآني في سياق قصة زوجها عليه السلام، فإذا ما انتقلنا إلى آية النساء وجدنا الوصف وقد اغلق بفعل الخلق: ﴿خلق منها زوجها﴾ مراعاة لمقام الآية في سورتها، ذلك ان السورة لما كانت تؤسس – ضمن ماتؤسس – لأحكام وتشريعات تتعلق بالشؤون الداخلية لأفراد المجتمع المسلم نحو الروابط الأسرية كالزواج والميراث والروابط الاجتماعية الاخرى كرعاية اليتيم وصلة الأرحام، لما كانت تؤسس لذلك فقد ناسب ان يكون الوصف هنا متعلقا بالحديث عن النواة الأولى لمجموع هؤلاء الأفراد وتلك الأسر: الزوجين. فجاء حديث القرآن عن تلك النواة: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هي نفس آدم عليه السلام ثم جاء قوله ﴿وخلق منها زوجها﴾ وهى (حواء) زوجه ليكون بعد ذلك قوله: ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾. ثم تتوالى الأحكام.

فورود الوصف هنا في حيز الخلق تمهيد وتوطئة لما ستقرره الآيات بعد من احكام، فالوصف بهذه المثابة قاعدة يرتكز عليها النظام القرآني ثم ينطلق منها نحو إرساء القوانين والتشريعات المتعلقة بأبناء هذين المخلوقين (آدم، حواء) وإلا فعلام تبنى هذه الأحكام إن لم يسبقها حديث عن خلق اصل هذه الذرية؟ فكان الوصف متعلقا بعملية الخلق: ﴿وخلق منها زوجها﴾.

الضلع الأيسر

وقد خلقت (حواء) بطريق الانشاء من المادة، أعني من الضلع الايسر لآدم عليه السلام كما جاء عن النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع اعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل أعوج» [رواه الشيخان]. وفي خلق

حـواء أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية

(حـواء) على هـــذا النحــو دلالة على عظيم قــدرة الله تعالى خلقت (آدم) من غير أب ولا أم وجاءمن غير أم وعيسى عليه السلام من غير أب.. وبذلك يكون خلق حــواء إيجاد حي من حي لاعلى سبيل التوالـد. تماما كـا يخلق جل شأنـه الحي من الجماد.

كما أن طريقة الخلق هذه إشارة إلى ماتحدثه الفطرة من ميول الـذكر إلى الأنثى والعكس، ذلك ان الــرجل يميل إلى جــزئه (الضلع) والأنثى تميل إلى مجموعها الذي اخذت منــه (الرجل) وهــذا ماتـوحي به اللفظة (زوج) حين تقع في محيط السكنى كـــا سبق ان اوضحت في الآيات الــواقع فيها وصف (حواء) متعلقا بالفعل ﴿اسكن﴾.

ونأتي الى آيـة (الــزمــر) لنجد الوصف فيها متعلقا (بـالجعل) قـال تعــالى: ﴿خلقكم من نفس واحــدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعــام ثمانيــة أزواج يخلقكم في بطـــون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إلـه إلا هو فـأنى تصرفـــــــون﴾ [الزمر/ ٦].

والسياق تعديـد لآيات الله البـاهـرة بغرض توبيخ المشركين على اتخاذ أنـداد يقربونهم إلى الله زلفى، إذ كيف يحدث ذلك في حق من أنعـم عليهم بـــالنعـم السالفة؟

فإذا مـاعلمنـــا ان هــذه النعم وردت في سيــــاق السورة بعد نعم اخرى هى خلق السمـوات والارض، وتكـوير الليل على النهـار، والعكس، وتسخير الشمس والقمر..

إذا علمنا ذلك تبين لنا أن النظم القـرآني في معـرض التـدرج في معــارج النعم الـدالـة على عظيم القـدرة والمشيرة الى الـوحـدانيـة، ومن هنا تعلق وصف أمنا (حـواء) بالجعل المسبـوق بـأداة التراخي ﴿ثــم﴾ تجسيـدا لهذا المعنى، ذلك ان خلقها لما كان ايجاد حي من حي لاعلى سبيل التوالد وكـان المقام لا لمجـرد الإخبـار ولكـن للترقي في بـــاب الاستــدلال على وحـدانيـة الله تعـالى والامتنــــان على عبـــاده والتذكير بنعمه، عساهم ان يـرتـدعوا وينـزجـروا. و استخـدام القـرآن أداة التراخي ﴿ثـم﴾ ليفيـــد الترقي في الــرتبــة، اذ أن إيجاد الحي من الحي مـن غير تـوالــد اعظم واجلب للتعجب وهـذا مــاستدعى فعل الجعل المنـاسب لهذا الترقي ايضـا لما فيــه من معنى الصيرورة المرشحـة لهذا التعجـب. وذلـك مـن بديع البناء القرآني..

فـــالـوصف قــد تعلق بـــالجعل هنــا إذن لإفـادة معنى الترقي اللازم لاثبات القــــــدرة المشيرة إلى وحـدانيتـه – جل وعـلا – وهو عين المقام..

وهكـذا تعـددت اضـواء اللفظ الواحـد حسب مقام وسيــاق آيتــه وغـرض سورته، فهو في مكان يشع بغير مايشع في الآخر، وهو فيها يضيء بغير مايضيء في الاثنين ثم هــو بعــد ذلك تتكامل معانيـه وتتنـاغي دلالتـه لتكـون الصـورة الكاملة لـه عبر الدراسـة الموضــوعيــة للفظ داخل القرآن الكريم..

الشرك محال في حق آدم وحواء

وبقيت كلمـة حـول آيـة ســـادســـة غير الخمس المذكـورة في بدايـة المقال، حيث ورد فيهـــا لفـظ (الــزوج) وظنــه بعض العلماء مرادا به أمنـا حواء تلك هى قـولـه تعـالى في سورة الأعراف: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحـدة وجعل منها زوجها ليسكن إليهـا فلما تغشاهـا حملت حملا خفيفا فمـرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنـا صالحا لنكونن من الشـاكـرين. فلما آتـاهما صـالحا جعلا لـه شركـاء فيما آتاهم فتعـالى الله عما يشركـــــــون﴾ [الأعراف/ ١٨٩و ١٩٠]..

والمتأمل يدرك انها بعيدة كل البعد عـن آدم وزوجه، اذ الشرك محال في حقهما، اذن فما المراد؟ المراد – واللـــه اعلـم – ان النفس الــواحدة يقصـد بها هنـا الجنس الــواحد (البشري) ﴿خلقكـم مــن نفـس واحـــدة﴾ اي مـن جنس واحد، والجنس هذا نوعان: ذكر وأنثـى، ويكون المراد من قولـه: ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ اي أن الزوج من نفس الجنس، وذلـك حتى يسكن كل منهما إلى الآخر.

ومعلــــوم ان الجنس البشري يعتـوره الهدى والضلال، وهو حين يضل يأتي بأفعــال الشرك التي نصت الآية على شيء منها. ويسـانــد هــذا التأويل ان السياق قبل الآيـة وبعدها يعـرض لأحـوال المشركين المعاندين ومايصدر عنهم من أقـوال وأفعــال كـان الشرك من بينهــا. هــذا فضلا عما ذكرتـه قبلا من استحالة صدور الشرك من آدم وزوجه.

وبـذلك تخرج الآيـة عن دائرة أمنــا (حـواء) وتبقى الخمس الأخـريـات واردا فيهـا الـوصف بـالـزوجية، يشع في كل آيــة منهـا بما يتلاءم ومقـام سـورتها ومـلابسـات النظم فيهـا، وهـو في جميعهـا تجسيـد حي لمعــاني الطهـــر والعفاف، ودعوة ناطقة إلى اتباع هدى القرآن الكريم.. ثم هو بعد ذلك برهان جلي على إعجاز الكتاب المبين□

جعل الله تعالى المرأة والرجل عنصرين متكاملين، ولن تجد لسنة الله تبديلا

تجديد الفكر الإسلامي محمد عبده ومدرسته

تجديد الفكر الإسلامي محمد عبده ومدرسته

المؤلف للدكتور: محمد عمارة
عرض وتقديم شحادة مطر

أما مؤلف الكتاب فهو الدكتور محمد عمارة، وهو غني عن التعريف، فدراساته في ميدان الدراسات الإسلامية فكرا وتاريخا معروفة، وقد أثرى المكتبة الإسلامية بعدد من الدراسات القيمة، لعل في طليعتها الاعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ولغيرهما من مفكري الإسلام، بالإضافة إلى عشرات المقالات التي نشرها في المجلات العربية.

التمهيد

يمهد المؤلف لموضوع الكتاب بشرح الفرق بين مصطلحات التجديد والتغيير والتطور، فالتغيير والتطور لا يستلزمان ارتباط الجديد بالقديم، وإذا ما وجد هذا الارتباط، فوجوده بلا ضابط أو قانون، أما التجديد، فإنه يعني إزالة ما طرأ على الأصول والكليات مما يتعارض مع روحها ومقاصدها، ولما كانت الرسالة الإسلامية شاملة عامة، وكانت آخر الرسالات السماوية، فقد غدا التجديد بالنسبة إليها ضرورة حتمية وقانونا إسلاميا، وهو أمر تنفرد به كذلك دون الرسالات الأخرى، وهكذا فعلى مر العصور الإسلامية كان التجديد - كما يقول المؤلف - أمرا واردا، بل ومقصودا ومرغوبا، خاصة عندما تتراكم البدع والخرافات والزوائد، وعندما تطرح كذلك تطورات الحياة جديدا، يطلب أن تتلاءم معه الأحكام الشرعية المستنبطة من الوصايا، والكليات التي اكتفى الإسلام بتقريرها في شؤون الحياة، وذلك حتى لا يبدو الدين عاجزا عن مسايرة الحياة المتطورة دائما.

مدرسة محمد عبده التجديدية

على ضوء ما تقدم، يمكن فهم موقف مدرسة التجديد الديني والإسلام الكبير لمحمد عبده، وتميز هذا الموقف، وذلك الإسهام عن مواقف التيارات الفكرية الأخرى وإسهاماتها، لقد وقفت هذه المدرسة موقفا واضحا من التيارين اللذين كانا يقتسمان الأمة في مطلع نهضتها، وهما تيارا التغريب والجمود، وقدمت بدلا منهما الموقف الجديد، ونهجت المنهج الثالث للأزمة. ويلخص الشيخ محمد عبده المبادئ الأساسية العريضة لهذا المنهج فيما يلي:

تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم، باعثا على البحث في أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة. ومن أهم هذه المبادئ كذلك، إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير، سواء كان ذلك في المخاطبات الرسمية، أو فيما تنشره (الجرائد) على الكافة، ومن هذه المبادئ أيضا، التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة، فالحاكم - وإن وجبت طاعته - فهو من البشر الذين يخطئون، وأنه لا يرده عن خطئه إلا نصح الأمة له بالقول والفعل.

وبعد أن يعرض الدكتور محمد عمارة عرضا سريعا لنشأة محمد عبده، وسير حياته العملية والفكرية، يسهب في التعريف بجهوده في الإصلاح الديني الذي ظهر بشكل خاص من خلال صراعه مع الأفكار والمؤسسات، التي كانت تمثل تياري التغريب والجمود سالفي الذكر، وظهر كذلك من خلال نقده لما أسماه الدكتور عمارة بالمجددين النصوصيين الذين سبقوا الأفغاني بالتجديد الحقيقي عند محمد عبده، لا يقف عند حد تنقية العقيدة من البدع، بل لابد له من أن يتجاوز ذلك، ليصبح تجديدا متكاملا يستلهم العقل، ويضيف لمعطيات التراث ما يلائمها وينميها من علوم وثمرات العصر والحضارات الأخرى. يقول المؤلف واصفا مدرسة محمد عبده التجديدية:

(لقد بشرت هذه المدرسة بطريق ثالث يبني حضارة حديثة على أساس من الدين والتراث وهذا التأسيس لا يعني إهمال ما ليس من الدين والتراث. إذ لو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه، لرأيتهم وقد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين، وما قرر الأولون واكتشف الآخرون في اليد الأخرى، ذلك لآخرتهم وهذا لدنياهم ولساروا يزاحمون الأوروبيين فيزحمونهم).

أبرز معالم مدرسة التجديد

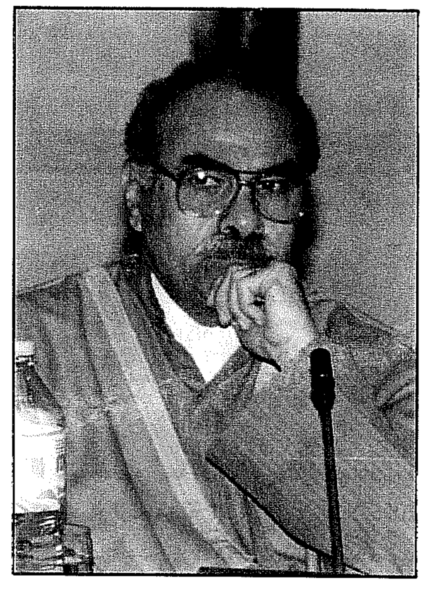
من أبرز المعالم التي تتميز بها مدرسة محمد عبده التجديدية، كما يرى الدكتور محمد عمارة في كتابه (رؤيتها للقرآن الكريم)، فنحن واجدون في هذه الرؤية -

على سبيل المثال تحديدا لمعنى الإعجاز الحقيقي في كتاب الله فهذا الإعجاز - كما يقول محمد عبده - ليس لغويا في الأساس، ولا أدبيا أو تاريخيا أو علميا، وإنما كونه كتاب دين يهدي الناس إلى المجتمع الفاضل على مر الأزمنة، برغم اختلاف الأجناس والأمكان، ونحن واجدون في هذه الرؤية، كذلك إعلاء من شأن العقل في تفسير القرآن الكريم، فهو يرى وجوب أن يطرح الذين يريدون تفسيره تفسيرا حديثا مستنيرا أن يطرحوا جانبا رؤية السابقين من المفسرين، وأن يتزودوا فقط بالأسلحة والأدوات اللغوية، وبشيء من أسباب النزول ومعلومات عن السيرة النبوية، ومعارف التاريخ الإنساني عن حياة الكون والشعوب التي يعرض لها القرآن الكريم.

فهو يعتبر أن رؤية المفسرين السابقين قد ارتبطت بالمستوى العقلي، ودرجة العلم التي بلغوها، وليس بالضرورة أن يكون عقلنا واقفا عندما بلغوه، ولا أن تقف حصيلتنا الفكرية عندما حصلوه، فالإسلام عنده دين عقلي، حتى في جوانبه الدينية، فضلا عن جوانبه الحضارية، فالعقل في الإسلام هو الميزان القسط الذي توزن به الخواطر والمدركات، ويميز بين أنواع التصورات والتصديقات، وهذا الميزان صالح للعمل في الدين والدنيا معا.

فكرة (الجامعة الإسلامية)

يعرض الدكتور محمد عمارة في جزء من كتابه لموقف محمد عبده من فكرة الجامعة الإسلامية، وكان صوت جمال الدين الأفغاني - في ذلك الوقت - هو أعلى الأصوات المنادية بها، وموقف الأستاذ الإمام منها، هو كما يقول المؤلف من المواقف الخصبة المهمة في حياته الفكرية، وهو - أي المؤلف - يعرض لهذا الموقف من خلال دراسته لفكر وآراء محمد عبده في عدد من القضايا، لعل أهمها الموقف من



● د. محمد عمارة

طبيعة السلطة في المجتمع الإسلامي.

ونلتقي في هذا الموقف بفكر واضح ومحدد قدمه الشيخ في هذا الموضوع، إذ يرفض رفضا قاطعا أن يكون الدين الإسلامي نصيرا لقيام سلطة دينية في المجتمع، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يعتقد بأن إحدى المهام التي جاء الإسلام لها، ونهض بها في المجتمع الذي ظهر فيه، والتي تعتبر أصلا من أصوله، هي قلب السلطة الدينية، واقتلاعها من جذورها.

الحكم الإسلامي؛ مدني أم ديني؟

وإذا كان الشيخ ينفي وجود سلطة دينية في الإسلام لما يمكن أن يسمى رجل دين، فإنه يمد نطاق هذا الموقف إلى السلطة السياسية في المجتمع الإسلامي، إذ يرى أن الحاكم في هذا المجتمع هو حاكم مدني من جميع الوجوه، وان اختياره وعزله إنما هما أمران خاضعان لرأي البشر، لا لحق إلهي، وتقريره لمدنية السلطة بعد ذلك لا يتنافى بحال - كما يقول الدكتور محمد عمارة - مع وجود الشرع إلى جانب الدين، فالإسلام دين وشرع، وضع حدودا، ورسم حقوقا، وقد يغلب الهوى، وتتحكم الشهوة، فيغمط الحق، ويتجاوز المعتدي الحد، ولا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام، إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجوزأن تكون فوضى في عدد كثير، فلابد أن تكون في واحد وهو السلطان، أو الخليفة، فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه.

ولقد دفع هذا الاعتقاد محمد عبده إلى القول بالطابع المدني الذي لا يفرق بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني، ويثبت المؤلف - كدليل على صحة ما يقول - بعض النصوص من مؤلفات الأستاذ الإمام، قيلت وألفت في مناسبات وأوقات مختلفة، الأمر الذي يدل على أن اعتقاده ذاك لم يكن مجرد موقف سياسي تمليه الظروف السياسية الطارئة، أو حتى الدائمة، وإنما كان موقفا فكريا اسلاميا مؤسسا على ما ذهب إليه الإسلام من وحدة الدين الإلهي، المقتضية إخاء اتباع الشرائع السماوية الذي اقتضت حكمة الله ومشيئته، أن يظلوا أمما متعددة، إذ لو شاء تعالى لجعلهم أمة واحدة، وهكذا تصبح الطائفية والشقاق الديني - كما يقول المؤلف - ردة عن الدين الصحيح، وليس مجرد ضيق أفق في عالم السياسة والسياسيين. ويضيف الدكتور عمارة قائلا:

ونحن نعتقد أن وعي الأستاذ الإمام وفقهه لهذا الموقف الإسلامي، إنما كان من أهم الإسهامات التي قدمتها مدرسة التجديد الديني في عصرنا الحديث، فذلك الإسهام الذي بدأه الأفغاني، قد سعى لسد الثغرات التي جاهد الاستعمار لينفذ منها إلى صفوف الأمة، سعى لسد هذه الثغرات بالموقف الديني والفكر الإسلامي، فقطع بذلك الطريق لا على الاستعمار فحسب، وإنما على تيار التغريب أيضا، والذي ظن أن العلمانية

كما رآهـا الغـرب، وكما تصـورتها حضارته، هي السبيل لسد هذه الثغرات.

الرد على المستشرقين

وفي ختام حديثه عن محمد عبده والجامعة الإسلامية يثبت الدكتور محمد عمارة رد محمد عبده على المستشرق الفرنسي (هانوتو)، وهو رد يوضح مفهومه لدعوة (الجامعة الإسلامية)، وهو – كما كشفت عنه الرسالة – مفهوم التضامن الإسلامي في سبيل الإصلاح الديني، والاستفادة من قيام الدولة العثمانية في دفع عجلة هذا الإصلاح إلى الأمام، أما التوحيد السياسي للمسلمين، وجمع السلطتين الزمنية والروحية في شخص واحد .. فليس في خاطر أحد – كما يقول – ان يشير إلى هذه الدعوة، فضلا عن أن يبني عليها حكما.

إذا هو خطا خطوة إلى معرفة احوالهم على ما هي عليه، فهي حركة إصلاح تتخذ من الدين سبيلا، وهذه سبيل لمريد الإصلاح في المسلمين، لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله احدا. أما السعي إلى توكيد كلمة المسلمين وهم كما هم، فلم يمر بعقل أحد منهم، ولو دعا إليه داع، . لكان أجدر به أن يرسل إلى مستشفى المجانين. ومحمد عبده يقول هذا الكلام في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

فكر (عبده) الاجتماعي

يفرد الدكتور محمد عمارة جانبا من كتابه للحديث عن فكر محمد عبده الاجتماعي، ويبدأ حديثه هذا بفتوى الأستاذ الإمام، التي جاءت ردا على سؤال توجه به إليه فرح أنطون ويدور حول مشروعية تدخل الدولة للتحكيم وإنصاف العمال. وحول ما إذا كانت الشريعة الإسلامية قد حلت هذه المشكلة حلا جميلا – كما يقول الفقهاء – وذلك عندما أوجبت على الحكومة المداخلة بين أصحاب الأعمال والعمال .. والتحكيم بينهما .. أما الفتوى التي تعد – كما يقول المؤلف – أول فتوى تقرر أن روح الإسلام ضد الفلسفة الفردية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي، فكانت مؤيدة لما جاء في رسالة فرح أنطون.

والموقف المتقدم الذي يتخذه محمد عبده في هذه الفتوى من المسألة الاجتماعية، لا يصح أن يقودنا إلى المبالغة في موقفه الفكري، فنحمله مالا يحتمل، وننسب إليه أكثر مما آمن به، فهو لم يكن – كما يقول المؤلف – اشتراكيا بمقاييس عصرنا الراهن عن الاشتراكية العلمية، كما أن الكثير من مفاهيمنا عن الطبقات وصراعاتها، وقوانين هذه الصراعات لم تكن في حسبانه، ولا في عقله عندما كان يفكر ويصدر آراءه وفتاواه، فهذه المفاهيم لم تكن قد استقرت، ولا انتشرت في المجتمع الذي كان يعيش فيه.

وإذا ماشئنا الانتقال من موقفه الاجتماعي العام الذي وقف به موقف المتعاطف مع الفقراء، المناصر للعمل الاختياري المعادي لأسلوب حياة الأغنياء المتبطلين، ولنظام الطبقات المتوارث، نقول إذا شئنا تجاوز هذا الموقف الاجتماعي العام، طلبا لتصوره المحدد لما يجب أن يزول من هذا الواقع الاجتماعي، وما يجب أن يكون، فإننا نستطيع من خلال نصوصه، أن نلتقي – كما يقول الدكتور محمد عمارة – بعدد من الأفكار المهمة والمحددة، والتي يمكن تلخيصها في أربع أفكار رئيسية هي:

١) إيمانه بالتكافل بين الأمة، وضرورة الجماعية لحياة الإنسان.

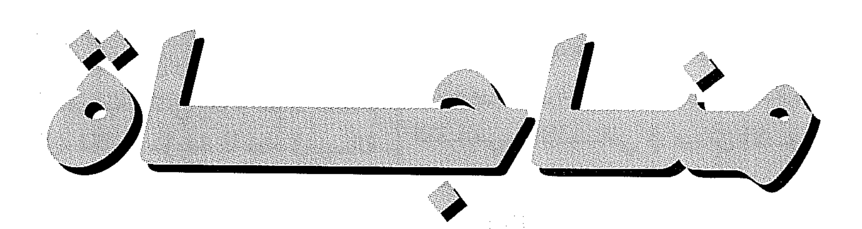
٢) اعتبار أن الظلم الاقتصادي هو أشد أنواع الظلم الذي يقع على الإنسان من أخيه الإنسان.

٣) تنبيهه إلى المخاطر التي تحدث بالمجتمعات من جراء تحكم سلطان رأس المال فيها.

٤) تحديده لما يجب على الأثرياء في مجال الإنفاق العام، ونظرته بطبيعة الملكية.

أما مصدر التفكير الاجتماعي عند محمد عبده، فيرده المؤلف – خلافا للكثيرين – إلى تراثنا الفكري الإسلامي التقدمي، والإنساني في ميدان الأموال والخراج، والموقف الذي انحاز فيه الإسلام إلى صف الجماعة، والفكر الجماعي ما يزخر به التراث الإسلامي من جذور وأصول لفكر اجتماعي انتصر منذ قرون للاخاء الإنساني، وانحاز للعمل والعاملين، وأرسى قواعد راسخة في هذا الميدان. إن هذا الفكر لا يعود في أساسه إلى أوروبا والمفكرين الأوروبيين – كما ينادي بعض الباحثين في تراثنا وتاريخنا – خاصة ما اتصل منه بعصرنا الحديث، هؤلاء الذين يردون كل المواقف المتقدمة، والصفحات المشرقة في تاريخنا وتراثنا إلى أوروبا، ومع ذلك فإن اعتماد محمد عبده في الأساس على التراث العربي والإسلامي في صياغة فكره الاجتماعي، ينفي عنه الاستفادة من الفكر الأوروبي أو من غيره ولا يتعارض معه، بل على العكس من ذلك ينميه ويبلوره، ويزيد من وضوحه وأبعاده.

وبعد، فهذه لمحات عابرة من فكر محمد عبده، ومدرسته الفكرية التجديدية، وآرائه في عدد من القضايا الإسلامية التي كانت تستأثر باهتمام قطاع المفكرين والمثقفين أواخر القرن الماضي، وأوائل هذا القرن، وهي لمحات لا تغني عن قراءة كتاب الدكتور عمارة الجيد، وهو كتاب ينسجم مع سائر كتبه، التي يهدف فيها إلى إبراز الصفحات المشرقة في الفكر الإسلامي، وإلى تأصيل هذا الفكر وتثبيته، سعيا وراء بناء نهضة عربية إسلامية قوية ومزدهرة وخيرة إن شاء الله تعالى□



مناجاة

إني خلـــوت الى قلبـي أنـــاجيــــه
والقلـب في صمتـــه بـــوح بما فيـــه

ســـاءلتـــه والهدى حلـم يـــراودني
والشـــوق من ســاحـة الإفضـــاء يـدنيـه

هل تـــدرك الـــروح في يـــوم هـــدايتهـــا
أم أضرب العمــــر في وهـــم وفي تيــــه

هل يبصر العقـل يـــومـــا ســدرة وسنـــا
أم دورة اليـــوم بعــد اليـــوم تنسيـــه

أوغلـت في رحلـــة الأيـــام مـــرتحلا
نحـــو الهدى طـائرا أسعـى لـــواديـه

يـــارب شـــوق الهدى بـالقلب يعمـــره
وأنت يـــاخـــالقي أدرى بخـــافيــه

قـــد قـــدّ في مهجتـي ان الهدى قـــدري
فـــالقلب في يـــومـــه راض ومـــاضيـه

اللـــــه ربي لـــــه بـــدئي ومختتمـي
والنفس تسعـى لـــه والـــروح تأتيـــه

دمع هو الحمد

بـــراق شعـــري نحـــو النـــور ينطلق
والـــدمع في أعيني كـــالـــدر مـــؤتلق

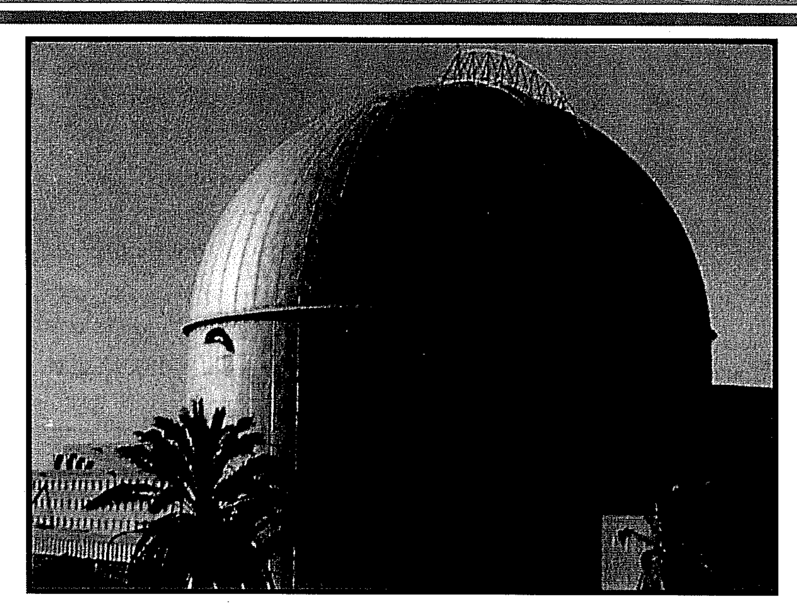
دمع هـــو الحمـــد في أرقى منـــازلـــه
وبسمـــة بـــالمنى تـــزهـــو وتـــأتلق

شعر:
سيد محمد حسن

تقـــــر عينـي إذا آنست بـــــــارقـــــة
مـع الهدى والتقـى والنـــــــــور تعتنـق
كـأنما الحرف في سمـع الـــــــدنى نغـم
يفيض مـن صــــدقـــــه في عـــــالمي عبق
والقلـب في أضلعـي حـب ومغفــــــــرة
ووثبــــة نحــو ســاح اللـــــه تستبق
والــــــدفء في كلمتي والصـــــدق في لغتـي
فــــالحب لي معلـم والصـــــدق لي خلـق
إني سلكـت الهدى دربـــــــا الى ربي
في غير ربي يــــــااللـــــــه لاأثـق

الفجر ينبض في دمي

شيـــدت مـن عـــذب الحديث مــــدائنـــا
وبنيت من عـــــذب المنى احـــلامـــا
أصغيـت لــــلأنســـــام في صلـــواتها
فــانســـاب شعــري في الـدنى أنســامـا
ومشيت أسعـى للحقيقـــــة وحـــدهــــا
والـــروح تـــرجـــو راحـــة وســـلامـــا
ورنـــــوت لــــلأفـق البعيــــد مســـائلا
فـأجــــابنـي صـــوت المدى إلهامـــــا
ســـــاءلـت كل النـــــاس عن أحـــلامهم
ورسمـت حلمي رائقــــا بســـــامــــا
ألقيت في سمـع الــــزمــــان قصيـــدتي
ومضيت وحـــــدي أسـأل الأعــــوامــــا
وجعلت مـن وجـــــه الصبـــــاح وريقــــة
وجعلت مـن قطــــر النـــدى أقــــلامـــا
وكتبـت «إن الفجـــــــــر ينبـض في دمـي
إن صــــار كــوني ظلمـــــة وظـــلامــــا
وكتبـت «إن الـــــروح تعـــــرف دربها
والقلـب ينثـــــر حبــــه أنغـــــامـــــا»



نشرت صحيفة الـ(الاندبندنت) البريطانية المقال التالي عن تجاهل الدول الفاعلة للترسانة الإسرائيلية الذرية، و(الوعي الإسلامي) تنشر ترجمة المقال خدمة لقرائها، وإيضاحا لبعض ما يدور من ضجيج إعلامي حول موضوع التوقيع على المعاهدة النووية والذي تشترط فيه الدول العربية توقيع دولة العدو الإسرائيلي أولا.

إلى متى يتم تجاهل الترسانة الإسرائيلية الذرية؟!

ضغوط دولية على بريطانيا!

يتوقع بعض الخبراء العسكريين أن تواجه بريطانيا قريبا ضغوطا كبيرة لكي تضع ملف غواصتها النووية المزودة بنظام (ترايدنت) على طاولة المفاوضات بعد أن بدأت واشنطن وموسكو تسعيان لكسب تأييد ومساندة دول عدم الانحياز في المفاوضات الهادفة الى تجديد معاهدة وقف سباق التسلح النووي، واقامة نظام سيطرة جديد.

وفي الفترة الاخيرة نجحت حكومة (جون ميجور) في التقليل من أهمية التحذير الذي اطلقه زعيم الحزب الديمقراطي الحر (بادي أشدون) معلنا فيه أن الولايات المتحدة ستمارس ضغطا على بريطانيا. بيد أن مسألة الصاروخ (ترايدنت) قد تصدرت قائمة الاهتمامات الدولية ومن المحتمل أن تصبح اختبارا مصيريا لمكانة بريطانيا في الأمم المتحدة وفي العالم أجمع.

الترسانة الإسرائيلية

وعلى الصعيد نفسه ظهرت اخيرا (الخلافات النووية) بين اسرائيل وبعض الدول العربية وايران والولايات المتحدة وروسيا، الامر الذي صعب مسألة الحصول على تأييد جميع الاطراف فيما يتعلق بتمديد معاهدة وقف سباق التسلح الى أجل غير مسمى. فلخمسة وعشرين عاما مضت كانت هذه المعاهدة تقر بوجود خمس دول فقط تمتلك الاسلحة النووية، وهي: الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا والصين.

ومن المقرر أن يتم تجديد هذه الاتفاقية خلال المؤتمر الذي سينعقد في نيويورك في منتصف ابريل المقبل.

تحرك دبلوماسي بريطاني

الديبلوماسيون البريطانيون - برئاسة سفير بريطانيا الى مؤتمر نزع السلاح في جنيف (السير مايكل ويستون) - نجحوا حتى الآن في كسب التأييد اللازم للفوز بستة وثمانين صوتا، وهذا يكفي لتمديد المعاهدة الى أجل غير مسمى. إلا أن مسؤولين كباراً في الحكومة البريطانية اعترفوا بأن مهمتهم باتت أصعب من ذي قبل. ويقول أحد الديبلوماسيين البريطانيين: نحتاج بالطبع الى اغلبية كبيرة.

العالم الثالث وأبعاد جديدة

لقد ظهرت لمسألة (الخلاف النووي) ابعاد جديدة بعد أن أعلن الرئيس الروسي بوريس يلتسين تأييده لمعاهدة وقف التسلح (ستارت٣) التي قد تؤدي الى خفض الترسانة العسكرية لروسيا والولايات المتحدة الى حد قد يثير التساؤلات حول حق كل من باريس ولندن في الاحتفاظ بقوات الردع المستقلة التي تمتلكها كل منهما. حتى أن الناطقين باسم وزارة الخارجية البريطانية قضوا الاسبوع الماضي بأكمله وهم يحاولون دحض التقرير الذي نشرته صحيفة الاندبندنت والذي يستشهد بتحذيرات زعيم الحزب الديمقراطي الحر

اشدون بأن واشنطن قد تمارس الضغط على لندن لكي تدرج اسلحتها النووية في المفاوضات المتعددة الاطراف حول وقف سباق التسلح النووي.

ويؤكد المسؤولون البريطانيون من جهتهم – في لقاءات خاصة (غير علنية) – أن المناخ الذي تدور فيه المناقشات في واشنطن أصبح متأزما جدا بحيث لم يعد بالامكان اطلاق أية نظريات ليبرالية جديدة داخل ادارة الرئيس الاميركي (بيل كلينتون).

إلا ان المشكلة الاهم التي تواجه السياسة البريطانية وتقف في طريق تمديد المعاهدة تتمثل في أن دول العالم الثالث تدعي أن الالتزام بهذه المعاهدة ليس عادلا وتؤكد عدم احترام بعض الدول لبنودها وهي تشير بالطبع الى الفقرة الرابعة من المعاهدة التي تنص على أن الدول الموقعة على المعاهدة تمتلك الحق الكامل في تبادل المعدات والمواد والمعلومات العلمية والفنية والتقنية فيما بينها بهدف استغلال الطاقة النووية لإحلال الأمن والسلام في العالم.

البرامج النووية الإيرانية

وعلى الرغم من كل ذلك تبدو واشنطن وحليفاتها مصممة على انكار حق ايران – وهي بالطبع دولة موقعة على المعاهدة – في امتلاك أية برامج نووية. حتى أن رئيس الكونغرس الاميركي (نيوت غينغريتش) طالب بضرورة وقف المساعدات الاميركية عن روسيا ما لم تبادر الاخيرة الى الغاء عقد لتجديد مفاعل نووي ايراني تبلغ قيمته بليون دولار (تعادل ٦٠٠ مليون جنيه استرليني).

لكن مساعد وزير الخارجية الروسي فشل اخيرا في حمل ايران على التوقيع على تمديد المعاهدة لاجل غير مسمى. أما نظيره الايراني محمود فائزي فقد أكد التزام بلاده بالتوقيع على المعاهدة. إلا أنه طالب باجراء بعض (التعديلات) عليها.

ان المسألة الايرانية شأنها شأن المسألة الكورية الشمالية تسلط الضوء على مشكلة تطبيق بنود المعاهدة والالتزام الكامل بها. وتثير الشكوك حول مدى فعاليتها وتظهر الخلافات بين بعض دول التسلح النووي الخمس. فوكالات الاستخبارات الغربية على قناعة من أن ايران تمتلك برامج نووية سرية تشرف عليها هيئة تضم بعض العاملين – في وزارتي الدفاع والطاقة النووية – يقومون باعداد تقارير ترفع الى الرئيس (هاشمي رفسنجاني).

بيد أن حكومة طهران تستغل في شكل جيد ادعاءاتها المتكررة بأن النادي النووي (الامبريالي) ينكر على دولة نامية كإيران مشاريعها النووية السلمية الطامحة الى تحقيقها.

موقف إسرائيلي مثير للمخاوف

وعلى صعيد آخر اندلع نزاع نووي في الآونة الاخيرة بين اسرائيل ومصر على المستوى الحكومي.

فإسرائيل لم توقع على المعاهدة النووية المذكورة وتدعي أنها لن تكون أول دولة تمتلك اسحلة نووية في المنطقة. إلا أن العالم أجمع يعتقد بأن اسرائيل تمتلك ٢٠٠ رأس حربي نووي على الاقل. الامر الذي يدفع الدول العربية لرفض أية ضغوط غربية للموافقة على تمديد المعاهدة ما لم تعامل اسرائيل بالمثل.

الجدير ذكره ان وزير الخارجية الاسرائيلي (شيمون بيريز) فشل في نزع فتيل الازمة النووية خلال المحادثات التي اجراها مع الرئيس المصري (حسني مبارك). فخرج المعلق الاخباري في الاذاعة المصرية بعد انتهاء المحادثات ليؤكد الموقف المصري قائلا: لا يمكن اهمال المسألة النووية ولا يجب أبدا الفصل بينها وبين محادثات السلام العربية الاسرائيلية لانها مسألة حيوية بالغة الاهمية.

إن الخلافات النووية تسلط الضوء على مسألة مهمة مثار نزاع كبير وهي أن دول التسلح النووي الخمس تسعى لاجبار دول العالم الاخرى على التخلي عن (الخيار النووي) في حين تتجاهل الترسانة النووية الاسرائيلية وتستمر هي في انتهاك بنود معاهدة وقف سباق التسلح النووي.

الغواصة البريطانية النووية

المشرفون على الحملة الداعية لوقف سباق التسلح النووي يؤكدون أن برنامج الغواصة النووية المزودة بنظام (ترايدنت) سيزيد من عدد الرؤوس الحربية النووية البريطانية بحلول القرن المقبل. الا ان حكومة ميجور تؤكد أن القوة العسكرية التدميرية البريطانية لن تزداد كثيرا ولن تفوق المستوى الحالي وستبقى أقل قوة رادعة معقولة.

ان منطق الحكومة البريطانية هذا يتعارض مع موقفها في شأن انتاج الاسلحة الكيميائية فالمملكة المتحدة وقعت على اتفاقية الاسلحة الكيميائية التي تحظر انتاج مثل هذه الاسلحة وتنص على ضرورة تدميرها بشكل كامل. إلا أن المسألة الاهم هي أن هذه المواقف لم تعد تدخل في دائرة اختصاص مجموعات الضغط في دول العالم الثالث.

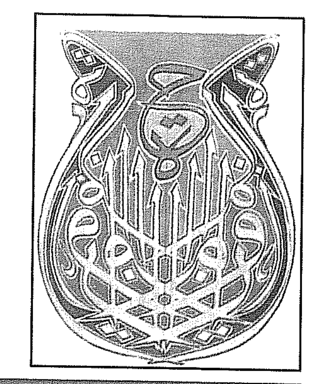
أما حكومة بون فقد اعربت عن اسفها لرفض اقتراحها القاضي بمراقبة الاسلحة النووية. حتى أن السفير المكسيكي في جنيف (ميشال مارين بوش) – الذي ترأس الجلسات التمهدية التي حضرها ممثلو دول معاهدة وقف التسلح النووي – أكد وجود شعور بالاستياء الشديد لدى معظم دول العالم مشيرا الى أن الدول المتقدمة تخرج باسلحة نووية ثم تحاول حظرها عالميا بموجب معاهدة دولية متعددة الاطراف.

يقول (بوش): ينبغي على الدول التي تمتلك الاسلحة النووية أن تبدأ بنفسها أولا فتلتزم بتدمير هذه الاسلحة بصورة نهائية وفي موعد محدد.

لقد طالب المشرفون على الحملة الداعية لحظر سباق التسلح بايجاد تسوية للخلافات النووية وتمديد المعاهدة الخاصة بهذه المسألة لفترة محدودة يتم خلالها العمل على نزع السلاح النووي في جميع دول العالم.

تغير (قواعد اللعبة)

لكن قواعد اللعبة (النووية) قد تغيرت كثيرا كما يبدو منذ اقترح (يلتسين) افكارا جديدة في شأن (ستارت٢). يقول الناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية: لو تم بالفعل خفض الترسانة النووية الاستراتيجية بشكل مستمر وبموجب اتفاقات غير تلك التي تتعلق بمعاهدات (ستارت) عندئذ يمكننا خفض ترسانتنا النووية وهذا الاحتمال ما زال بعيداً□



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

تعليق التمائم والتعاويذ

●*ورد للجنة السؤال التالي:*

ما الحكم الشرعي فيما هو معروض أمام حضراتكم بما اصطلح على تسميته بـ(الجامعة) بين عامة الناس .. وهي عبارة عن سور من القرآن الكريم أو آية الكرسي تم وضعها في حرز من الجلد. ربط بخيط لتعليقه على رقبة الشخص الذي يخشى العين أو السحر أو الشر بصورة عامة. ولكم جزيل الشكر.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز تعليق التمائم والتعاويذ إذا توافرت الشروط التالية:

١ – أن يكون ما كتب فيها من القرآن الكريم، أو من أسماء الله وصفاته، أو من المأثور الثابت عن النبي ﷺ من الرقى، والأذكار، أو بأي ذكر لله تعالى مطلقا.

٢ – أن تكون بكلام مفهوم المعنى، غير مشتملة على الطلاسم والرموز التي لا يفهم معناها.

٣ – أن يعتقد حاملها أنها لا تنفع بذاتها إلا بإذن الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيئته.

٤ ـ ألا تشتمل على شرك بالله سبحانه وتعالى، أو معصية.

٥ ـ أن تكون التميمة فيما يخرز ويخاط.

٦ ـ أن يتركها حملها عند الجماع أو الغائط.

لذلك فإن اللجنة ترى عدم جواز تعليق التميمة المشار إليها إذا تضمنت كلاما غير مقروء.

التقصير في خدمة الحجيج

●*ورد للجنة السؤال التالي:*

إنني أديت فريضة الحج هذا العام، وللأسف فإن الحملة التي سافرت معها لم توف ببعض التزاماتها، وكذلك وجد تفاوت في الأسعار بالنسبة للأشخاص، وعند رجوعنا قمنا – مجموعة من الحجاج – بعمل شكوى بخصوص أن الحملة كانت مقصرة في بعض التزاماتها نحونا وخسرنا كل شيء، وقد قام المسؤولون بالوزارة ببحث الشكوى، والتأكد منها، واتخذت الإجراءات ضدها فعلا.

وحاليا أصحاب هذه الحملة يحاولون معنا للتنازل عن هذه الشكوى لأن الموضوع تطور معهم فعلا.

لذا أرجو من سيادتكم التوضيح ، هل لو قمت بالتوقيع على تنازل عن هذه الشكوى، فيه ما يخالف الدين، خصوصا وأنهم يمكن أن يقوموا بتكرار هذا الموقف مع آخرين في العام القادم. أفيدونا أفادكم الله.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا كانت الشكوى تتعلق بالتقصير في توفير الراحة في مناسك الحج للحجاج وظن أنه إذا تم التنازل عنها الآن سوف يتكرر التقصير مرة ثانية في الأعوام القادمة، فلا يجوز التنازل عنها لما فيه من إضاعة لحق الله تعالى، بتعريض الحجاج لفساد حجهم، أو الإخلال فيه، فإن ظن أنه لن يعود لمثل هذا التقصير في مستقبل الأيام وتعهد بذلك أمام سلطة رسمية، فلا بأس بالتنازل عن الشكوى.

أما إن كانت الشكوى للتقصير في بعض الأمور الشخصية أو المالية فيجوز التنازل عنها مطلقا، لأنها تتعلق بحقوق شخصية للشاكين، وبخاصة إذا ظن أنه لن يعود لمثلها في المستقبل.

تحريم امتهان المصحف

●*ورد للجنة السؤال التالي:*

نرجو التكرم بإخبارنا بالحكم الشرعي باستخدام المصحف بعد تقصيصه في تجليد الكتب الشرعية، كما هو مرفق لكم، حيث استخدم المصحف في تجليد كتاب نيل الأوطار للشوكاني.

ثم اطلعت اللجنة على صورة لما جلد به الكتاب المشار إليه فوجدت أن أوراقا من المصحف من سورة (يس) قد استخدمت في تجليد الكتاب من داخله.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي: تجليد الكتب بأوراق المصحف الشريف على النحو الوارد في السؤال محرم شرعا لمنافاته لما ينبغي لكتاب الله عز وجل، من توقير واحترام، ويجب الأخذ على يد فاعله، وصيانة أوراق المصحف عن الابتذال وذلك بدفنها في مكان طاهر لا تصل إليه الأيدي. وقد اتفق الفقهاء على أنه من استخف بالمصحف أو أهانه فإنه يكون بذلك مرتدا والعياذ بالله تعالى، ولا يجوز استعمال ما جلد من الكتب بأوراق المصحف إلا بعد رفع هذه الأوراق وتكريمها بدفنها في مكان لائق على نحو ما سبق بيانه.

الإقامة شرط لصحة الجمعة

● ورد للجنة السؤال التالي:

نحن مجموعة من العسكريين موجودون في منطقة الصكيهية، وتقع على الحدود العراقية غربا، وتبعد عن الجهراء ٧٠ كلم، والرتقة وتقع شمالا، وتبعد عن الجهراء ٩٠كم، ونحن نقيم فيها صلاة الجمعة، حيث يوجد عدد غير قليل، ويؤدي الصلاة ما يزيد على الأربعين رجلا، وفيهم بعض الدعاة، وبعض موظفي الشركات المجاورة، وهو مكان ثابت على شكل شاليهات، وكان قبل الغزو بناء عاديا من طابوق، وكانت تقام فيه صلاة الجمعة، فقيل لنا إن صلاة الجمعة في هذا المكان غير واجبة علينا، فجئت أستفتيكم في هذه المسألة، وجزاكم الله خيرا.

○○ **وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:**

اتفق الفقهاء على أن من شرط صحة صلاة الجمعة أن تقام في أبنية يستوطنها عدد تنعقد بهم الجمعة، ويقيمون فيها إقامة دائمة لا يرحلون عنها صيفا ولا شتاء، وعلى ذلك فلا تصح صلاة الجمعة في المعسكرات المشار إليها كما في نص السؤال لأنه ليس فيها استيطان في أبنية.

هدايا المسابقات

● ورد للجنة السؤال التالي:

سنقيم إن شاء الله مسابقة لحفظ القرآن الكريم، ومسابقة لأحسن رسالة، ومسابقة لأحسن قصيدة، أي المجموع ثلاث مسابقات، ويحق لكل طفل الاشتراك بجميع هذه المسابقات، وسيكون رسم الاشتراك نصف دينار أو دينار.

فهل يحق لنا أخذ هذا المبلغ أم لا؟ مع العلم أن الجوائز ستوزع على أول عشرة فائزين. وإذا كان أخذ مبلغ الدينار غير شرعي، فهل يحق لنا إعطاء المشاركين مظروفا يحتوي على هدية عبارة عن شريط كاسيت (قرآن كريم)، وكتيب صغير للأدعية، ويكون هذا المظروف عليه اسم إحدى الشركات المساهمة، كنوع من الدعاية لها، حتى تكون جميع التكاليف الخاصة بطباعة الشريط والكتيب مدفوعة من قبلها، وهل يحق لنا أخذ الدينار كرسم للاشتراك، وإعطاؤه هذا المظروف؟

○○ **وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:**

إذا كان رسم الاشتراك سيدفع كله أو جزء منه في مقابل الجوائز فلا يجوز، لأن ذلك من صور القمار المحرمة. ولا يغير من الحكم تقديم هدايا ليست في مقابل المبلغ الذي يدفع رسم اشتراك كما جاء في السؤال الثاني، بل هي هدية من الشركة في مقابل وضع اسمها كدعاية لها.

شروط ستر العورة

● ورد للجنة السؤال التالي:

يأتي إلى مسجد المدينة الترفيهية نساء يردن الصلاة ولباسهن البنطال، وهذا البنطال ليس بالضيق الواصف للبدن، ولا بالعريض الساتر، ولا شيء يستره من الأعلى كقميص طويل أو نحوه.

ثم إن الحجاب الذي يضعنه على رؤوسهن لا يغطي جميع الشعر، ولعل غرتهن تبدو ظاهرة وهن في الصلاة كوضعهن خارج الصلاة، فما حكم صلاتهن بهذا اللباس وبظهور هذا الشعر؟

○○ **وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:**

إذا كان البنطال الذي ترتديه المصلية محددا لعورتها، فلا يجوز الصلاة فيه، كما يجب على المرأة ستر جميع بدنها بما في ذلك جميع شعرها، ما عدا الوجه والكفين، وتجب إعادة الصلاة في كلتا الحالتين المشار إليهما في السؤال، لأن ستر العورة من شروط صحة الصلاة، فإذا بطل هذا الشرط بطلت الصلاة ووجبت إعادتها.

عرائس الصغار المجسمة

● ورد للجنة السؤال التالي:

يسرني أن أطرح عليكم هذا السؤال، لعلي أجد لديكم الفتوى فيه .. وهو بخصوص ما يسمى بمسرح العرائس، والذي يقوم على مجموعة من الألعاب والعرائس المجسمة التي تتخذ أشكال رجال ونساء وأطفال تحركهم الأيدي التي تختفي خلف ستار، وذلك بهدف عمل مشاهد تمثيلية للصغار، حيث نستخدمها في قضايا دعوية، ولجان عمل الخير، بهدف غرس المثل الطيبة والنبيلة مثل حب الإنفاق، والحرص على الصلاة، وغيرها من أمور حث عليها ديننا الحنيف، وذلك في نفوس الصغار وبصورة مشوقة ومسلية.

○○ **وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:**

لا مانع شرعا من استعمال العرائس المجسمة للصغار على الصورة الواردة في السؤال، وللغرض المشار إليه، ما لم يرافق ذلك محرم، والأصل في صناعة التماثيل والصور المجسمة هو التحريم واستثني منه دمى الأطفال، التي تتخذ للهوهم أو لتعليمهم، يدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن لي فيلعبن معي) [رواه البخاري].

ليل الشتاء الطويل

بقلم: فريد محمد معوض

كان أبناء قريتنا يغطون في نوم عميق حين خرجت من الدار - وكان لا بد أن أخرج - تطاردني الكوابيس المزعجة طوال الليل، ليل الشتاء الطويل، أغير من مكان رقدتي أجعل رأسي عند موضع قدمي، ثم أجعل قدمي عند موضع رأسي ولا فائدة، أتكور تحت الغطاء أصير خطا يقسم السرير نصفين، رأسي على حافة الجنون.. ماذا يريدون؟ يلهثون ورائي، يحاولون اللحاق بي: سنقتلك.. سنقتلك سنـ..، قلت: سبحان الله. ازدادوا غيظا، قال كبيرهم:

- كُف عن الكلام.. كلامك يحرقني من الداخل.

- لكني..

- ليس من حقك أن تقول «لكني»

- لكنكم..

- من أنت حتى تتحدث عنا

- أنا من كنت..

- الماضي ثانية..

- ينجينا الله

- كف عن هذا الكلام.. كلامك يحرق قلبي

- ماذا تريدون؟

- ماذا تفعل أنت في القرية.. مالك أنت والإصلاح فيها.. هل رأيت منا قصورا هل رأيت فيها فسادا.

- أعمل من أجل أن نجتمع وأجري على الله

- كف عن هذا الكلام.. كلامك يحرق قلبي ثم اقتربوا مني، تحلقوا حولي، ما عدت أستطيع أن أنفذ من بينهم.

- ابتعدوا أيها الفاسدون

أنتم سر نكبتنا.. أنتم..

ازدادت ملامحهم حدة وشراسة، أمسكوا بعنقي.. أحسست بالاختناق.. كانت ملامحهم لا تطاق.. الآن لا بد من عمل شيء.. صحت.. وأنا أصحو:

سوف أقاتلكم جميعا

ثم إنني خرجت.. وها هو الظلام يغلف كل شيء حتى الديار.. متى نستيقظ؟ متى؟ وفجأة أضاء الأفق.. ازداد توهجا.. نار تتصاعد فوق الأسطح تأكل قشا حطبا سقفا:

إنها نار.. نار ستأكل الديار.. تحيلها إلى رماد.. يا خلق الله هبوا

وأخذت أجري وأجرى.. أصفر واصرخ.. أطرق على النوافذ والأبواب:

- نار.. ستحرقكم وأنتم نائمون

.. هبوا.. لأن تحترقوا في صحوكم خير من أن تحترقوا نائمين.. نار.. نار

ووجدت مالم أره من قبل.. سبحانك ربي.. سامول - قريتي - البائسة الغارقة منذ زمن بعيد في الطيبة والكسل تستيقظ.. رأيت الأبواب تفتح بقوة.. والنوافذ وبشر يمرقون من الأبواب والنوافذ، الديار تدفع بهم.. وكلما خرج واحد صرخ: أين؟

يا الله.. الكل يسأل: أين؟ ولم يسأل أحد: عند من؟

ليس المهم عند من - (النار)، المهم أن هناك نارا لا بد أن تطفأ.. عند من لا يهم.. آه يا سامول.. هذا هو أنت.. عهدي بك رائعة إلى ربك راجعة.. الكل يجري صوب النار.. وانطلق ميكروفون جامع الزاوية.

- تجاه دار عـــربي بن عثمان

ثم ظهر - ويا للعجب - عم حافظ المسحراتي، ولم نكن ليلتهـا في رمضـان، غير أنـــه خـرج بطبلتـه يجري وراح يقــــرع ويردد:

إصح يا نائم منذ الأبـد.. ووحـــد الـــواحــد الأحــد.. يا ســتـــار.. يــاغـفــار.. أغثنا من النار هيا.. هيا..

وأدركنا النــــار.. تحلقنـــا حــولها، رجـــال ونســـاء وأطفـــال، النسوة يمـلأن الجرار مـــن الترعـة ويأتين بها.. الصبيـــــة يـوصلـونها للـرجال.. الـرجال يتحلقـون حـول النار. يلقون الماء فـوقها والأشيـــاء الثقيلـة التي تخمدهـــا.. أمـا كـــامل الأخـرس فكـان يتقـدم الجميع.. لا يخشى النار.. يتطوح يمينا وشمالا فوق الجدار كما لو كان يصفع النار صفعـا.. وللدهشـة تبعثرت من فمـه حروف بدت كما لو كانت كلاما.. بل قال أحـدهم إنه سمع منـه كلمـة كـاملـة وهي «مـاء» غير أن آخـر ذكـر أنها عنزة الخالة صفية.

وهمدت النـار.. همدت كشيطان ذبح في مـلأ عام وردد الجميع: الله أكبر.

وقال الشيخ محمد إمام المسجد:

- انتصرتم بعـــزمكم وشـدة تماسككم.. لقد انطفأت النار.. هيا نبحث عـن السبـــب.. كيـــف اشتعلت؟ حتى نتفـــادى ذلك مستقبلا.

واتجهنـا إلى ســاحـــة تـدعى «الملاحة» وخطب فينـا الشيخ محمد.. قـال كلامـا يملأ القلـب إيمانا وروعة وقال:

كـانت الخسـائر قليلـة والمكاسب كثيرة.. لأننا لم نجتمع منـذ زمـن بعيـد.. وهـا نحن قـد التقينـا من جـديـــد.. وعـــدت إلى مخدعي.. وجلست قليـلا أتـدبـر تلك الأحــوال.. تملـؤني البهجـة حتى أخـذتني سنة من النوم.. ولم تطاردني الكوابيس.. ولم يأتني الأشرار.. يبـدو أنهم قد احترقوا في النار.. وأشرق الصبح نـديا رائعـا.. حقا لم نخسر□



لم تطــاردني الكوابيس.. ولم يأتني الأشرار.. يبدو أنهم قد احترقــوا في النــار.. وأشرق الصبح نـديـا رائعــا



قصة آية

النفاق مرض اجتماعي خطير، وتزداد خطورته إذا ارتبط بمصلحة المنافق الشخصية، والحقيقة أن كثيرا من الكفار كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم بصدق الرسول ﷺ ورسالته ونبوته، لا سيما حينما كانوا يخلون إلى نفوسهم ويخاطبون عقولهم وضمائرهم..
ولكن المصالح والأغراض التي في نفوسهم شيء، وقول الحقيقة والعمل بها والاعتراف بفضيلتها شيء آخر..
ويروى أن الأخنس بن شريق التقى يوما أبا جهل بعيدا عن الأنظار.. فقال الأخنس لأبي جهل: أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري؟
فقال أبوجهل: والله إن محمد لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابة، والندوة والنبوة، فما يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى قوله الكريم: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.



إعداد: التحرير

ثلاثة لا ترد دعوتهم

قال ﷺ في الحديث الشريف: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم».

التقوى

سئل الإمام الشافعي رحمه الله يوما: إذا أردت الإقامة في مصر فلا بد لك من قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعوز به؟ فقال: لقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة واحدة، وما بتنا جياعا قط، ومن لم تعزه التقوى فلا عزة له.

دعاء

قال سفيان الثوري: رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة، يدعو: (اللهم سلم، سلم). فقلت: يا أخي ما شأنك؟ فقال: كنا أربعة إخوة، توفي منا ثلاثة، كل واحد مهم يفتن عند موته، ولم يبق سواي فما أدري بمَ يُختَم لي.

لو تعلم حقيقة جهنم

كان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالله لو يعلم أحدكم حقيقة جهنم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتي ينكسر صلبه.

دخل الجنة ولم يركع ركعة

كان عمرو بن ثابت – المعروف بالأصيرم – يأبى الإسلام إباء شديداً كلما دعي إليه، وفي غزوة أحد أخذ سيفه ولحق برسول الله ﷺ فقاتل وأصابته جراح كثيرة، دون أن يعلم بأمره أحد.
فلما انتهت المعركة طاف قومه في القتلى يلتمسون قتلاهم فوجدوا صاحبهم هذا وبه رمق يسير.
فقالوا: والله إن هذا لهو الأصيرم، ترى ما الذي جاء به، لقد تركناه وانه لينكر الإسلام إنكاراً شديدا ويأبى ان يستمع لمن يدعوه إليه، ثم تقدموا إليه وسألوه: ما الذي جاء بك؟ أهو الحدب على قومك، أم الرغبة في الإسلام؟
فقال عمرو: بل الرغبة في الإسلام، فقد آمنت بالله ورسوله ثم قاتلت حتى أصابني ما ترون.. ثم أسلم الروح ومات ولم يزد شيئا عما قال.
ولما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال: «إنه من أهل الجنة». قال راوي الحديث: لقد استشهد الأصيرم ودخل الجنة وهو لم يركع لله ركعة.

العدل بالرعية

يروى أن جماعة من الناس جاءت للخليفة المأمون واشتكت له من عامل نصبه عليهم فأجاب الخليفة: انه عادل، تقي ولا أعلم عنه إلا خيراً..
فرد عليه أحدهم قائلا: فليأمر أمير المؤمنين بتعيينه في بلد آخر حتى يستفيد الآخرون من عدله وتقواه.

مخافة الله

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لزياد مولى عبدالله بن عيّاش: اني أخاف الله مما دخلت فيه. قال زياد: لست أخاف عليك أن تخاف، وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

عظمة الإسلام

سئل (وليم موير) عن سر إعجابه بدين الإسلام، فقال: (إن عظمة الإسلام تتجلي في أنه دين اليسر والإنجاز).

قطع الفاسد

قيل لأعرابي بعد ان ترك أخاه الفاسد: لا تقطع أخاك وهو من أمك وأبيك. فقال: أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إليّ منه، فكف لا أقطعه إذا فسد؟

تأديب النفس

قيل لابن المقفع: من أدبك كل هذا الأدب؟ قال: نفسي. فقيل له: وكيف يؤدب الانسان نفسه بغير مؤدب؟ قال: كيف لا! كنت إذا رأيت حسنا أتيته، وإذا رأيت قبيحا أبيته. وبهذا وحده أؤدب نفسي.

حلم

أسمع رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره.. فقال عمر رضي الله عنه: لا عليك إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله غداً.. انصرف إن شئت.

قيمة المهلب

قيل: إنّ المهلب بن أبي صفرة مر بحيّ من همدان، فرآه شاب من أهل الحي فقال: هذا المهلب؟! فقالوا نعم. قال: والله، ما يساوي خمسمائة درهم - وكان المهلب رجلا أعور - فسمعه المهلب، فلما كان الليل أخذ خمسمائة درهم وأتى إلى الحي، فراقب الشاب إلى أن رآه، فأتى إليه وقال: افتح حجرك، ففتح الشاب حجره، فسكب فيه الخمسمائة درهم وقال: خذ قيمة عمك المهلب، والله، يا ابن أخي لو قومتني بخمسة آلاف دينار لأتيتك بها. فسمعه شيخ من أهل الحي فقال: والله؛ ما أخطأ من جعلك سيدا.

الزائر الثقيل

قال البهاء ابن زهير في زائر سمج:

وعائد هو سقم
لكل جسم صحيح
لا بالاشارة يدري
ولا الكلام الصريح
وليس يخرج حتى
تكاد تخرج روحي

ولا يؤوده حفظهما

روى الإمام الغزالي في خواص القرآن، عن ابن قتيبة قال: حدثني رجل من بني كعب قال: دخلت البصرة لأبيع تمرا، فلم أجد منزلا، ثم وجدت دارا قد نسج عليها العنكبوت، قيل لي: إنها معمورة. فقلت لمالكها: أتكريني إياها؟ فقال: انج بنفسك، فإن فيها عفريتا قد اتخذها منزلاً يهلك كل من دخلها.. فقلت: اكرني، واتركني، والله يعينني عليه.. فقال: دونك إياها..

فكنت فيها، فلما جن الليل، دخل عليّ شخص أسود عيناه كشعلة النار وله ظلمة، وهو يدنو مني فقرأت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ إلى آخر الآية.. وكلما قرأت كلمةً قال مثلي، فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ لم يقل شيئا فكررتها مراراً، فذهبت تلك الظلمة، فأويت في بعض جهات الدار فنمت، فلما أصبحت وجدت في الناحية التي رأيته فيها أثر حريق ورماد، وسمعت قائلا يقول: أحرقت عفريتا عظيما.. فقلت: وبم أحرقته؟ قال: بقوله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

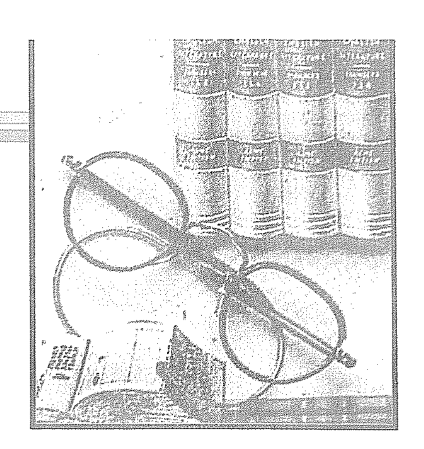
خوف العقوق

يقال ان زين العابدين، علي بن الحسين، رضي الله عنهما كان لا يأكل مع أمه في قصعة واحدة، فسأله أحدهم: إنك من أبر الناس، ولكنك لا تأكل مع أمك في قصعة واحدة؟ فأجابه: أخاف أن تسبق يدي يدها فأكون قد عققتها.

دعاء مستجاب

بلغ الحجاج بن يوسف كثرة انتقاد الحسن البصري لتصرفاته، فغاظه ذلك وأراد إدخال الرعب في قلوب العامة بالتنكيل بالحسن، فأمر يوما بالسيف والنطع وأحضر الجلاد، وأرسل الشرطة ليأتوه بالحسن مكبلا على أعين الناس زيادة في التخويف والتنكيل، فلما دخل الحسن ورأى الجلاد تمتم بكلمات وتقدم نحو الحجاج بثبات المؤمن ووقار العالم، فما أن وقعت عينا الحجاج عليه حتى هابه وقام إليه مرحبا ودعاه ليجلس إلى جانبه ملاطفا في الحديث، سائلا ومستفسرا، صاغيا لإجابات الحسن مبديا كل اهتمام، فلما انتهت أسئلته قام الحسن مستأذنا فخرج الحجاج وراءه مودعا أحسن ما يكون التوديع..

فلما صار الحسن خارجا قال له أحد الحراس: والله؛ ما لهذا دعوناك يا أبا سعيد، وقد أعدوا لك غير ما قابلوك به، فما الذي جعل الحال يتغير؟ وقد رأيتك عند دخولك تتمتم بكلمات فما الذي قلته؟ فأجابه الحسن رحمه الله: لقد دعوت: (يا ولي نعمتي، وملاذي عند كربتي، اجعل نقمته بردا وسلاما عليّ كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم). فصار الأمر كما رأيت.



ثمرات المطابع

إعداد: التحرير

الأصول والضوابط

● الامام النووي (ت٦٧٦هـ)

● تحقيق: د. محمد حسن هيتو

● نشر: دار البشائر الاسلامية، بيروت، طبعة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

وضع الإمام النووي رحمه الله هذه الرسالة في الأصول والضوابط، وذكر فيها تسع مسائل تتعلق بأهم ما يحتاج إليه طالب العلوم الشرعية من القواعد الفقهية، والأصول المهمة، والمقاصد المطلوبة، والمسائل المتشابهة، مع التمثيل لها بما يترتب عليها من الفروع، أو ينضم إليها من الأشباه والنظائر.

وقد تبين لمحقق الرسالة أن الامام النووي لم يكن يرمي من خلال هذه الرسالة إلى تأليف كتاب في القواعد الفقهية، وإنما كان يهدف ذكر بعض الضوابط والأصول التي تعتبر من أهم ما يحتاج إليه الفقيه والمتفقه في المذهب الشافعي بصورة خاصة، وطالب العلم بصورة عامة..

ومسائل الرسالة: مذهب أهل السنة والجماعة في القدر، أقسام عقود المعاملات من اللزوم والجواز، أسباب الفسخ في البيوع، ما يقوم فيه الوطء مقام اللفظ، أن حكم فاسد العقود كحكم صحيحها في الضمان، المقدرات الشرعية وأقسامها من التحديد والتقريب، أقسام الرخص، رخص السفر، تعارض الأصل والظاهر.

مصادر المعلومات حول النظام الاقتصادي والمصرفي الاسلامي

● س. ناظم علي ونسيم ناظم علي

● نشر: دار بول كيجن انترناشونال، لندن

INFORMATION SOURCES ON
ISLAMIC BANKING AND
ECONOMICS
1980-1990
S. NAZIM ALI & NASEEM N. ALI

الكتاب بالإنكليزية، وقد جاء للإجابة على تساؤلات كثير ممن تستهويهم تجربة المصارف الإسلامية الرائدة والناجحة، والمؤلفان يريان الاهتمام بالنظام المصرفي الاسلامي في تزايد مستمر بفضل النجاح الذي حققته المؤسسات المالية الإسلامية، ويعيدان الفضل في ذلك إلى الطلب الملح للمسلمين لإيجاد الوسائل الناجعة لاستثمار أموالهم في اطار الشريعة الإسلامية السمحة، مما أدى بالتالي إلى إنشاءقرابة مائتي مؤسسة مصرفية ومالية إسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامي، تربع على رأسها البنك الإسلامي للتنمية الذي يضم في عضويته ٤٥ بلدا إسلاميا، ودار المال الإسلامي، ودلة البركة، والراجحي للاستثمارات. وتملك هذه المجموعات قسطا كبيرا من أسهم المؤسسات البنكية الإسلامية الأخرى..

وقد رافق هذه الطفرة البنكية نشاط فكري كبير، إذ كثرت البحوث والكتابات حول النظام المصرفي الاسلامي وكيفية سيره ومدى تماشيه وروح العصر، وما إذا كان بالإمكان التوفيق بينه وبين التعامل مع العالم غير المسلم..

وهذا الاهتمام دليل قاطع على مصداقية النظام المصرفي الإسلامي، وعلى ما ينتظره من مستقبل زاهر، لأن الأرضية الفكرية والنفسية له وفرتها تعاليم الديانات السماوية، ووفرت الأبحاث والدراسات الأرضية النظرية، وتوفر الصحوة الإسلامية والرغبة الملحة للشعوب المسلمة الظروف المواتية لتطبيقه..

ورغبة من الكاتبين في جعل مؤلفهما مرجعا أساسيا للباحثين ورجال الاقتصاد والمصرفيين المهتمين بالنظام المصرفي الاسلامي فقد جمعا خلاصة ما كتب حول الموضوع ما بين ١٩٨٠ و١٩٩٠.

حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية

● د. صلاح الخالدي

● نشر: فلسطين المسلمة، لندن، ١٩٩٤م

إن من ينظر إلى اليهود بمنظار القرآن، لن ينخدع بهم أبدا، وإن الذي يتزود في جهاده ليهود بزاد القرآن لن يمل من الجهاد أبدا، وإن الذي يتعامل مع القضية الفلسطينية على أساس حقائق القرآن، لن يتخلى عنها ولن يتنازل عن شبر منها، ولن يفاوض اليهود ولن يصالحهم عليها..

يريد الكاتب من وراء كتابه أن يعود قومه وأهله وإخوانه إلى حقائق القرآن، وأن يتزودوا منه، وأن يستنطقوه، وأن يهتدوا به، وأن يتحركوا به، وعندها يكونون قد بدأوا السير خطوات ثابتة، في طريق الجهاد اللاحب الطويل، الذي يقود إلى النصر، وينتهي إلى إزالة الكيان اليهودي على أرض فلسطين، ويحقق تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر، ومن رفح إلى الناقورة.

التاريخ اليهودي، الدين اليهودي

● إسرائيل شاهاك

● نشر: بلوتو برس – لندن، ١٩٩٤م

الكتاب بالإنكليزية، ومؤلفه باحث بولندي الأصل، متخصص في الدراسات التلمودية والربانية، ويقيم في فلسطين المحتلة منذ أربعين سنة، وصفه المفكر الامريكي المعادي للدولة العبرية (نعوم شومسكي) بقوله: (يمتلك رؤية مميزة ومعرفة عميقة، وعمله هذا مليء بالمعلومات ودقيق جدا، ويعتبر مساهمة ذات قيمة كبيرة)..

وقد ابتدأ المولف كتابه بعنوان فرعي ضمنه خلاصة الفكرة التي يتعامل معها، الكتاب (أثقال ثلاثة آلاف سنة) فهو يرى أن أثقال هذه القرون ما زالت تخيم بكل خرافاتها وخزعبلاتها على أفكار اليهود ومواقفهم حتى وقتنا الحاضر، وهي تجد طريقها بصورة قوية ومباشرة إلى أعلى قمة الهرم السلطوي في دولة إسرائيل، وحتى يفهم الإنسان المعاصر طبيعة تركيب الإنسان اليهودي التقليدي من جهة، والمسؤولين الإسرائيليين من جهة أخرى، لابد له من أن يغوص في الكتابات التلمودية التي تحتل مكانة متقدمة على كتب التوراة عند الحاخامات بشكل خاص..

ولقد أراد من كتابه هذا أن يُظهر حقيقة الدولة الإسرائيلية، وأنها نقيض لما تدعيه من كونها (دولة علمانية منفتحة)، ويقدّم في سبيل ذلك أمثلة تكشف أن صناعة القرار في الدولة العبرية تُقولبها الأرثوذكسية الدينية للجماعات المتطرفة، ويصل إلى نتيجةٍ ملخصها: (أن دولة إسرائيل كدولة يهودية تشكل خطرا، ليس فقط على مواطنيها، بل وعلى جميع يهود العالم، وعلى جميع شعوب ودول منطقة الشرق الأوسط وما وراءها)..

وشاهاك في كتابه يتناول الديانة اليهودية، والتاريخ اليهودي، والدولة الإسرائيلية المعاصرة بما في ذلك الحركة الصهيونية، ولا يرى في هذا الثالوث أي انفصال أو استقلال عن بعضها البعض، ومن خلال تناوله للدين والتاريخ اليهودي، يجد المؤلف من الضروري الكشف عن حجم الخداع الذي مارسه الحاخامات والمفكرون والساسة اليهود لإخفاء طبيعة الدين اليهودي العنصرية، وفي هذا السياق يقدّم أمثلة عديدة عن كيفية تزوير الكتب اليهودية عند ترجمتها إلى اللغات الأخرى كالإنكليزية مثلا، ففي كتاب ديني صدر عام ١٩٦٢ باللغتين العبرية والإنكليزية وردت تعاليم دينية تتعلق بكيفية التعامل مع اليهود المخالفين، فالنص العبري يدعو إلى إبادتهم بقوله: (من الواجب إبادتهم حتى بأيدينا) بينما يكتفي النص المترجم إلى الإنكليزية بالقول: (من الواجب اتخاذ الإجراءات اللازمة)، لكن التزوير الأكبر يطال الفقرة التالية وهي بالعبرية: (من أمثال يسوع الناصري وتلامذته) فهذه العبارة غير مترجمة أصلا إلى الإنكليزية..

ولعل في ترجمة الكتاب إلى العربية خدمة للجهد الذي بذله اليهودي البولندي الأصل، وإيضاح لمجريات كثير من الأمور التي تؤخذ على ظاهرها دون الغوص في خلفياتها ومعرفة دوافعها الأساسية.

الفرقان والقرآن

● خالد عبد الرحمن العك

● نشر: دار الحكمة – دمشق

يكشف المؤلف منهج الانحراف في بعض التفاسير المعاصرة، ويحذر من خطورة المنهج الجدلي الفلسفي الذي يغير الثوابت ويبدل الحقائق ويحشد آلاف المغالطات الجدلية حول الآيات القرآنية والعقيدة والأحكام الشرعية..

وقد اختار المؤلف مثالين لمدعي التجديد في التفسير هما: د. مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، وابو زيد الدمنهوري في كتابه (الهداية والعرفان في تفسير القرآن) ناقدا أسلوبهما وما ورد في كتابيهما من الآراء، فقال ان انحرافات مصطفى محمود يعود منشؤها إلى النقاط التالية:

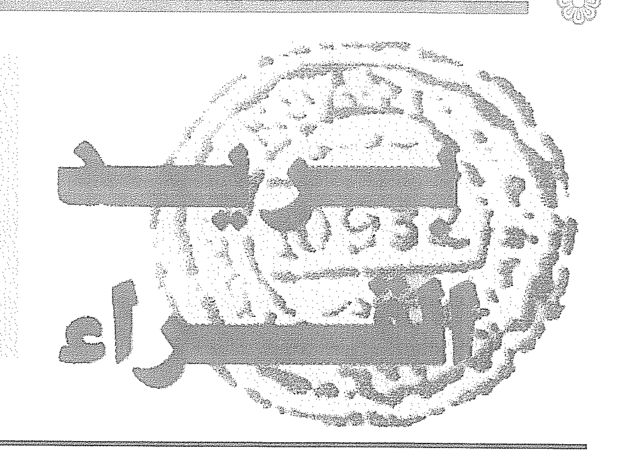
أولا: تصوير أن القرآن الكريم – إذا لم يقدم للناس علوم الطب والتشريح والرياضيات واسرار البيولوجيا والالكترون والذرة – ليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن يقبله منطقنا العصري..

ثانيا: تفلته من قيود الآداب الاسلامية في التعبير في مجال التفسير، حيث وقع في اسر الانفعال والرغبة في التعبير المتحلل من الألفاظ الرصينة الهادفة لأسمى المعاني..

ثالثا: تمثله في كتاباته بصورة المتلهف الظمآن إلى آفاق روحية حديثة، مندفعا اندفاع من اتخمه الشبع المادي حتى أحس بثقل أغلاله، فانطلق وراء سراب للخلاص، غير عابيء بأي شيء، فوقع في شطحات اصحاب النظرية الرمزية الصوفية، كما وقع في تأويلات الباطنية..

رابعا: يقدم من خلال ضجيجه العصري الرنان، تفسيره في صورة العجائب والغرائب التي تبهر أبصار العامة، فلا تعود ترى الرؤية الصحيحة التي تميز بين الحق والباطل، ولا تقدر ان تفصل بين منطق التفكير العلمي الصحيح وبين جرأة الادعاء..

والكتاب في سبعة فصول هي على التوالي: (مكانة القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته واعجازه وعظمته)، و(المنهج القرآني الفريد في عرض العقيدة واثبات التوحيد)، و(تاريخ تفسير القرآن الكريم في مراحله الأولى ومنهج الصحابة فيه)، و(مراحل التفسير العلمي والموضوعي للقرآن الكريم)، و(تاريخ تفسير القرآن الكريم بعد نشوء العلوم المستحدثة والمنقولة إلى كتب التفسير)، و(اثر شيخ الإسلام ابن تيمية في علم التفسير واصوله، وفي الكشف عن تأثير الفلاسفة)، و(أخطار المناهج المنحرفة في تفسير القرآن الكريم).



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

حتى يعود المسلمون أمة واحدة كما بدأوا

الذين يعيشون الإسلام دينا ودنيا، عقيدة وشريعة، مبادئ وسلوكا .. يشعرون بفطرتهم أن هذا الدين يحب من أتباعه أن يكونوا أعزاء، أقوياء، شديدي البأس، مرهوبي الجانب، حتى تكون لهم العزة والغلبة في دنيا الناس، خاصة في هذا العصر الذي أصبحت الغلبة فيه لمن له ناب ومخلب.

على أن أول لبنة في بناء قوة المسلمين، هي تجمعهم، ووحدة صفوفهم، وأهدافهم، وحرص كل واحد فيها على أن يسعى لخير الجميع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وكثيرا ما أوصانا الدين بأن نتمسك بأهداب الاتحاد، وأن نجعل فيه أسلوبا لحياتنا، ولقد سمى الله الاتحاد إيمانا، وسمى الفرقة كفرا ﴿يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ [آل عمران/ ١٠٠]. أي بعد وحدتكم التي هي إيمان ـ متفرقين، وهذا الذي عبر عنه القرآن بقوله تعالى: «كافرين»، ثم تقول الآيات مؤكدة خطر الفرقة: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران/ ١٠٢و١٠٣].

إن الإسلام حريص على سلامة أمته، وحفظ كيانها، وهو بذلك يطفئ بوادر الخلاف، ويرفض أية ظاهرة تبث الفرقة في المجتمع.

إن أساس العقيدة توحيد الله عز وجل «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، هذه العقيدة توحي بوحدة الأمة وتماسكها، فيتوافق القول مع العمل، ويتطابق الاعتقاد مع السلوك، وبثا لروح المحبة والإخاء بين أبناء الأمة الواحدة، التي ينبغي أن تكون حياتها قائمة على التعاون والتناصر، يقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [رواه مسلم]، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

ومن حق الاخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه عون له في السراء والضراء، ولأن قوته تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[متفق عليه]. هكذا كانت دعوة الإسلام، وما زالت وستظل أبدا تدعو المسلمين إلى وحدة الكلمة والهدف والصف في قوة وثقة وكبرياء، محذرة من الفرقة والتخاذل والضعف والاستسلام للهوى والركون إلى جند الشيطان. فهل نعيش هذه الدعوة ونعي درسها ونتدارس أحوال عالمنا الإسلامي مقارنة بما يجري في العالم الكبير من أحداث وصراعات دون أن نذوب فيها أو نفقد هويتنا أو ينحرف بنا المسار؟

إن لدينا الماضي التليد، والحاضر الغني بحضارة أشاعت نور العلم في ظلمات أوروبا، كما أن الثروة التي كانت وما زالت لدينا هي محط أطماع الغرب، ومن أجل الحصول عليها يثير الفتن هنا وهناك.

إن أحداث اليمن المؤسفة، ماثلة أمامنا تكاد تصرخ: هنا مؤامرة آثمة على هذه الأمة فلننتبه أيها المسلمون.

ولتعيشوا عصركم بنفس أسلحته: الناب والمخلب وخدع السياسة وفنون الدهاء .. وقبل ذلك وبعد .. أن تعودوا كما بدأتم أمة واحدة، لها صوت مسموع في دنيا الناس، ودعوة مستجابة عند رب الناس□

محمد السيد عامر
- بورسعيد - مصر

الإيمان طريق السعادة

الناس كلهم يبحثون عن السعادة. ولكن كثيرا منهم قد ضل طريقها. ولم يعرف سبيلها، فكثير من الناس يعتقدون أن السعادة هي المال الكثير، ولكن هذا خطأ، فإننا نرى كثيرا من الأغنياء في غاية البؤس والشقاء فكم من غني بالمال فقير بالعمل والإيمان، وفريق من الناس يعتقد أن السعادة في النساء الجميلات، فيعطي نفسه حظها من اللذات والشهوات، وهذا في الحقيقة جهل فكم من لذة أعقبتها حسرة وقرأنا كيف كانت المرأة سببا في كل فتنة ، ففي الحديث: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» [رواه الشيخان]، فما حقيقة السعادة؟ السعادة الصادقة هي ما وقر في القلب من إيمان، السعادة هي الإيمان بالله ،والرضا بما قسم الله، والشكر على نعم الله، ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، ليس الغنى عن كثرة العرض. ولكن الغنى غنى النفس. إن من آمن بالله. ورضي عن تدبير الله. شعر بالسعادة تنبعث من قلبه وتفيض من نفسه. وتملك عليه كل وجوده وحسه، فهو يستعذب كل شيء مادام في ذلك رضا الله وطاعته ومحبته. حقا الإيمان طريق السعادة الحقيقية.

مصطفى محمد سليمان المراغي - سوهاج - مصر

صلة الرحم والواقع المعاصر

عرفته قاطعا لرحمه، مبالغاً في القطيعة، لا يصلها حتى في الأعياد، وكنت أرقبه عن كثب، وأتعجب من صنيعه غاية الاستعجاب، ثم شاء الله وقرر أن يجمعنا في مجلس، وتطرق الحديث إلى صلة الرحم، فإذا به ينطق ويتكلم بما كاد يصعقني، حيث أخذ يعلل سبب قطع الرحم وأن صلتها مضيعة للوقت، وهو يريد أن يستغل وقته استغلالاً مادياً بحتاً، وصلة الرحم عنده مستهلكة لماله ولثروته، وهو بحاجة إلى أقل القليل من ماله وثروته.

وبما أن صلة الأرحام مشاعر وعواطف ينبغي طرحها ونبذها في هذا الزمن، زمن العمل والجد والصراع والسباق المحموم المذموم. ولم يكن هذا وحده صاحب هذه الأفكار الخربة، بل هناك من هم على شاكلته في هذا العصر المادي الرهيب، الذي يمم شطر المادة وأعلى شأنها واتخذها إلهاً يعبد من دون الله. وترك وطرح ما أمرت به الشريعة من صلة الأرحام ومودة الأهل وراء ظهره.

ألا يدري هذا ومن هم على شاكلته أن صلة الرحم تزيد في العمر وتبارك في الرزق على الضد مما يظنون. ولكنه الجهل بأحكام الشريعة ونواميس الكون وقوانين الله في خلقه. ياهذا، ألم يصل إلى سمعك وأنت في صراعك المحموم وسعيك المذموم، وقطعك لرحمك، وهجرانك لأهلك، قول سيد المرسلين ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» [رواه الشيخان]. ألم تفتح المصحف مرة في عمرك فتقف عند قول الله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ [النساء/١]. وقوله تعالى مزكيا المؤمنين الصالحين: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ [الرعد/٢١]، ثم قوله تعالى مبكتاً ومهدداً ومنذراً ومتوعداً الناكبين القاطعين. ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم.

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد/٢٢و٢٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [الرعد/٢٥].

فيا أيها القاطعون الناكبون اعلموا أن الله سبحانه قرن بين قطيعة الرحم والافساد في الأرض، فهل بعد ذلك من إثم وجريمة؟! فيا للرحم، ويا لعظمة حق الرحم، ويا لجلال وقدر صلة الرحم، وما نطقت به نصوص الشريعة الغراء خير دليل على عظم حقها وعلى جلال قدرها وقدر صلتها، فقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم» فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم ؛ أماترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ «اقرأوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم.

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» [رواه الشيخان]. وفي رواية البخاري: «من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»، وفي رواية بنفس المعنى قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» [رواه الشيخان].

وصلة الرحم دليل من دلائل الايمان وعلاماته وأشراطه وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه الشيخان].

وصلة الرحم مما يدخل الجنة ويباعد من النار فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ «تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» [رواه الشيخان]. وصلة الرحم واجبة وإن قوبلت بالصد والهجران والخصام، فالحياة لا تخلو من أمور قد يترتب عليها صد وهجران وخصام وقطيعة، ومع ذلك فالصلة واجبة. وذلك أوضح ما يكون في حديث النبي ﷺ: «ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها» وكذلك في قوله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» [رواه مسلم].

وقاطع الرحم قد حرم على نفسه الجنة بحمقه وجهله وسفهه، فليس أبشع ولا أرهب من أن يحرم الانسان الجنة على نفسه بحمقه وجهله وسفهه ومخالفته شريعة الرحمن واتباع خطوات الشيطان وفي ذلك يقول النبي ﷺ قولاً بليغاً قاطعاً مانعاً: «لا يدخل الجنة قاطع» ويفسر ذلك الرواية الأخرى التي تقول مفسرة يعني: «قاطع الرحم»[رواه البخاري ومسلم].

وبعد

فهذا والله قليل من كثير، وغيض من فيض من نصوص الشريعة الغراء في هذا الأمر الجلل، فتباً تباً لقاطعي رحمهم، وخساراً خساراً لهم في حياتهم الدنيا ثم في حياتهم الأخرى إن لم يتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم وينيبوا إلى ربهم.

فوالله إن الحياة مع قطع الأرحام لهي الجحيم الذي لا يطاق، والسفير الذي لا يحتمل، والعجب من هؤلاء القاطعين هل هم أسوياء؟! وهل حياتهم سوية طبيعية! لا أظن! بل أجزم وأقطع أنهم ليسوا بأسوياء وأن حياتهم ليست سوية. وهنيئا للواصلين بطيب العيش في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة. فاختر لنفسك أيها الانسان.

ولكن إن كنت حكيما أريباً فطناً لبيباً فلا تكن مع الخاسرين: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ □

محمد نجيب لطفي - الفيوم - العدوة - مصر

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

ادفع بالتي هي أحسن

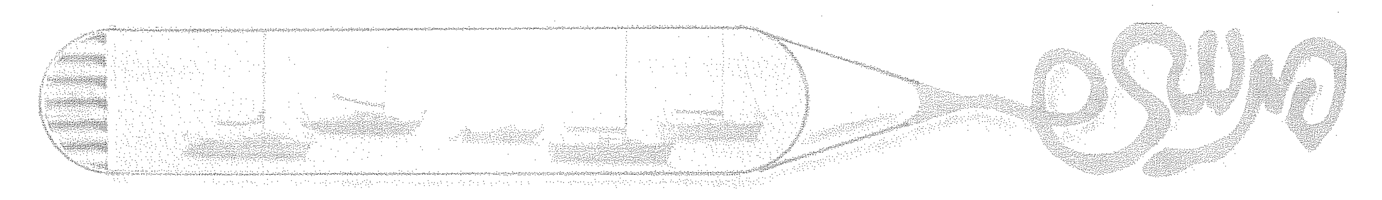
نقلت صحيفة الشرق الأوسط [١٩/٢/١٩٩٥م] قصة المهاجرة البوسنية (أدينا كاتوفيتش) ووالدتها (سنا) وزوجها الباكستاني الأصل (فرقان ميان) ويعيشون جميعا في مدينة بويزي عاصمة ولاية ايداهو بالولايات المتحدة الامريكية، لقد تركت (أدينا) ووالدتها بلدهما بسبب المذابح العرقية التي ارتكبها الصرب، الذين لم يفسحوا المجال لأي تفاهم أو توفير فرصة للحوار مع شركائهم المسلمين في الوطن الواحد، بالرغم من ان المسلمين لم يطرحوا (جمهورية البوسنة والهرسك) كبلد إسلامي يرفض الآخرين أو يفرض عليهم أحكام الشريعة الإسلامية وهم لها كارهون، بينما ينادي الصرب بصربيا الكبرى، معلنين انها لن تفسح المجال لغيرهم من مواطنيها - إن بقي فيها غيرهم - للتعبير عن انتمائهم الديني وهويتهم الثقافية بشكل متوازٍ ومساوٍ للصرب..

تتذكر (أدينا) أخاها الشاب الذي تم ذبحه على أيدي عصابة صربية دون أن يكون له يد في الحرب نفسها لا من قريب ولا من بعيد، وتعزم أن تسمي وليدها البكر القادم - إن كان ذكرا - (أمينا) تيمنا باسم أخيها الشهيد، وتعلق أمها الثكلى على ذكرى استشهاده بقولها: (لا أستطيع الصفح عن أولئك الذين قتلوه، ولن أثق بهم أبدا، ومع ذلك لا يمكنني أن أفعل بهم ما فعلوه بي وبعائلتي، ولا أفهم كيف يرتكب بشرٌ ما ارتكبه هؤلاء بحق شاب في العشرين من عمره)..

صورة ذكرتني بحوادث عرفتها الساحة اللبنانية خلال الحرب الأهلية، ففي ٦/١٢/١٩٧٥م وقعت مذبحة ذهب ضحيتها حوالي مائتي شاب من بيروت الغربية - وأغلب أهلها من المسلمين - وعرفت باسم مذبحة (السبت الأسود)، ومن جملة هؤلاء شاب مسلم من منطقة عائشة بكار دفع الغضب ببعض أصحابه إلى الإمساك بعدد من المواطنين النصارى القادمين من المنطقة الشرقية، وساقوهم إلى منزل الشهيد عارضين على أهله الثأر لولدهم وشفاء غليلهم والانتقام له بقتلهم.. وخرجت والدة الشهيد لتقول: (إن كنتم فاعلين لامحالة، فاقتلوني قبل أن تمسوهم.. هؤلاء كولدي أبرياء لا علاقة لهم بالحرب ولا مجرميها، وأمهاتهم ينتظرونهم كما انتظرتُ ولدي). فاستحيا الشباب وأدركوا خطأهم، وأمّنوا وصول من كان تحت أيديهم - من المحتجَزين - سالمين إلى منطقتهم..

إنه منطق الإسلام الذي لا يقرّ بالعدوان، ولا يعترف بالبغي، ولا يرى المروءة في الغدر، ولا الرجولة في التشفّي.. إنه منطق القوة الذي ينبع من معاني الرحمة والتعامل بمستوى أخلاقي راقٍ يستمد قوته من قوة الله وعظمته، ويدفع السيئة بالحسنة فيضع حدا لمسلسل المآسي وسفك الدماء.. المنطق الذي فتح القلوب قبل البلدان.. وكم نحن بحاجة إلى أن يسود هذا المنطق نفسه ديار المسلمين ليتحقق الأمن الاجتماعي فيها، ثم ينطلق ليكون قدوة الدنيا، وفي قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم﴾ موعظة كافية وتوجيه سديد□

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان



الفهرس العام

لمواضيع مجلة (الوعي الإسلامي)

لسنة ١٤١٥هـ

١٩٩٤ - ١٩٩٥م

الافتتاحية

كلمة العدد

حوار العدد

المرسى

كتاب الشهر

صحة

شخصيات إسلامية

شعر

مفاهيم إسلامية

قصص ومسرحيات

مفاهيم إسلامية

دراسات

مجتمع

ترجمات

شؤون المرأة

إعلام

علوم

تحقيقات

سيرة

اقتصاد وتنمية

تربية وتزكية

تراث وحضارة

وقفة وتأملات

فكر إسلامي

دراسات فقهية

العالم الإسلامي وقضايا إسلامية

الموضوع	اسم الكاتب	رقم العدد	الصفحة
الجزر الأفريقية تسترد هويتها الإسلامية	محمود بيومي	٣٤١	٢٨
وكشمير تصرخ وا إسلاماه	سعيد كامل معوض	٣٤١	٦٨
مسلمو يوغسلافيا مواطنون لا دخلاء	محمود السيد دغيم	٣٤٢	٥٤
المسلمون في بولندا	التحرير	٣٤٣	٦٨
دور المراكز والنوادي الشبابية	د. محمود الخاني	٣٤٣	٨٣
نداء من القلب (أفغانستان)	أحمد الدبوس	٣٤٥	٤٦
الشيشان وكبرياء المواجهة	مركز الدراسات والأبحاث	٣٤٩	٢٤
الدورة السادسة للعلوم الشرعية بألمانيا	د. صلاح الدين أرقه دان	٣٥٠	٨٠
الصحوة الإسلامية في بلاد تركستان	د. عوني الخان	٣٥١	٧٢
المحنة تزداد تفاعلا في لبنان	عباس العرب	٣٥٢	٤٢

مناسبات

الموضوع	اسم الكاتب	رقم العدد	الصفحة
الهجرة بين الأمل والعمل	د. محمود محمد عمارة	٣٤١	٣٨
الهجرة نقلة نوعية من الدعوة الدينية	طه الولي	٣٤١	٤٢
هجرة/ في خيمة أم معبد	فاطمة محمد بغدادي	٣٤١	٤٤
الإسراء والمعراج .. عذرا صاحب الذكرى	د. محمد السقا عيد	٣٤٧	١٨
الإسراء والمعراج	أمين محمد عثمان	٣٤٧	٢٠
الصيام وأبواب الخير	عبد الرحمن قره حمود	٣٤٩	٣٠
العشر الأواخر وليلة القدر	أحمد رمضان محمد حمودة	٣٤٩	٣١
شهر الصبر والمرحمة	عمر أحمد عمر	٣٤٩	٣٢
معجزات في غزوة بدر	نبيل فولي محمد منجي	٣٤٩	٣٥
فتوحات إسلامية مجهولة في رمضان	خالد محمد عزب	٣٤٩	٤٠
مقاصد الحج (السياسية والاقتصادية)	مصطفى أحمد حسين قنبر	٣٥٢	١٤
من أسرار الفريضة الخاتمة	معوض عوض إبراهيم	٣٥٢	١٨

دراسات قرآنية

فرق وعقائد

بيئة

دعوة وصحوة

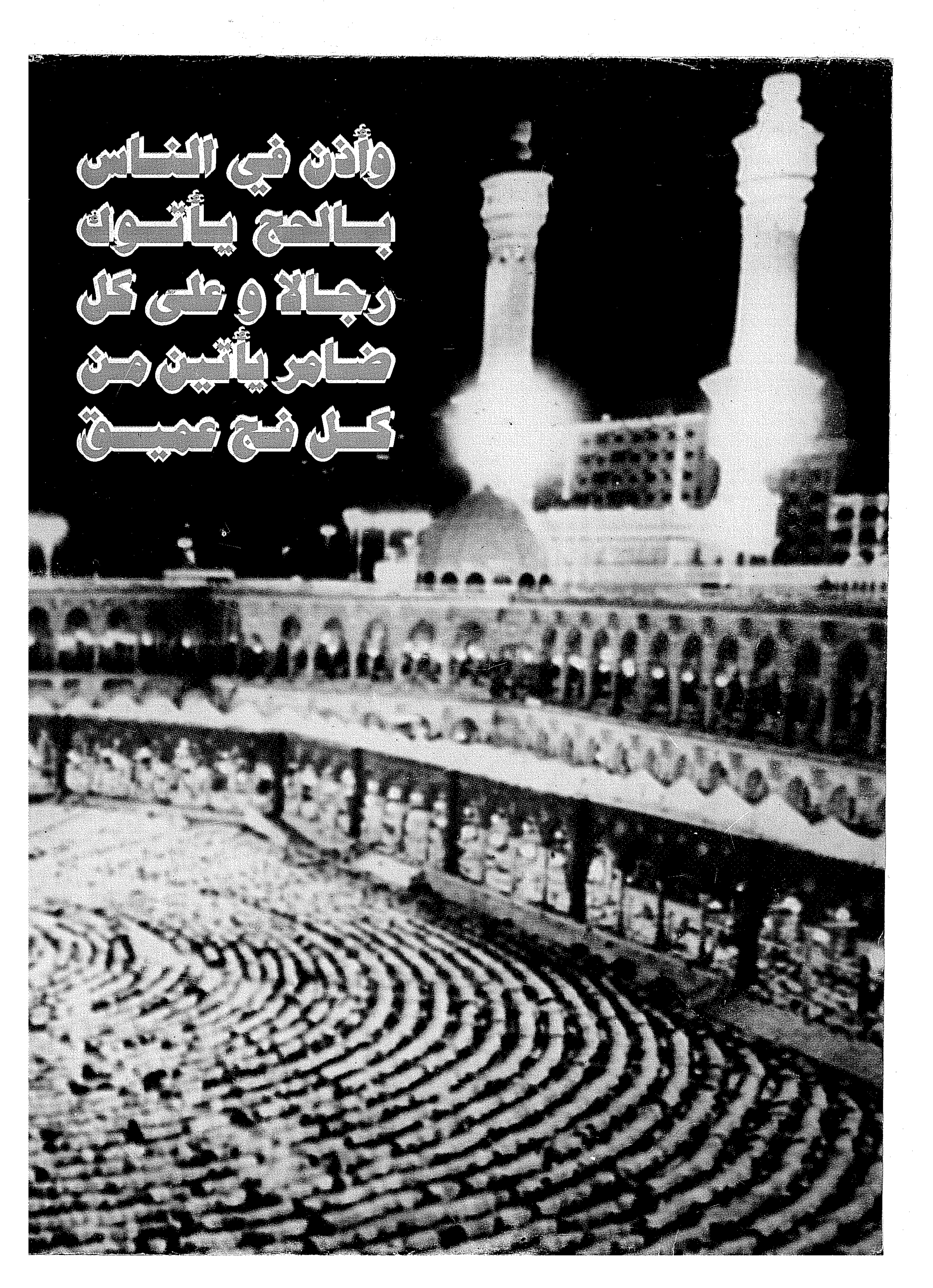
مساحة رأي

أدب

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة:

الفتاوى/ اعداد إدارة الفتوى بالوزارة
بريد القراء/ اعداد التحرير
حديقة الوعي/ اعداد التحرير
ثمرات المطابع/ اعداد التحرير
نافذة على العالم/ اعداد التحرير

وكل عام وأنتم بخير


وأذن في الناس
بالحج يأتوك
رجالا و على كل
ضامر يأتين من
كل فج عميق